

مركز دراسات الوحدة العربية

سلسلة اطروحات الدكتوراه (٣٨)

الاتجاهات الوحدوية
في الفكر القومي العربي المشرقي
١٩١٨ - ١٩٥٢

الدكتور هادي حسن عليوي

الاتجاهات الوحدوية

في الفكر القومي العربي المشرقي

1918 - 1952



مركز دراسات الوحدة العربية

سلسلة اطروحات الدكتوراه (٣٨)

الاتجاهات الوحدوية في الفكر القومي العربي المشرقي ١٩١٨ - ١٩٥٢

الدكتور هادي حسن عليوي

الفهرسة أثناء النشر ـ إعداد مركز دراسات الوحدة العربية

عليوي، هادي حسن
الاتجاهات الوحدوية في الفكر القومي العربي المشرقي، ١٩١٨ ـ ١٩٥٢/ هادي حسن عليوي.
٢٥٩ ص. ـ (سلسلة أطروحات الدكتوراه؛ ٣٨)
ببليوغرافية: ص ٢٢٣ ـ ٢٥٢.
يشتمل على فهرس.
١. القومية العربية. ٢. الوحدة العربية. ٣. المشرق العربي ـ تاريخ. أ. العنوان. ب. السلسلة.
956.03

«الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة
عن اتجاهات يتبناها مركز دراسات الوحدة العربية»

مركز دراسات الوحدة العربية

بناية «سادات تاور» شارع ليون ص.ب: ٦٠٠١ ـ ١١٣
الحمراء ـ بيروت ٢٠٩٠ ١١٠٣ ـ لبنان
تلفون: ٨٦٩١٦٤ ـ ٨٠١٥٨٢ ـ ٨٠١٥٨٧
برقياً: «مرعربي» ـ بيروت
فاكس: ٨٦٥٥٤٨ (٩٦١١)
e-mail: info@caus.org.lb
Web Site: http://www.caus.org.lb

الطبعة الأولى
بيروت، كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٠

المحتويات

مقدمـــة

يهدف هذا الكتاب إلى دراسة الاتجاهات الوحدوية وتطور مفهوم الوحدة في الفكر القومي العربي المعاصر، في منطقة المشرق العربي، خلال حقبة من حياة الأمة العربية. . تلك الحقبة التي اتسم فيها المشرق العربي بالهيمنة الاستعمارية الأوروبية التي رسمت بين ولايات هذه المنطقة حدوداً مصطنعة، سرعان ما أصبحت حدوداً سياسية يدافع عنها كل قطر بشتى وسائل الدفاع، تصل في بعض الأحيان إلى حرب ساخنة بين أبناء الأمة الواحدة.

لقد مر النضال القومي وحركة القومية العربية وفكرها، بأشكال جديدة شتى، فبعد أن وصلت الحركة القومية العربية إلى مرحلة النضج وتحقيق الأداة القومية، حدث حادث بالغ الأهمية، بالنسبة للعالم والوطن العربي على وجه أخص، ذلك هو قيام الحرب العالمية الأولى. فقد تطورت الأحداث بسرعة هائلة، على امتداد الساحة الدولية، وكانت انعكاساتها واضحة على الساحة العربية بالذات، تلك الانعكاسات التي أخذت أبعاداً خطيرة، والتي استمرت حتى وقتنا الحاضر.

إن دراستنا للاتجاهات الوحدوية في المشرق العربي ضمت مصر، كونها أثرت في الفكر القومي العربي وتأثرت به، في هذه المنطقة، وشكلت جزءاً منه، إضافة إلى أنها كانت حلقة وصل وتأثير في المغرب العربي.

لقد استلزمت الدراسة خمسة فصول: **الأول** منها تحت عنوان «الوعي القومي العربي في العصر الحديث»، درسنا فيه بدايات الوعي القومي العربي الحديث. فالقومية العربية امتدت عبر التاريخ، وتركت حركتها، هذه، آثارها العميقة في الحياة الإنسانية، من خلال حضارتها الخالدة. فقد بنى العرب حضارة ثرة عميقة التأثير، وفكراً أشار إليهما المؤرخون بتقدير وإعجاب كبيرين.

وبعد سقوط الدولة العربية الإسلامية عام ١٢٥٨م بسقوط بغداد بدأ التخلف يسود جسم هذه الأمة بعد السيطرة الأجنبية عليها، واستمرت الحالة عدة قرون.

ومنذ القرن الثامن عشر، بدأت دعوات الإصلاح الاجتماعي والسياسي تظهر لمعالجة الواقع المتخلف ومعاناة الأمة العربية جراء السيطرة الأجنبية. وقد تطورت دعوات الإصلاح هذه وبلغت ذروتها في الدعوة إلى الثورة على كل أشكال الظلم والفساد، وإعادة بناء المجتمع العربي من جديد. وقد أخذت تلك الدعوات شكلين:

- إصلاح ذو طابع عربي - إسلامي.
- إصلاح ذو طابع عربي - علماني.

ومن ثم تبلور الوعي القومي العربي، ضمن جمعيات قومية عربية، طالبت بحقوق قومية في إطار الدولة العثمانية التي حاولت تطبيق سياسة التتريك والمركزية، تلك السياسة التي خطط لها وشرع بتنفيذها حزب الاتحاد والترقي. فكان أن اندلعت عام ١٩١٦، وخلال الحرب العالمية الأولى، الثورة على العثمانيين من أجل التحرر وإقامة الدولة العربية المستقلة، بمعونة بريطانيا التي قدمت للعرب وعوداً سخية، ثم ما لبثت أن نكثت بكل تلك الوعود والعهود. وهكذا وقع الوطن العربي فريسة بيد الاستعمار الأوروبي الذي كرسته معاهدة سايكس - بيكو السيئة الصيت.

وتناول الفصل الثاني الاتجاهات الوحدوية في الفكر القومي العربي في المشرق العربي خلال الفترة ١٩١٨ - ١٩٣٩. ولقد تابعنا في هذا الفصل المخططات الاستعمارية في الوطن العربي، ولاحظنا كيف أن السياسة الاستعمارية (البريطانية والفرنسية) لم تقف عند حدود التجزئة والهيمنة، بل أخذت بريطانيا على عاتقها تنفيذ وعد بلفور، بدعم إقامة كيان صهيوني في قلب الوطن العربي. ومن جانب آخر انتهجت كل من بريطانيا وفرنسا سياسة معادية لأماني العرب في الوحدة والحرية، فدعمت وشجعت قيام الحركات القطرية المتناقضة فكراً ومنهجاً مع الفكر القومي، وغذّت العنصرية والطائفية لتحقيق التشرذم العربي وإعاقة أية خطوة نحو تحقيق الوحدة. وبسبب ظروف ما بعد الحرب العالمية الأولى، أصبحت مهمات النضال الوطني والعمل على استقلال كل قطر عربي، هي الأساس للحركات الاستقلالية العربية التي نشأت على أنقاض الجمعيات العربية التي تشرذمت ثم تلاشت بعد ذلك.

ومنذ منتصف الثلاثينيات بدأت الإرهاصات الأولى لحركة القومية العربية تظهر من جديد، ولا سيما في المشرق العربي، فتشكلت الجمعيات والنوادي القومية.

وخلال هذه الفترة أيضاً ظهر مفكرون قوميون عرب أثْروا الفكر القومي العربي، وقدموا عصارة فكرهم الوحدوي لخدمة الحركة القومية العربية، وهو ما تناولناه في هذا الفصل، فيما بحث الفصل **الثالث** الوحدة في برامج ومواقف الأحزاب والتيارات القطرية والأممية، خلال فترة البحث. فقد كان لانعكاس ظروف فترة ما بين الحربين العالميتين، على الوطن العربي ظهور أحزاب قطرية وأممية. وعلى الرغم من دور بعضها في النضال الوطني من أجل الاستقلال ومحاربة الاستعمار والدعوة إلى التحرر والتقدم، فإن تأثير هذه الأحزاب والتنظيمات في مسيرة الحركة القومية العربية وفي الوحدة العربية كان تأثيراً سلبياً، تمثل في مقاومة الوحدة العربية وحركتها القومية ومحاولات تحريف مفاهيمها، سواء كان ذلك بدعم دولي أو بسبب نزعات هذه الأحزاب وايديولوجياتها، تلك النزعات والايديولوجيات العنصرية والطائفية والانعزالية، أو توجهاتها الأممية التي تتعارض مع الاتجاه القومي والإيمان بالقومية العربية. وبالتالي حدث شرخ عميق ما بين القطرية والأممية من جانب، والقومية من جانب آخر. وقد عززت عقلية التجزئة، وبدعم من الدول الأوروبية، هذه الاتجاهات لمحاربة الفكر القومي العربي، وترسيخ تلك المفاهيم والاتجاهات المتناقضة فكراً وسلوكاً مع الاتجاه العربي الوحدوي. أما الفصل **الرابع** فتناول الاتجاهات الوحدويَّة في الفكر القومي العربي خلال الفترة ١٩٣٩ ـ ١٩٥٢ فخلال سني الحرب العالمية الثانية برز اتجاه جديد في القومية العربية يدعو إلى احتواء مبدأ الوحدة العربية على مفهوم اشتراكي نابع من أسس العدالة الاجتماعية التي ينبغي أن تقوم عليها دولة الوحدة، وربط بشكل علمي وجدلي، بين التحرر القومي والتحرر الاجتماعي. ومثل هذا الاتجاه ينبئ بتحول كبير في الفكر القومي العربي وحركاته التقليدية، ووضعها في طريقها الصحيح.

وإلى جانب هذا الاتجاه، ظهرت أحزاب وتنظيمات سياسية قومية في المشرق العربي، وبشكل خاص بعد انتهاء الحرب، قدمت للفكر القومي عطاء لا يستهان به، مثلما نشطت في تقوية الحركة القومية العربية. وهكذا تصاعد النضال القومي مثلما تعزز الاتجاه الوحدوي العربي، وأخذت الأفكار تتفاعل لتبرز لنا اتجاهات وحدوية منها ما دعت إلى وحدة شاملة، وأخرى دعت إلى

الاتحاد، بغض النظر عن شكله ونوع الحكم: اتحاد يشكل خطوة نحو الوحدة الشاملة، اتحاد يضم قطرين أو أكثر كخطوة أولية، وبشكل تدريجي، إضافة إلى تعزيز الفكر القومي العربي، من خلال ما طرحه بعض المفكرين العرب.

ولقد شكلت هذه الفترة تصاعداً أو مداً جماهيرياً قومياً عربياً، مثلما كانت نتائج الحرب العالمية الثانية والواقع العربي أرضاً خصبة لتطور الفكر القومي العربي الاشتراكي الديمقراطي الموحد. ودرس الفصل **الخامس** المشاريع الوحدوية (١٩١٨ ـ ١٩٥٢)، فقد كانت فترة الحرب العالمية الثانية، وبسبب التنافس الاستعماري بين دول المحور والحلفاء، مناسبة لطرح بعض المشاريع الوحدوية، بعدما أعلنت بريطانيا تعاطفها مع سعي العرب لتحقيق أمانيهم في الاتحاد أو الوحدة. لكن تلك المشاريع لم تر النور، ما عدا مشروعاً قيض له أن ينجح، ذلك هو مشروع جامعة الدول العربية. ولكن هل كان قيام هذه المنظمة مشروعاً وحدوياً أم بديلاً من الوحدة؟ وما موقف الفكر القومي العربي وحركته التقدمية تجاه هذا المشروع؟ فقد كانت محاولة الجواب عن هذين السؤال موضوعنا الأخير في هذا البحث.

وبعد، لا بد من الإشادة بالأعمال القيمة التي تناولت دراسة الفكر القومي، سواء أكانت منشورة باللغة العربية أم باللغات الأجنبية، ولا سيما كتابات وأعمال جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا وعبد الرحمن الكواكبي وحسن البنا وأنيس صايغ والبرت حوراني وعلي محافظة وساطع الحصري وعبد الرحمن البزاز وسامي شوكة وقسطنطين زريق ومحمد عزة دروزة وزكي الأرسوزي وميشيل عفلق وغيرهم كثير، فلولا أعمال هؤلاء لما أمكن لهذا البحث أن يكون على ما هو عليه، ذلك انني قد نهلت من كتاباتهم جميعاً، فإليهم أصدق العرفان والامتنان لأعمالهم الرائدة.

كما اعتمدت في دراسة التنظيمات والأحزاب السياسية على مناهج وأدبيات ونشريات وصحف تلك التنظيمات والأحزاب، وتطلب البحث العودة إلى عشرات الوثائق وكم هائل من الصحف والمجلات، وعلى كتابات قادة تلك التنظيمات، أمثال رفيق العظم ومحب الدين الخطيب وعوني عبد الهادي وفهد وخالد بكداش وأنطون سعادة وكامل الجادرجي ومحمد مهدي كبة وباسل الكبيسي ومكرم عبيد وبشارة الخوري وكمال جنبلاط وغيرهم كثيرون. كما اعتمدت في دراسة وتحليل الفكر الماركسي، في المسألة القومية، على كتابات قادة هذا الفكر، ماركس وانغلز ولينين وستالين. وخلال دراستنا للمشاريع

الوحدوية، اعتمدنا أيضاً على الوثائق الأصلية الخاصة بتلك المشاريع، فدرسنا ما كتبه نوري السعيد عن مشروعه (الهلال الخصيب) ودرسنا مشروع (سوريا الكبرى) من خلال وثائقه التي حواها الكتاب الأردني الأبيض ومذكرات الملك عبد الله، وهكذا بالنسبة للمشاريع الأخرى. واستفدنا من مذكرات وكتابات وخطب الكثير من القادة والمسؤولين والمساهمين في الفكر القومي العربي، في تلك الفترة، منها على سبيل المثال لا الحصر خطب الملك فيصل الأول، وكتابات سليمان موسى وأسعد داغر وتحسين العسكري وأحمد قدري وطه الهاشمي وناجي شوكت وحسن الحكيم وغيرهم كثير.

فالمصادر التي اعتمدها هذا البحث، كانت عديدة، لكن يبدو أن أغلب المصادر العربية التي درست الفكر العربي الوحدوي في المشرق العربي، درسته على أساس قطري، أي دراسة ذلك الفكر في قطر معين، وبالتالي فإن ملاحظتين مهمتين يمكن تسجيلهما على مثل هذه الدراسات، هما:

الأولى: إن دراسة الفكر القومي العربي ضمن حدود القطر الواحد، لا تعطي الفكر عمقه ولا نظرته الشمولية، والشيء نفسه ينطبق على التنظيمات ذات الفكر القومي والقائمة تنظيمياً على أساس قطري تريد أن تحقق أهدافاً قومية بأدوات قطرية.

الثانية: إن مثل هذه الدراسات تغفل التأثيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وبشكل خاص الفكرية القومية. وبالتالي تأتي تلك الدراسات غير شاملة، وقاصرة عن إعطاء الصورة الكاملة للفكر القومي العربي الوحدوي.

حاولنا معالجة هذين الجانبين، فدرسنا الفكر القومي ضمن حركة المجتمع العربي، من دون إلغاء الجانب الاجتماعي والاقتصادي. كما انتهجنا نمطاً من المعرفة يمكن تسميته بالنسبية والشمولية، فبقدر تعلق الأمر بالنسبية ليس هناك في المعرفة الإنسانية ما هو مطلق أو ما هو فوق التاريخ، أو ما هو متجاوز الزمن والمكان. إن المعرفة يجب أن تقوم على أساس النسبية وقبول التناقضات في الحياة، سواء في اللحظة التاريخية نفسها أو حتى في الشخص الواحد، أو في مجرى التطور التاريخي العام الواحد. أما النظرة الشمولية إلى المعرفة، فهي ليست نقيضاً للنسبية بل مكملة لها، فالحقيقة لا يمكن أن ترى من جانب واحد، والعين البشرية مؤهلة لأن ترى خمسة ألوان ما بين الأبيض والأسود. أقول ذلك لأبين أن بعض الكتاب بانحيازهم إلى انتماءاتهم الفكرية والسياسية، عند دراستهم لبعض الأحداث والحقائق التاريخية، حكموا عليها من خلال

مقاييسهم ومنطلقاتهم، فجاءت تلك الأحكام منحازة وغير موضوعية، في كثير من الأحيان. مثال ذلك: بعض الكتاب وأبرزهم كوتلوف[1]، ومن حذا حذوه، فقد هاجموا حزب العهد، واعتبروه أداة الاستعمار البريطاني، وهذا ليس من الإنصاف ولا من الموضوعية في شيء، وهم في ذلك مثل بعض الكتاب الأجانب الذين هاجموا الثورة العربية عام ١٩١٦، وأطلقوا عليها اسم «ثورة الحجاز» أو «ثورة الشريف حسين» أو «الحركة المرتبطة ببريطانيا»، وأبرز هؤلاء هو لورنس في كتابه **أعمدة الحكمة السبعة**. والأدهى من ذلك أنه عندما يصف البعض انتفاضة أيار/مايو ١٩٤١ في العراق، والحركة القومية العربية، بالتعصب الشوفيني، ويصمونها بأنها اتجاهات نازية وفاشية، فهم في الوقت ذاته يعتبرون بريطانيا وفرنسا دولتين ديمقراطيتين، مع أنهما كانتا القوتين اللتين تجثمان على صدر الأمة العربية. وهكذا يقدم هذا البعض الدعم لهما تحت شعار الانتصار للديمقراطية.

إن الباحث العلمي والموضوعي يجب ألا تفتَّ في عضده مثل هذه الأحكام والتناقضات، وعليه البحث عن الحقيقة التاريخية ودراستها بصدق وتجرد وعلمية، وأن يكتب تاريخ الأمس في ضوء تصورات وتطورات وضع الأمس وليس اليوم، على أن يؤكد عدم الاستغناء أبداً عن أدوات التحليل التاريخي والسياسي الحديث.

وختاماً: عسى أن تكون هذه الدراسة قد أسهمت بشكل أو بآخر في بث الفكر القومي العربي وتنميته.. والله من وراء القصد.

هادي عليوي
عام ١٩٩٩

---

(١) ل. ن. كوتلوف، **ثورة العشرين الوطنية التحررية في العراق**، تعريب عبد الواحد كرم؛ مراجعة عبد الرزاق الحسني (بيروت؛ بغداد: دار الفارابي، ١٩٧١).

الفصل الأول

الوعي القومي العربي في العصر الحديث

أولاً: بداية الوعي القومي العربي الحديث

بعد سقوط الدولة العباسية ظلت الحياة العربية ماثلة، ولكن بدرجات مختلفة، وفي بعض الأحيان ببطء شديد، لكنها كانت قائمة في الحكم، وفي أروقة المساجد وحلقات المدارس. فقد كان الأزهر في القاهرة، والأموي في دمشق، ومدارس النجف وغيرها المنبثة كحلقات درس في أنحاء العراق، وعشرات المدارس الأخرى في مختلف الولايات العربية الأخرى قد حفظت الثقافة العربية والإسلامية من الاندثار. وفي العصر الحديث أسهمت أسر عربية أصيلة في الحفاظ على تلك المقومات، أمثال: آل الكزبري والطنطاوي والميداني والنابلسي والمرادي في دمشق، والجبرتي والنقراوي والزميري وغيرهم في مصر، وآل الألوسي والحيدري والسويدي والشاوي في العراق[1]، حيث أسهمت تلك الأسر، في تثقيف طليعة الأمة العربية وتنوير أفكارها. فقام الرواد الأوائل، وكانت كتاباتهم تعمل في تهيئة الأجواء لانتقال النهضة من مجالها الأدبي الثقافي إلى المجال السياسي[2].

وفعلاً بدأت تظهر الدعوات إلى الإصلاح الاجتماعي والسياسي لمعالجة الواقع العربي ومعاناته في ظل السيطرة الأجنبية، والدعوة إلى الثورة على كل أشكال الظلم والفساد[3].

---

(١) محمد بهجت الأثري، **أعلام العراق** (القاهرة: المطبعة السلفية، ١٨٩٧)، ص ٧.

(٢) توفيق علي برو، **العرب والترك في العهد الدستوري العثماني، ١٩٠٨ ـ ١٩١٤** (القاهرة: جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٦٠)، ص ٢٠.

(٣) علي محافظة، **الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، ١٧٩٨ ـ ١٩١٤: الاتجاهات الدينية والسياسية والاجتماعية والعلمية** (بيروت: الدار الأهلية، ١٩٨٣)، ص ٣٧ ـ ٥٥.

وتحولت هذه الدعوات وحالة الوعي القومي إلى تيار مندفع سريع منذ نهاية القرن الثامن عشر، انعكس في ثلاث ظواهر جديدة[٤]، هي:

(١) الاتصالات الجديدة مع الغرب المتقدم، التي بدأت مع غزو نابليون لمصر عام ١٧٩٨، وتعززت في ما بعد عن طريق البعثات إلى أوروبا ومنها، وكان لا بد من أن يتأثر العرب بالأفكار الجديدة الصادرة عن الغرب (القومية، الليبرالية، العقلانية، وشعار الثورة الفرنسية الشهير: الحرية، العدالة، المساواة. . . إلخ)، تلك الأفكار التي أثرت تأثيراً كبيراً في طليعة مثقفي ورواد النهضة العربية، وكان لظهور الطباعة والصحافة دور في انتشارها بين جمهور واسع.

(٢) التغلغل السياسي والاستعماري الأوروبي السريع في الوطن العربي، خلق رد فعل عنيفاً تمثل في الشعور القومي بالخوف والنقمة إزاء الغزاة الجدد، الذين كانوا يختلفون عن العرب في دينهم وثقافتهم وتقاليد حياتهم.

(٣) على العكس من ذلك، كانت الإدارة العثمانية تكشف عن عجزها إزاء مجابهة أوروبا الجبارة الديناميكية، حيث كان العثمانيون عاجزين عن منافسة حضارة صاعدة متوسعة، بل أكثر من ذلك فإنهم لم يكونوا قادرين على الدفاع عن كرامة ووحدة وسلامة البلاد الإسلامية.

وعلى الرغم من الآثار الإيجابية لهذه الظواهر، وإصلاحات محمد علي باشا في مصر، وكذلك إصلاحات مدحت باشا في العراق[٥] في النهضة العربية الحديثة، فإن هذه الأمور في الحقيقة، لم تكن سوى عوامل مساعدة، لها تأثيراتها الإيجابية، مثلما لها تأثيراتها السلبية، التي قد تفوق إلى حد كبير إيجابياتها، ويبقى العامل الحاسم في التطور والنهضة الحديثة يعود إلى السبب الداخلي[٦] الذي تمثل بالانتفاضات الجماهيرية المتعاقبة، مثل انتفاضات الشعب العربي في سوريا وفلسطين خلال الفترة (١٨٤٠ ـ ١٨٦٠)، وانتفاضة حلب

---

(٤) انظر: وميض جمال نظمي، «ملامح من الفكر العربي في عصر اليقظة وعلاقته بفكرة القومية العربية،» **المستقبل العربي**، السنة ٦، العدد ٥٢ (حزيران/يونيو ١٩٨٣)، ص ٧٠.

(٥) لمزيد من التفاصيل عن التحديث والإصلاح في عهد مدحت باشا في العراق، انظر: نمير طه ياسين، «بدايات التحديث في العراق، ١٨٦٩ ـ ١٩١٤،» (رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية، المعهد العالي للدراسات القومية والاشتراكية، ١٩٨٤)، ص ٧٢ ـ ١٣٠.

(٦) غالي شكري، **النهضة والسقوط في الفكر المصري الحديث**، ط ٢ (بيروت: دار الطليعة، ١٩٨٢)، ص ٢٧٧.

عام ١٨٥٠، وانتفاضة حوران عام ١٨٥٢، وانتفاضة اللاذقية عام ١٨٥٤، والحركات الفلاحية في مناطق الفرات الأوسط (١٨٣٠ ـ ١٨٦٨)، التي وصفت بأنها «الشكل الفعال الوحيد للتعبير عن استياء الجماهير»[٧]، فضلاً عن انتفاضة اليمن (١٨٤٩ ـ ١٩٠٩) التي كانت مقبرة حقيقية للعثمانيين. وقد مثلت هذه الانتفاضات وما نجم عنها استعداد الأمة العربية لتحطيم قيود التخلف والخضوع، وتمزيق الأطر الصلبة للبنية الاجتماعية المتخلفة الضيقة، من خلال ثورة فكرية تنضج تدريجياً في روح الأمة، لإحداث التغيير المطلوب[٨] في مشاعرها وآرائها ومعتقداتها، تغذيها روح الأمة والشعب الحي، الذي صمد بكل قوة أمام المحنة القاسية، وبقي محتفظاً بمنبع القوة الكامنة في ذاته الأصيلة[٩].

وهنا لا بد من أن نشير إلى أن قادة وحكاماً طموحين تفهموا، بنسب متفاوتة، تلك الظواهر وأوضاع المجتمع العربي، واستثمروا ضعف مركزية الدولة العثمانية، والمنافسات الأوروبية، للعمل على إقامة دولة مستقلة، تضم أجزاء من الوطن العربي، فكانت محاولة المماليك في بغداد لضم الولايات العراقية الأخرى إلى سيطرتهم المركزية[١٠]، ومحاولة أحمد باشا الجزار الذي اشتهر بوقوفه في وجه نابليون، لتوحيد فلسطين[١١]، والقرمانيين لتأكيد سيادتهم على المناطق التي كونت في ما بعد ليبيا الحديثة، وعلي بيك الكبير لاستعادة مركزية الحكم في مصر، بل محاولته ضم بلاد الشام والحجاز إلى مصر في دولة قوية

---

(٧) كمال مظهر أحمد، **أضواء على قضايا دولية في الشرق الأوسط**، سلسلة دراسات؛ ١٦٠ (بغداد: وزارة الثقافة والفنون، ١٩٧٨)، ص ٢٨٢.

(٨) عبد العزيز الدوري، **التكوين التاريخي للأمة العربية: دراسة في الهوية والوعي** (القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٨٥)، ص ٢٢٧ ـ ٢٢٩، وعبد العزيز محمد الشناوي، **الدولة العثمانية، دولة إسلامية مفترى عليها** (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٨٣)، ص ٩٦٣ ـ ٩٦٤.

(٩) محمد ضياء الدين الريس، **تطور المجتمع العربي في العصر الحديث** (القاهرة: مكتبة الشباب، ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠)، ص ٥٥.

(١٠) كارستن نيبور، **رحلة نيبور إلى العراق في القرن الثامن عشر**، ترجمة محمود الأمين؛ مراجعة وتعليق وفهرسة سالم الآلوسي (بغداد: [د.ن.]، ١٩٦٥)، ص ١٨٥؛ أحمد علي الصوفي، **المماليك في العراق: صحائف خطيرة من تاريخ العراق القريب، ١٧٤٩ ـ ١٨٣١م** (الموصل: [د.ن.]، ١٩٥٢)، ص ٥٢، وعباس العزاوي، **تاريخ العراق بين احتلالين**، ٨ ج (بغداد: مطبعة بغداد الحديثة، ١٩٣٥ ـ ١٩٥٦)، ج ١، ص ١٣.

(١١) شاكر مصطفى، **العرب والإسلام وفلسطين عبر التاريخ، القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني** (الموصل: ١٩٨٣)، ص ٧٣.

واحدة. وهذا يعتبر أول مشروع، على رغم فشله، يدخل في مجال توحيد الأمة، على الرغم من ان هذه المحاولة خالية من أي إدراك مسبق من قبل علي بيك لطبيعتها وأهميتها قومياً، ثم محاولة محمد علي وطموحاته الشخصية لإقامة دولة قوية في الوطن العربي قائمة على أسس عصرية.

كما حاولت الصحافة العربية إيقاظ المشاعر العربية القومية وتقريب الأذهان والمواقف الفكرية والسياسية بين أبناء الأمة العربية، والدعوة إلى موقف عربي موحد إزاء كل أشكال الاستعمار، فضلاً عن الدعوة إلى الحرية والاستقلال. ومن بين هذه الصحف في المشرق العربي: **الوقائع المصرية** عام ١٨٢٨، **مرآة الأحوال** في اسطنبول عام ١٨٥٥، **حديقة الأخبار** في بيروت عام ١٨٥٨، **الفرات** في حلب عام ١٨٦٧، **والزوراء** في بغداد عام ١٨٦٩[١٢].

وعلى الرغم من تعدد ولاءات الصحف واتجاهاتها، إلا أنها أسهمت بنشر الثقافة، وأغنت الفكر العربي بطروحاتها، وما قدمته من مناقشات وأبحاث، وأعادت الثقة إلى نفوس العرب ووضعتهم وجهاً «لوجه أمام العثمانيين والأوروبيين بما يمتلكون من إمكانات لانتزاع حقوقهم القومية»[١٣].

أدت تلك العوامل إلى التنامي السريع في الوعي القومي المتميز من الرابطة الإسلامية حيناً، والمتداخل معها حيناً آخر. ولم تعد «العصرية» الشرط الأساسي لإقامة الدولة العربية وديمومتها[١٤]، وإنما أضيف إليها شرط آخر هو اتسامها بـ:

١ ـ روح الكفاح والمقاومة.

٢ ـ وحدة النضال العربي من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي، أي ضمن كل الحدود الطبيعية للأمة العربية. ولقد أسهمت الثورة الجزائرية في مراحلها الأولى، بإنضاج هذا التطور وتعميقه، وقد عبر عنه قائدها الأمير عبد القادر الجزائري في خطبه ورسائله العديدة. ففي رسالة وجهها إلى القائد

---

(١٢) محافظة، **الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، ١٧٩٨ ـ ١٩١٤: الاتجاهات الدينية والسياسية والاجتماعية والعلمية**، ص ٢٨ ـ ٣٠.

(١٣) عبد الكريم رافق، **العرب والعثمانيون، ١٥١٦ ـ ١٩١٦** (دمشق: مكتبة أطلس، ١٩٧٤)، ص ٥١٤.

(١٤) صلاح العقاد، **المغرب العربي: الجزائر، تونس، المغرب الأقصى**، ط ٢ (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٦٥)، ص ١٢٢.

الفرنسي بيجو عام ١٨٤١ تلمح إدراكاً متميزاً لحقيقة أن الفرنسيين والأتراك أغراب بالنسبة إلى بلاده: «ان هذه القارة هي بلاد العرب، ومهما مكثتم معشر الفرنسيين فلستم إلا عابري سبيل، ولو طال مكثكم فيها ثلاثمائة عام، مثل الترك، سينتهي الأمر بخروجكم منها». وعلى رغم قوة العامل الديني لثورة عبد القادر الجزائري، فإن نظرته إلى الترك كنظرته إلى الفرنسيين، يمكن أن تستند إلى انتماء قومي[(١٥)].

وأدت ظروف الكفاح المسلح ضد الفرنسيين إلى تطور آخر في هذا الإحساس له أهميته، فالعرب، كما يعلم الأمير عبد القادر ليسوا ورثة أمة ذات حضارة وحسب، وإنما أبناء أمة مناضلة شمل نضالها تاريخها كله[(١٦)].

فالنضال هوية العروبة، وقد نال تأكيداً مستمراً من مثقفي مغرب الأمة ومشرقها، ولعل أبرزهم: علي عبد السلام التسولي، ومحمد بن ادريس. ولقد تجسد نضال العروبة في المشرق بانتفاضة واسعة قادها مفتي بغداد عبد الغني آل جميل ضد واليها علي رضا باشا عام ١٨٣٢، فهو لم يفخر إلا لأنهم مناضلون ينتمون إلى أمة تأبى الذل وتخوض المنايا.

ومـا المجـد إلا دولـة وحـفـاظـهـا   صليل المواضي البيض والسمر اللدنا[(١٧)]

إن هذا الوعي لم يقتصر على مثقفي المدن، بل أخذ يحقق بعض الانتشار، بين جماهير قبلية من خارج المدن. فعلى سبيل المثال لا الحصر: طالب زعماء خمس عشرة قبيلة عربية في العراق، وبعض أبناء المدن، في عريضة واحدة رفعوها تضامناً مع انتفاضة عبد الغني آل جميل عام ١٨٣٢، طالبوا السلطة العثمانية بتوجيه إيالة بغداد، أي معظم العراق الحالي تقريباً «إلى أحد الوزراء من أبناء العرب، حيث أبناء الترك ما بقي عليهم اعتماد، ولا ترغب العشاير بهم، وحال العراق ليس خفياً على سعادتكم، من البصرة إلى ماردين، الجميع عشاير وعرب، ولا يتصورون أنهم يطيعونهم لعدم صدقهم، وقلة دينهم، فلم يعتمد

---

(١٥) عماد عبد السلام رؤوف، «الجمعيات العربية وفكرها القومي: ملامح الوعي القومي عند العرب منذ مطلع القرن التاسع عشر حتى قيام الحرب العالمية الأولى،» **المستقبل العربي**، السنة ٨، العدد ٨١ (تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٨٥)، ص ١١٢.

(١٦) خيرية عبد الصاحب وادي، **الفكر القومي العربي في المغرب العربي** (بغداد: [د. ن.]، ١٩٨٢)، ص ٣٧.

(١٧) **مجموعة عبد الغفار الأخرس في شعر عبد الغني الجميل وما قاله الأخرس فيه**، تحقيق عباس العزاوي (بغداد: شركة الطباعة والتجارة، ١٩٤٩)، ص ٢٣ ـ ٢٦.

أحد عليهم»[18]، وهناك أمثلة كثيرة لمثل هذه الحالة سواء في الشام أو غيرها من الولايات العربية[19].

وهكذا يمكن أن نميز، منذ وقت مبكر، بين مفهومين للعروبة:

الأول: المهادن للسيطرة العثمانية، والمتمسك بالرابطة الإسلامية والمستكين لقيم العصر التقليدية.

الثاني: الإنسان الجديد المتبرم من الوجود الأجنبي، حتى لو كان مسلماً، الداعي إلى الثورة صراحة، المطالب بحقوق سياسية تتلاءم ودور أمته الحضارية.

ثانياً: تبلور الوعي القومي العربي

١ - أثر المصلحين الإسلاميين في بلورة الوعي القومي

حاول الإسلام إحلال المفهوم الإسلامي (الجماعة الإسلامية) محل المفهوم القبلي، الذي كان سائداً في الجزيرة العربية، وفعلاً استطاع ذلك، لكن ليس بشكل تام، وأصبح الإسلام كمفهوم سياسي اجتماعي إيماني هو السائد، لكن العصبية القبلية برزت بقوة في القرن السابع عشر لتستغل من قبل كثير من الأسر والأمراء، في المناطق التي تمتعوا فيها بالنفوذ. وعرف التاريخ تحالفات قبلية قامت في الوطن العربي، حاولت أن تمد نفوذها إلى ما حولها، لكنها كانت تبوء بالفشل، لأنها كانت ذات طابع قبلي أولاً، ولأن الخلافة (السلطنة) وولاتها كانوا لها بالمرصاد ثانياً، وثالثاً لأن الحركات السياسية ذات الطابع الديني كالحركة الوهابية[20]، التي اصطدمت بالحكم العثماني، وسارت على نهجها الحركة السنوسية في ليبيا[21]، ومن ثم الحركة المهدية في

---

(١٨) مهدي جواد حبيب البستاني، «الوعي القومي العربي في العراق خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر،» **مجلة كلية الفقه** (الجامعة المستنصرية، النجف)، العدد ٢ (١٩٨٣)، ص ٦٨١ - ٦٨٤.

(١٩) انظر: جورج أنطونيوس، **يقظة العرب: تاريخ حركة العرب القومية**، ترجمة ناصر الدين الأسد وإحسان عباس؛ تقديم نبيه أمين فارس، ط ٢ (بيروت: دار العلم للملايين؛ نيويورك: مؤسسة فرانكلين، ١٩٦٦).

(٢٠) حول الحركة الوهابية التي نهض بها محمد بن عبد الوهاب (١٧٠٣ - ١٧٩٢م)، انظر: **كتاب لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب**، تحقيق أحمد مصطفى أبو حاكمة (بيروت: دار الثقافة، [١٩٦٧])، ومحمد بن عبد الوهاب، **في عقائد الإسلام** (بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٨١).

(٢١) حول الحركة السنوسية التي أسسها محمد بن علي السنوسي (١٧٨٧ - ١٨٥٩م)، انظر: أحمد صدقي الدجاني، **الحركة السنوسية: نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر** (بيروت: دار لبنان، ١٩٧٦)، و Nicola A. Ziadeh, *Sanusiyyah: A Study of a Revivalist Movement in Islam* (Leiden: E. J. Brill, 1958).

السودان[٢٢]، كان تأثيرها ضيقاً وفعالياتها محدودة النطاق ولم تتحول إلى تيار عام، كما هو الحال في دعوة جمال الدين الأفغاني، الذي يعد أحد رواد الإصلاح الحديث، تلك الدعوة التي شهدتها البلدان العربية والإسلامية.

الذي يهمنا من تيار الإصلاح الديني، دوره في بلورة الوعي القومي العربي. لقد كان جمال الدين الأفغاني (١٨٣٩ ـ ١٨٩٧)، يؤمن بأن الخطر الرئيسي الذي يهدد العالم العربي والإسلامي يكمن في العدوان الأوروبي[٢٣]. وبالمقابل استطاع الأفغاني أن يتبين الجانب المُشرِق في الحضارة الأوروبية والأسباب الحقيقية الكامنة وراء القوة الأوروبية، واعتبر الإنكليز «من أرقى الأمم، تعرف معاني العدل وتعمل بها، ولكن في بلادها، ومع الإنكليز أنفسهم»[٢٤]. فكان يعلم أن المنجزات الأوروبية مبعثها «العلم والمعرفة»، حيث استطاع الأوروبيون استخدام ذلك بشكل صحيح، وهنا تكمن أصالة الأفغاني كمصلح إسلامي.

إن الهدف الذي ناضل من أجله جمال الدين الأفغاني هو «الوحدة الإسلامية»، التي تنطوي تحت لوائها جميع القوميات التي تدين بالإسلام[٢٥]. لكن هذا لا يعني إنكار دور العرب وتميزهم القومي بين القوميات الأخرى المنضوية تحت خيمة هذه (الوحدة) الجامعة الإسلامية. فلا جامعة إسلامية من دون عروبة، لأنه يعلم جيداً «ان الأمة العربية هي عرب قبل كل دين ومذهب، وهذا الأمر من الوضوح والظهور للعيان، ولا يحتاج إلى دليل أو برهان»[٢٦]. بل دعا إلى أن تتخذ الدولة العثمانية اللغة العربية لغة رسمية للبلاد، وبذلك يلفت النظر إلى مسألة مهمة أهملها الأتراك يتوقف عليها مصير الدولة العثمانية، وهي أنهم «أهملوا أمراً عظيماً وكلمة نافعة... هي قبول

---

(٢٢) حول الحركة المهدية التي أسسها محمد بن أحمد المهدي (١٨٤٣ ـ ١٨٨٥م)، انظر: الصادق المهدي، **يسألونك عن المهدية** (بيروت: دار القضايا، ١٩٧٥).

(٢٣) جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، جامعان، **العروة الوثقى لا انفصام لها**، ط ٣ (بيروت: ١٩٣٣)، ج ٢، ص ٦٨.

(٢٤) المصدر نفسه، ص ٤١٦.

(٢٥) عواطف عبد الرحمن، **مصر وفلسطين**، سلسلة عالم المعرفة؛ ٢٦ (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٠)، ص ٢٩.

(٢٦) جمال الدين الأفغاني، **الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني، مع دراسة عن الأفغاني الحقيقة الكلية**، تحقيق ودراسة محمد عمارة، ٢ ج (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٩)، ج ١، ص ٣٧٧.

اللسان العربي، لسان الدولة وتعميمه بين الإسلام من الأعاجم ليفقهوا أحكامه»[٢٧]. ويؤكد ذلك ثانية بالقول: «لو أن الدولة العثمانية اتخذت اللسان العربي، لساناً رسمياً، وسعت لتعريب الأتراك، لكانت في أمنع قوة. إنها لو تعربت لانتفت من بين الأمتين النعرة القومية، وأزالت دواعي النفور والانقسام، وصاروا أمة عربية بكل ما في اللسان من معنى، لكن مع الأسف كان عدم قبول فكرة تعميم اللسان العربي خطأً بليغاً بيناً... لو أنصف الأتراك أنفسهم وأخذوا بالحزم واستعربوا... فمن كان من دون الأرض أغنى منهم مملكة؟ أو أعز جانب؟ أو أمنع قوة؟»[٢٨]. لكن الدولة العثمانية، كما هو معلوم، فعلت العكس في أيامها الأخيرة، فحاولت تتريك العرب.

وقد اتخذ الأفغاني من ماضي العرب القيادي دليلاً على وجوب قيادة العرب للشعوب الإسلامية، فلقد قاد العرب شعوب الشرق ضد البيزنطيين الذين تعربوا بعد ذلك.

ويذهب الأفغاني في اللغة أبعد من ذلك فيجعلها جوهر القومية «لا سعادة إلا بالجنسية، ولا جنسية إلا باللغة، ولا لغة ما لم تكن حاوية لكل ما تحتاج إليه طبقات أرباب الصناعات والخطط في الإفادة والاستفادة». ويمضي الأفغاني بالقول: «إن الروابط التي تربط جماعات كبيرة من الناس، اثنتان: وحدة اللغة ووحدة الدين. وحدة اللغة، هي الأساس التي تقوم عليه الجنسية (القومية). واللغة أشد ثباتاً، وأكثر دوماً من الدين، لأننا نعرف أمماً غيرت دينها، خلال ألف عام مرتين، بل وثلاث مرات، من دون أن يطرأ خلل على وحدتها اللغوية والقومية. نستطيع أن نقول ذلك، إن تأثير رابطة اللغة ـ في هذه الدنيا ـ أقوى من تأثير الدين»[٢٩]. وتوصل الأفغاني في المقال ذاته إلى الاستنتاج العام التالي: «إن اللغة عنصر جوهري في خلق مجتمع مستقر، والجماعات البشرية التي ليست لها لغة مشتركة لا تملك وحدة ثابتة»[٣٠].

---

(٢٧) المصدر نفسه، ص ٢٢٤.

(٢٨) المصدر نفسه، ص ١٥٥، ومحمد المخزومي، **خاطرات جمال الدين الأفغاني الحسيني** (بيروت: المطبعة العلمية، ١٩٣١)، ص ٣٣.

(٢٩) ساطع الحصري، **ما هي القومية؟ أبحاث ودراسات على ضوء الأحداث والنظريات** (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٥٩)، ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦.

(٣٠) المصدر نفسه، ص ٢٢٧، والبرت حوراني، **الفكر العربي في عصر النهضة، ١٧٩٨ ـ ١٩٣٩**، ترجمة كريم عزقول، ط ٣ (بيروت: دار النهار، ١٩٧٧)، ص ١١٨.

ويمكن القول من وجهة نظر قومية ان الأفغاني قد ذهب بعيداً، لكن مما لا شك فيه أن الأفغاني حمل في فكره، اللاحق خصوصاً، بذور الفكرة القومية من ناحية، والعروبة من ناحية أخرى. فجميع الآراء الآنفة الذكر تكشف عن جوانب في أفكاره، شجعت، موضوعياً، ظهور وعي قومي عربي. فضلاً عن ذلك، فإن هذه الجوانب قد شدد عليها وأسهب فيها تلاميذ عرب(٣١).

وبجرأة وللتأكيد على أفكاره لم يتردد الأفغاني وأنصاره في شجب الطائفية، فدعا إلى دفن الخلافات «الثانوية التافهة البالية» بين الطائفتين الشيعية والسنية. وكانت تلك إحدى دعواته التي مارسها طول حياته بحيث ان المذهب الديني للأفغاني بقي غامضاً وموضع جدل إلى يومنا هذا، مما أعطى احتراماً وتقديراً عاليين من جميع رجال الدين المسلمين للطائفتين على حد سواء، وأثر بشكل إيجابي فيهم.

أما محمد عبده (١٨٤٩ ـ ١٩٠٥) فلم يخرج عن الإطار العام لفكر جمال الدين الأفغاني، إلا أنه أغناه ووسعه وقدمه في صورة متكاملة، لكنه اختلف معه في وسائل العمل، ولا سيما بعد فشل الثورة العرابية، التي كانت محط آمال الأفغاني وعبده على حد سواء.

كانت نقطة الانطلاقة في تفكير الشيخ محمد عبده هي الانحلال الداخلي والحاجة إلى التجديد في الإسلام. وعلى عكس الأفغاني، الذي لم يكن الإطار المجتمعي، الذي ينشد له الإصلاح، محدَّداً، نجد أن المجتمع الذي ينشد إصلاحه عبده محدداً بالمجتمع المصري، بل إنه حدده بغالبية الشعب المصري من الفلاحين بوجه خاص، وهم الفئة الاجتماعية الواسعة التي خرج منها عبده، وظل ملتزماً بمصلحتها الاجتماعية في كل نشاطاته، ومنها مجاله الأوسع، وهو الإصلاح الديني(٣٢). ولعل هذا الالتزام هو الذي وضع محمد عبده في موقف ناقد لتجربة محمد علي، الذي اهتم بالدولة على حساب المواطن المصري عموماً والفلاح المصري بوجه خاص.

---

(٣١) نظمي، «ملامح من الفكر العربي في عصر اليقظة وعلاقته بفكرة القومية العربية،» ص ٧٧.

(٣٢) لمزيد من التفاصيل، انظر: أحمد أمين، **محمد عبده** (القاهرة: مؤسسة الخانجي، ١٩٦٠)، ص ٢٤ ـ ٥٦؛ محمد بشير خولة، **محمد عبده المصلح الديني في القرن التاسع عشر** (بيروت: [د.ن.]، ١٩٥١)، ص ٢ ـ ١٧، وعثمان أمين، **رائد الفكر المصري الإمام محمد عبده** (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٥)، ص ٢٤ ـ ٥٦.

كان تفكير محمد عبده تفكيراً إصلاحياً بعيداً عن الثورة، التي دعا إليها أستاذه الأفغاني، فأكد على نشر التعليم لتحقيق النهضة، وفهم التراث والوقوف بتبصر أمام الموجة الغربية التي بدت وكأنها تكتسح التراث، وتعرض الشخصية العربية الإسلامية للخطر. فقد نبه إلى خطر الذوبان، ودعا إلى تأكيد الذات، والتأكيد على اللغة العربية والإحياء العربي[٣٣]. فمحمد عبده كان من المؤمنين بالعربية كضرورة لفهم القرآن، وقد دافع عن الفصحى ضد اللهجات المحلية وضد توسع اللغات الأجنبية على حسابها، ودعا في الوقت ذاته إلى تجديد العربية وساهم في تحقيق ذلك[٣٤].

لذا يمكن القول إن مهمة محمد عبده كانت ذات شقين: **الأول** إعادة تحديد ماهية الإسلام الحقيقي، **والثاني** النظر في مقتضياته بالنسبة للمجتمع الحديث، مؤكداً «أن الأول يهدف إلى تحرير الفكر من قيد التقليد، وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف، والرجوع في كسب معارفه من ينابيعها الأولى، واعتباره من ضمن العقل البشري التي وضعها الله لترد من شططه». والثاني «إصلاح أساليب اللغة العربية في التحرير... والتمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب، وما للشعب من حق العدالة على الحكومة»[٣٥].

على أن المهم في أفكار عبده أنه فسر جمود وضعف الدعوة الإسلامية بتسرب عناصر غير عربية إلى الإدارة الإسلامية. إن هؤلاء المسلمين غير العرب ممن كانوا «يؤمنون شفاهاً لا قلباً»[٣٦]، هم في نظر عبده العامل الرئيسي في انحلال الحضارة الإسلامية. وفي عام ١٩٠٠ كتب عبده انه إلى حين حلول عهد المعتصم (٢١٨هـ - ٢٢٧هـ)، (٨٤٢م - ٨٨٣م)، كان الإسلام زاهراً وقوياً، لأنه يرتكز على التفكير العقلاني والعلم. إلا أن تسرب الحكم إلى غير العرب «لا سيما الفرس والجنود الأجانب الأتراك» بذر بذور الضعف والتدهور في الإسلام[٣٧].

---

(٣٣) محمد عبده، **الإسلام دين العلم والمدنية**، عرض وتحقيق طاهر الطناحي (القاهرة: دار الهلال، [د.ت.])، ص ٩٥ - ٩٦.

(٣٤) المصدر نفسه، ص ٩٦.

(٣٥) محمد رشيد رضا، **تاريخ محمد عبده.. وخلاصة سيرة.. جمال الدين الأفغاني** (بيروت: ١٩٤٩)، ج ١، ص ٥١١ - ٥١٢.

(٣٦) يقصد عبده بهؤلاء المسلمين غير العرب، الموظفين في الدولة العثمانية من بويهيين، وسلاجقة وعثمانيين.

(٣٧) رضا، المصدر نفسه، ص ٥١٥ - ٥٢٠.

وعلى الرغم من تمجيد عبده للعرب فإنه حذرهم من الاستقلال أو الانفصال عن الدولة العثمانية، التي أكد على استبداديتها وجمودها، لأنه كان يعتقد أن انفصال العرب عن الدولة العثمانية سيجر إلى تدخل أوروبي يؤدي في النتيجة إلى إخضاع العرب والأتراك معاً للغرب[٣٨].

كان عبده يؤمن بأن الحكم العثماني، على رغم كل نواقصه، لا يزال يمثل التجسيد الأخير للاستقلال السياسي لـ «الأمة»[٣٩]. وفي حالة زواله فسيفقد المسلمون كل شيء، ويصبحون عديمي الحول والقوة مثل اليهود[٤٠].

وأخيراً لا بد من القول إن تأكيد عبده على دور العرب الحضاري، قد طوره في ما بعد رشيد رضا وعبد الرحمن الكواكبي، وقد ساعدا على إبراز الوعي القومي العربي.

لقد سار رشيد رضا (١٨٦٥ ـ ١٩٣٥) على خط أستاذه عبده، لكنه ذهب أبعد باتجاهه إلى سلفية واضحة[٤١]. أما الفكرة العربية فكانت تالية في كل مواقفه للفكرة الإسلامية، ففكرة العودة إلى الإسلام الأول أكدت بالضرورة الاحياء العربي عنده[٤٢].

وفي عام ١٩٠٤ دعا رشيد رضا إلى محاربة السلطان، استناداً إلى الشورى الإسلامية[٤٣]. وانتقد بمرارة معاملة الأتراك للعرب[٤٤]. وعلى الرغم مما لقيه من اضطهاد من العثمانيين بسبب أفكاره[٤٥]، ظل على أمل المحافظة على السلطنة العثمانية. لقد ربط رضا بين العروبة والإسلام ربطاً وثيقاً في مقالاته التي كانت تنشرها مجلة **المنار**، بقوله: «قلت انني عربي مسلم، فأنا أخ في

---

(٣٨) المصدر نفسه، ص ٩١٢.

(٣٩) المصدر نفسه، ص ٩١٣.

(٤٠) شكيب أرسلان، **السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة** (دمشق: مطبعة ابن زيدون؛ القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٣٧)، ص ١٧.

(٤١) الدوري، **التكوين التاريخي للأمة العربية: دراسة في الهوية والوعي**، ص ١٦٦.

(٤٢) **المنار** (القاهرة)، السنة ٧ (١٩٠٤)، ص ٩٥٥.

(٤٣) **المنار**، السنة ٣ (١٩٠٠)، ص ١٩٣.

(٤٤) قامت السلطات العثمانية بتعطيل مجلة **المنار** واعتقلت أبا رشيد رضا كما صادرت بيته في لبنان. انظر: أرسلان، **السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة**، ص ١٤٠ ـ ١٤٥.

(٤٥) لتأييد الأفغاني وهجومه على الصوفية، واتهامه بالتآمر مع محمد عبده لتشكيل دولة عربية مستقلة، انظر: ابراهيم أحمد العدوي، **رشيد رضا: الإمام المجاهد** (القاهرة: المؤسسة المصرية العامة، [د.ت.])، ص ٨٩.

الدين لألوف الألوف من المسلمين العرب وغير العرب، وأخ في الجنس لألوف الألوف من العرب المسلمين وغير المسلمين»[٤٦].

لكنه منذ عام ١٩٠٨ أعرب عن مخاوفه إزاء الميول القومية التركية لجمعية الاتحاد والترقي[٤٧]. وبحلول عام ١٩١٣ كانت معظم صفحات **المنار** مكرسة لهجوم عنيف على «الاتحاديين»، وسياستهم العنصرية والعدائية تجاه العرب[٤٨]. وقَبِل، خلال الحرب العالمية الأولى، المساعدة البريطانية من أجل تشكيل حكومة عربية، فوقع بذلك في مأزق فكري. لكننا نجده ينصح الشريف حسين بإنهاء تحالفه مع بريطانيا، عندما اكتشف التآمر البريطاني على العرب، وحذر القادة العرب من الخطط والنيات البريطانية[٤٩].

وآخر من نذكره من رواد الإصلاح في القرن التاسع عشر هو عبد الرحمن الكواكبي (١٨٤٨ ـ ١٩٠٢)، فهو أول من دعا إلى نقل الخلافة من الأتراك إلى العرب، وإلى وجود خليفة عربي، بل خصه أن يكون قريشياً[٥٠]. وقال: «ان العرب أحرص الناس على الإسلام»[٥١]. وهاجم العثمانيين بشكل علني لأنهم، في رأيه، لم يكونوا مؤهلين لتولي شؤون الإسلام، وفرطوا بوحدة الإمبراطورية وعاملوا العرب معاملة ظالمة جهنمية[٥٢].

والكواكبي الذي كان يهدف إلى الفحص عن البنية التنظيمية للمجتمع العربي تمهيداً لإصلاحها يطرح جملة تساؤلات مهمة تدل على شمولية نظرته، مثل: ما هي الحكومة؟ ما هي الأمة أي الشعب؟ ما هي الحقوق العامة؟ كيف توضع القوانين؟ وكيف يكون الترقي في العلوم والمعارف؟ وكيف يتم السعي في العمران؟ وغيرها كثير.

---

(٤٦) انظر: **المنار**، السنة ٧ (١٩٠٤)، ص ٦، ويجدر بالذكر أن الأمير شكيب أرسلان سار على النهج نفسه في مقالاته التي كانت تنشرها مجلة **الأمة** الصادرة بالفرنسية في جنيف خلال الأعوام (١٩٣٠ ـ ١٩٣٨). لمزيد من التفاصيل، انظر: **المنار** (١٩٣٠ ـ ١٩٣٨).

(٤٧) **المنار**، السنة ١٢ (١٩٠٨)، ص ١٠، ٨٣٦، ٨٤١، ٨٤٢ و٨٥٩.

(٤٨) **المنار**، السنة ١٦ (١٩١٣)، ص ٦، ٥٥، ٦٢، ١٠٧، ١٣٠، ١٣٦، ١٤٠، ١٤٥، ٢٣١، ٤٧١، ٥٥٠، ٧١٩، ٧٥٣ و٧٧١.

(٤٩) انظر: أرسلان، **السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة**، ص ١٥٢ ـ ١٥٦.

(٥٠) عبد الرحمن الكواكبي، **الأعمال الكاملة لعبد الرحمن الكواكبي**، تحقيق ودراسة محمد عمارة (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٥)، ص ١٥٨ ـ ١٦٧.

(٥١) المصدر نفسه، ص ١٠٨.

(٥٢) المصدر نفسه، ١٦٨.

والحقيقة أنه لم يقدم الكواكبي فكراً قومياً متكاملاً. ربما لم تتح له الفرصة لأن يفعل ذلك، بسبب حياته القصيرة، لكننا نستطيع القول بأنه كان يتلمس وعياً قومياً عربياً من خلال عرضه لنظرية الاستبداد، فهو عندما يتساءل ما هي الأمة، وما هو الشعب؟ يتابع تساؤله على الشكل التالي: «هل هي ركام مخلوقات نامية؟ أم جمعية عبيد لمالك متغلب..؟ أم هي جمع جمعت بينهم روابط جنس ولغة ووطن وحقوق مشتركة وجامعة سياسية اختيارية»[٥٣].

وفي كتابه **طبائع الاستبداد** يخاطب الكواكبي العرب من مسلمين وغير مسلمين قائلاً: «يا قوم وأعني بكم الناطقين بالضاد ـ هذه أمم أوستريا (أي النمسا) وأمريكا قد هداها العلم لطرائق شتى وأصول راسخة للاتحاد الوطني دون الديني، والوفاق الجنسي دون المذهبي، والارتباط السياسي دون الإداري. فما بالنا نحن لا نفتكر في أن نتبع إحدى تلك الطرائق أو شبهها؟ فيقول عقلاؤنا لمثيري الشحناء من الأعاجم والأجانب: دعونا يا هؤلاء نحن نتدبر شأننا، نتفاهم بالفصحاء ونتراحم بالإخاء.. دعونا نتدبر حياتنا الدنيا ونجعل الأديان تحكم في الآخرة، فقط دعونا نجتمع على كلمة سواء، ألا وهي: فلتحيا الأمة، فليحيا الوطن، فلنحيا طلقاء أعزاء»[٥٤]. فإذا تذكرنا أن هذا الكلام يأتي تحت عنوان «الاستبداد والترقي»، وإذا نظرنا إلى الأمثلة التي يقدمها الكواكبي من المجتمعات الغربية كإيطاليا وفرنسا وهولندا وغيرها، وإذا عدنا وتأملنا كلماته وعباراته مثل «يا قوم» و«مثيري الشحناء من الأعاجم والأجانب» و«دعونا نتدبر حياتنا الدنيا ونجعل الأديان تحكم في الآخرة فقط»، وغير ذلك، لأدركنا أن هذا كله لا يمكن أن يصدر إلا عن مفكر يحمل فكراً قومياً، أو بذور فكر قومي على أقل تقدير.

مما تقدم يمكننا القول إن جميع دعاة الإصلاح المتأثرين بالمبادئ الإسلامية كانوا يمتدحون العرب، فأفكارهم كانت تنطوي على نزعة قوية نحو «القومية». ويعتبر الكواكبي أول من طور هذا التمجيد إلى الحد الأقصى واستخلص منه مضامين فكرية وسياسية جدية.. بل نتلمس في أفكاره الدعوة إلى وحدة عربية قائمة على المقومات القومية في الفكر الحديث.. وسنجد أن «القومية» الخالصة التي تبلورت في أوساط المثقفين العرب المسيحيين، حملت الكثير من هذه

---

(٥٣) المصدر نفسه، ص ٢١٨.

(٥٤) المصدر نفسه، ص ٢٠٨.

الخصائص، وإن كانت قد تجاوزتها في مضيها على طريق التحديث، واقترابها من معالم العصر.

٢ ـ دور المثقفين العرب المسيحيين في بلورة الوعي القومي

إذا كانت فكرة القومية العربية، في العصر الحديث، هي ثمرة جهود العرب المسلمين والمسيحيين، فإن المسيحيين، العرب، كانوا يشعرون بالبعد الكبير بينهم وبين الدولة العثمانية، لافتقاد الرابطة الدينية، وشعورهم بأنهم أدنى درجة من غيرهم في إطار الدولة العثمانية، وكان أبناؤهم بعيدين عن المدارس الحكومية، وبشكل عام لم يكونوا مرتبطين بالدولة ارتباطاً قلبياً، وإنما كانوا يخضعون لحكمها اضطراراً(٥٥). لذلك ركز المثقفون العرب المسيحيون على الدعوة إلى حكومة تضمن المساواة بين المواطنين، بغض النظر عن معتقداتهم الدينية، ليجدوا في العربية لغة وثقافة قاعدة قومية عربية مشتركة.

من أبرز تلك الشخصيات ناصيف اليازجي (١٨٠٠ ـ ١٨٧١) وبطرس البستاني (١٨١٩ ـ ١٨٨٣)، اللذان سيطرا على الحياة الفكرية، في تلك الفترة، بعد أن جمعا بين الثقافة الغربية والثقافة العربية.

لقد أدركا أوضاع المجتمع العربي ومشاكله في ظل الحكم العثماني الاستبدادي، وحالات التخلف والانحطاط والجور في مجتمعهم، والطائفية التي تغذيها السلطة العثمانية والأيدي الأجنبية، مثل حماية فرنسا للموارنة في لبنان وبريطانيا للدروز(٥٦) التي أدت في النهاية إلى المذابح عام ١٨٦٠ في لبنان بين الدروز والمسيحيين، ليستفيق العرب هناك على دائهم المرير. فقام البستاني بإصدار صحيفة **نفير سوريا** عام ١٨٦٠، ودعا فيها إلى الألفة والإخاء وإصلاح ذات البين بين الطوائف وشخَّص علتها بعدم التمدن، ومكافحتها إنما تكون بالعلم والحضارة والتمدن(٥٧). وفي عام ١٨٧٠ أصدر مجلة **الجنان** وجعل

---

(٥٥) ساطع الحصري، **محاضرات في نشوء الفكرة القومية** (القاهرة: مطبعة الرسالة، ١٩٥١)، ص ١٢٢.

(٥٦) أحمد طربين، **لبنان منذ عهد المتصرفية إلى بداية الانتداب، ١٨٦١ ـ ١٩٢٠**، محاضرات ألقاها على طلبة قسم الدراسات التاريخية (القاهرة: جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٨)، ص ٣٧١، وبشارة خليل الخوري، **حقائق لبنانية، من ١٠ آب سنة ١٨٩٠ إلى ١٨ أيلول ١٩٥٢**، ٣ ج (بيروت: منشورات أوراق لبنانية، [١٩٦١])، ج ٢، ص ٨٧ ـ ٨٩.

(٥٧) محمد يوسف نجم، **العوامل الفعالة في تكوين الفكر العربي الحديث** (بيروت: ١٩٦٦)، ص ٦١.

شعارها «حب الوطن من الإيمان»، ويقصد بالوطن سوريا غير المنفصلة عن التراث الثقافي العربي[٥٨]. وهكذا تلتقي الوطنية السورية عند البستاني بفكرة العروبة.

أما ابراهيم اليازجي (١٨٤٧ ـ ١٩٠٦) فقد تغنى بشعره الذي يمجد تراث العرب وتفوقهم في العلوم، وأرجع تأخر العرب إلى إهمالهم العلوم، وسيطرة الأجانب عليهم، وحلول التعصب محل الدين، ورأى أن استعادة العرب لمجدهم لا تتم إلاّ ببذل الجهود والتضحية[٥٩].

لقد ذكَّر ابراهيم اليازجي بالأمجاد العربية في أكثر من قصيدة، مثل قصيدته الميمية، التي جاء فيها:

سلام أيها العرب الكرام   وجاد ربوع قطركم الغمام[٦٠]

كذلك قصيدته البائية، وكان مطلعها:

تنبهوا واستفيقوا أيها العرب   فقد طمى الخطب حتى غاصت الركب[٦١]

إن جوهر هذه القصائد هو تحريض العرب على الثورة، والتغني بأمجادهم وبمفاخر آدابهم، وبالمستقبل الذي يستطيعون أن يصنعوه لأنفسهم باستلهام ماضيهم، وحذرت من شرور التفرقة الطائفية، ونددت بفساد الحكم، وأهابت بالعرب أن يتحدوا بوجه النير التركي ويتخلصوا منه.

أما يوسف كرم فيقترح منذ عام ١٨٧٠ إقامة دولة عربية كونفدرالية في الجزء الآسيوي من الوطن العربي، على أساس علماني وتحت سلطة الأمير عبد القادر الجزائري[٦٢].

---

(٥٨) كمال سليمان الصليبي، **تاريخ لبنان الحديث** (بيروت: دار النهار، ١٩٦٧)، ص ١٩٩.

(٥٩) حول حياة وأعمال ابراهيم اليازجي، انظر: بطرس البستاني، **أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث** ([بيروت]: دار مارون عبود، [د.ت.])، ج ٣، ص ٣٦١ ـ ٣٧٥، وعيسى ميخائيل سابا، **الشيخ ابراهيم اليازجي**، سلسلة نوابغ الفكر العربي؛ ١٤ (بيروت: دار المعارف، ١٩٥٥)، ص ٤٣. ويجدر بالذكر أن ابراهيم اليازجي هو ابن الشيخ ناصيف اليازجي.

(٦٠) حول نص القصيدة، انظر: محمد عزة دروزة، **حول الحركة العربية الحديثة: تاريخ ومذكرات وتعليقات**، ٦ ج (صيدا: المطبعة العصرية، ١٩٥٠ ـ ١٩٥١)، ج ١، ص ٩٢.

(٦١) انظر نص القصيدة في: المصدر نفسه، ص ٩٢ ـ ٩٣.

(٦٢) سمعان الخازن، **يوسف بك كرم في المنفى: صفحة رائعة من تاريخ لبنان المجيد في القرن التاسع عشر**، في سبيل تاريخ لبنان (طرابلس: مطبعة الإنشاء، ١٩٥٠)، ص ٣٤٦ ـ ٣٦٢.

أما نجيب عازوري (المتوفى عام ١٩١٦) فقد دعا إلى تكوين دولة مستقلة دستورياً ومنفصلة عن الدولة العثمانية، وتضم جميع الولايات العربية في آسيا[٦٣]. وكان يتصور تحول الحجاز إلى إمبراطورية مستقلة لها حاكمها الخاص، هو خليفة كل المسلمين، والتي ينبغي أن تضمن المساواة بين رعاياها المسلمين وغير المسلمين على حد سواء[٦٤]. ولم يدرج عازوري في دولته مصر وشمال افريقيا، لأنهما «ليستا عربيتين بكل معنى الكلمة»[٦٥]، على حد تعبيره، لكنه ناقض نفسه، إذ ذكر أن «المصريين ليسوا مؤهلين لحكم أنفسهم بعد، وينبغي عليهم أن يكونوا ممتنين للإدارة البريطانية الجيدة»[٦٦].

وهكذا يكون عازوري قد دعا إلى مملكتين عربيتين، إحداهما في سوريا الطبيعية، والأخرى في الجزيرة العربية، ولم يربط نظرته الوحدوية بالاستقلال، كما ناقض دعوته إلى العلمانية[٦٧]، وهي ما دعا إليها حتى في برنامج جمعيته، التي أسسها في باريس عام ١٩٠٥ باسم «جمعية الجامعة العربية»[٦٨].

ويميز عازوري بين الدول الأوروبية الاستعمارية، ففي حين يدافع عن بريطانيا وفرنسا ومصالحهما في الوطن العربي، يعلن حربه على الاستعمارين الألماني والروسي، بل يدعو العرب إلى الاعتماد على بريطانيا وفرنسا لتحقيق أهدافهم في التحرر والوحدة. ففرنسا في رأيه، تقدِّم «من بين كل الدول الأوروبية المساعدة الأسخى والأكثر عفوية للمظلومين والتعساء»[٦٩]. ودافع عن

---

(٦٣) نجيب عازوري، **يقظة الأمة العربية**، تعريب وتقديم أحمد بو ملحم (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٨)، ص ٢٢٠. ويجدر بالذكر أن عازوري أصدر هذا الكتاب باللغة الفرنسية في باريس عام ١٩٠٥.

(٦٤) المصدر نفسه.

(٦٥) المصدر نفسه، ص ١١٩. والحقيقة أنه لم يكن عازوري الوحيد في استبعاد مصر والمغرب العربي عن الدولة العربية المنشودة، بل إن الاتجاه العربي الوحدوي، آنذاك، كان يركز على تحرير الولايات العربية الواقعة تحت السيطرة العثمانية وتحقيق استقلالها ووحدتها، وحيث إن مصر لم تكن واقعة تحت السيطرة العثمانية الفعلية، لذلك لم يجر الحديث عنها. وهذا الموقف نجده حتى في ميثاق دمشق، الذي صاغته الجمعيات العربية السرية واعتمده الشريف حسين في مباحثاته مع بريطانيا لاستقلال العرب ووحدتهم، واستمر هذا الاتجاه حتى بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى.

(٦٦) نقلاً عن: حوراني، **الفكر العربي في عصر النهضة، ١٧٩٨ ـ ١٩٣٩**، ص ٢٧٨.

(٦٧) أنيس صايغ، **الهاشميون والثورة العربية الكبرى** (بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٦)، ص ٤٩ و٦٥.

(٦٨) انظر: عازوري، **يقظة الأمة العربية**، ص ٢١٩.

(٦٩) المصدر نفسه، ص ١٠٦.

استغلال بريطانيا لمستعمراتها زاعماً أن ذلك «يساهم في نشر الرخاء في كافة البلدان»(٧٠)، بل يذهب أبعد من ذلك ليبرر ويرحب بالاستعمار الأوروبي «البريطاني والفرنسي» للوطن العربي. ففي تبريره للاستعمار البريطاني لمصر، يقول: «فليعطونا في سورية إدارة مصرية، ويعني إدارة إنكليزية، وسيرى المرء ما إذا كنا سنستمر في الهجرة إلى مصر وأمريكا»(٧١). وفي ترحيبه بالاستعمار الفرنسي للوطن العربي، يقول: «لن يكون لأحد حق أفضل في أن يحكمنا من فرنسا، وما من دولة مثلها سيجري الترحيب بها بحرارة حينما تنزل في البلاد العربية في اللحظة التي يتقرر فيها تجزئة الامبراطورية العثمانية»(٧٢). حتى انه يبرر احتلال بريطانيا لقبرص «لأن هذه القاعدة تتيح للبحرية البريطانية الدفاع عن الدردنيل وخليج الإسكندرية ووادي الفرات ـ هذه المفاتيح الثلاثة إلى آسيا والمتوسط ـ ضد اندفاع روسي»(٧٣). ويمضي في مغالاته، تلك، فيقول: «ان فرنسا قد فتحت الجزائر لا لبناء مستعمرة منتجة، بقدر ما هو لتخليص المتوسط من قرصنة البرابرة التي فتكت بالتجارة الدولية ودمرتها»(٧٤).

فهل انخدع عازوري بأساليب الاستعمارين الإنكليزي والفرنسي الخبيثة؟ وانطلت عليه الأهداف الاستغلالية لهاتين الدولتين الاستعماريتين، مما جعله يفرق بين روسيا والمانيا من جهة، وبريطانيا وفرنسا من جهة أخرى، حيث نجده يقول: «يوجد في تركيا تياران متعاكسان، التيار الأول عادل إنساني متحرر نبيل هو التيار الإنكليزي، والتيار الثاني رجعي بربري متعصب أناني، هو التيار الروسي، تدعم الأول فرنسا وإيطاليا»(٧٥).

الواقع أني لا أذهب مع ما ذهب إليه بعض الباحثين(٧٦)، من أن

---

(٧٠) المصدر نفسه، ص ١٠٨.

(٧١) المصدر نفسه، ص ١٠٧.

(٧٢) المصدر نفسه، ص ٢٨.

(٧٣) المصدر نفسه، ص ١٠٩.

(٧٤) المصدر نفسه، ص ١٠١.

(٧٥) ستيفان ويلد، «نجيب عازوري وكتابه «يقظة الأمة العربية»،» في: روجر اوين [وآخرون]، **الحياة الفكرية في المشرق العربي، ١٨٩٠ ـ ١٩٣٩**، إعداد مروان بحيري؛ ترجمة عطا عبد الوهاب (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٣)، ص ١١٣.

(٧٦) انظر: عبد الزهرة مكطوف الجوراني، «الفكر السياسي في المشرق العربي أواخر القرن التاسع عشر حتى عام ١٩١٤،» (أطروحة دكتوراه، الجامعة المستنصرية، معهد الدراسات القومية والاشتراكية، ١٩٩٠)، ص ١٧٣، وزاهية قدورة، «نجيب عازوري من خلال زمانه ومكانه،» الحلقة الأولى، **تاريخ العرب والعالم** (بيروت)، السنة ٣، العدد ٢٦ (كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٠)، ص ١١.

عازوري انخدع ببريطانيا وفرنسا وإيطاليا وأساليبها وأهدافها في الوطن العربي. فالإنسان العربي العادي، ومنذ ذلك الوقت، يرفض السياسة الاستعمارية الأوروبية في الوطن العربي، كيفما كانت تلك الدولة، فكيف ينخدع عازوري المثقف بهذه السهولة؟!!، في حين لم ينخدع المواطن العربي البسيط، بتلك الدول وأساليبها وأهدافها الاستعمارية؟ فعازوري اعتمد بشكل واع على الدول الأوروبية تلك، في تحقيق أفكاره ومشروعه ووعد باحترام مصالح رعايا تلك الدول في الوطن العربي، واعتمد على معاضدة تلك الدول في الكفاح ضد الدولة العثمانية، بل إنّ مشروعه ودعوته ينسجمان، إن لم يكونا ينطبقان، مع نظرة الدول الأوروبية تلك إلى الوطن العربي، وهي التي سعت إلى نشرها.

ويرى بعض المؤرخين والباحثين أن لعازوري دوراً بارزاً في تعميق الوعي القومي العربي وتبلوره وانتشاره(٧٧). لكن يبدو أن الواقع على عكس ذلك، فإن تأثير عازوري في الحركة القومية العربية والفكر القومي العربي كان ضئيلاً بسبب أن كتبه ومجلاته لم تكن تقرأ إلا نادراً، من قبل الأفراد أو المنظمات العربية(٧٨). كما لم يكن باستطاعته الحديث أو الكتابة بالنيابة عن العرب المسلمين، إضافة إلى أن فعالياته كانت محدودة جداً، لكننا بشكل عام، نستطيع القول إن هؤلاء الرواد العرب المسيحيين كانوا رواد مدرسة فكرية عربية ساهمت بشكل جدي في إحياء الفكر العربي وظهور القومية العربية(٧٩).

أما المثقفون العرب المسيحيون، الذين أعقبوا هؤلاء الرواد، فقد أدخلوا أفكاراً أكثر «تقدمية» في تحدي الأوضاع والمعتقدات القائمة آنذاك، فنجد فرح أنطون (١٨٧٢ ـ ١٩٢٢) الذي دعا إلى الفصل التام بين السلطتين السياسية والدينية(٨٠)، ودافع عن العلمانية، كما بشر بدولة قائمة على الوحدة الوطنية والعدل والمساواة والحرية(٨١). وكان يرى أن جوهر المجتمع يكمن في إخائه وانتمائه القوميين(٨٢).

---

(٧٧) الجوراني، المصدر نفسه، ص ١٧٥.

(٧٨) أنطونيوس، **يقظة العرب: تاريخ حركة العرب القومية**، ص ٩٩، حيث جميع ما كتبه كان باللغة الفرنسية.

(٧٩) الحصري، **محاضرات في نشوء الفكرة القومية**، ص ١٦٦ ـ ١٦٩.

(٨٠) فرح أنطون، **ابن رشد وفلسفته** (الإسكندرية: الجامعة، ١٩٠٣)، ص ١٤٧.

(٨١) المصدر نفسه، ص ١٦٠.

(٨٢) المصدر نفسه، ص ٦٠، ١٢٠ و١٩٠.

كما دعا إلى تبني جوهر الدين، وأن الصفاء بين الأديان الثلاثة ـ الإسلام والمسيحية واليهودية ـ يؤدي إلى تقوية الشعور القومي(٨٣). وحذر العرب من الدول الأوروبية، التي تستخدم الدين لأغراض سياسية، مؤكداً أن ولاء المسيحيين العرب، كان دائماً متجهاً إلى الشرق(٨٤). وأكد الحكم الديمقراطي في ضوء القوانين التي تضعها جمعية ممثلي الشعب، والشعب يجب أن يكون سيد نفسه(٨٥). لقد دلّت أفكاره هذه على أنه شرقي النزعة، غربي التفكير مع التزامه بالدولة العثمانية.

وفي الاتجاه ذاته أكد المطران جورج خضر ذلك، حيث يقول: «فحضارة أوروبا هي حضارة الأوروبيين، والنصارى العرب هم في قلب الحضارة العربية الإسلامية التي شاركوا في ازدهارها»(٨٦).

٣ ـ التنظيمات القومية العربية

أ ـ الجمعيات السياسية المحلية

توسع دور النخبة العربية المثقفة في تطوير الوعي القومي، فقد شهد النصف الأخير من القرن التاسع عشر ظهور تنظيمات محلية ذات طابع قومي، في بعض المدن العربية. ويتفق الباحثون والمؤرخون أن جمعية بيروت السرية، التي تأسست عام ١٨٧٥، تعد أول تنظيم سياسي عربي معارض للحكم العثماني، دعت في برنامجها إلى الثورة، وكان لها الأثر العميق في نفوس الشباب الناشىء، لما تضمنته نشراتها من نداءات حماسية، تتضمن تنديداً عنيفاً بمساوىء الحكم العثماني وتهيب بالسكان العرب بأن يثوروا عليه ويطيحوه(٨٧).

وضعت هذه الجمعية شعاراً لها، في أعلى منشوراتها، يمثل سيفاً مسلولاً، كتب تحته:

---

(٨٣) المصدر نفسه، ص ١٥١.

(٨٤) المصدر نفسه، ص ١٦٩ ـ ١٧٩ و٢٠٥.

(٨٥) المصدر نفسه، ص ١٦٤.

(٨٦) نقلاً عن: قسطنطين زريق، «المسيحيون العرب والمستقبل،» **المستقبل العربي**، السنة ٤، العدد ٢٧ (أيار/مايو ١٩٨١)، ص ٢٢.

(٨٧) أنطونيوس، **يقظة العرب: تاريخ حركة العرب القومية**، ص ١٥٠ ـ ١٥١؛ اميل توما، **تاريخ مسيرة الشعوب العربية الحديث** (بيروت: دار الفارابي؛ دار الأدب والثقافة، ١٩٧٩)، ج ١، ص ١٠٥ ـ ١٠٦، وزين نور الدين زين، **نشوء القومية العربية، مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية** (بيروت: دار النهار، ١٩٦٨)، ص ٦٠ ـ ٦٨.

لنطلبّن بحد السيف مأربنا فلن يخيب لنا في جنبه أربُ[٨٨]

أما المبادىء التي ناضلت من أجلها، فهي[٨٩]:

١ ـ منح سوريا الاستقلال متحدة مع جبل لبنان.

٢ ـ الاعتراف باللغة العربية لغة رسمية للبلاد.

٣ ـ رفع الرقابة والقيود الأخرى المفروضة على حرية التعبير، ونشر التعليم.

٤ ـ المطالبة باستخدام القوات المجندة من أهل البلاد في المهام العسكرية الداخلية فقط.

يلاحظ أن البرنامج قصر اهتمامه على توحيد لبنان مع سوريا بعد منحها الاستقلال، لكنه لم يوضح نوع الاستقلال، ويبدو أنه استقلال ذاتي[٩٠].

وتبرز قصيدة ابراهيم اليازجي البائية كعلامة بارزة لدراسة الجو السياسي آنذاك، فأبرز ما جاء في القصيدة أنها:

١ ـ استخدمت مصطلح «اليقظة العربية» لأول مرة في تاريخ العرب الحديث[٩١].

٢ ـ أشارت إلى اختلال التكوين العنصري في الدولة العثمانية، بعد فقدانها معظم ممتلكاتها الأوروبية، حيث يشكل العرب الفئة الكبرى في هذا التكوين.

٣ ـ العرب أصحاب السيادة على أراضيهم.

٤ ـ الدعوة بصراحة إلى الثورة المسلحة.

٥ ـ تنعى على العرب تفرقهم، الذي سببه العثمانيون.

والحقيقة أن فكرة الثورة والكفاح المسلح من أجل إقامة دولة عربية تعيد

---

(٨٨) جعفر عباس حميدي، «التيار القومي في العراق، ١٩٢١ ـ ١٩٥٨،» **آفاق عربية**، السنة ٩، العدد ١٠ (حزيران/يونيو ١٩٨٤)، ص ٤٤.

(٨٩) أنطونيوس، المصدر نفسه، ص ١٥٥.

(٩٠) حول صحة هذا الرأي، انظر: رؤوف، «الجمعيات العربية وفكرها القومي: ملامح الوعي القومي عند العرب منذ مطلع القرن التاسع عشر حتى قيام الحرب العالمية الأولى،» ص ١٢١.

(٩١) المصدر نفسه، ص ١١٩.

مجد العرب الماضي لم تكن جديدة تماماً، فقد سبقه إليها عبد الغني آل جميل في العراق قبل نحو عشرين عاماً، إلا أن قصيدة اليازجي كانت أكثر عنفاً ووضوحاً في القول، وتبلورت في ما بعد في برنامج سياسي للجمعية العلمية السورية[٩٢].

لم يقتصر إنشاء هذه الجمعيات على مدن سوريا ولبنان[٩٣]، بل عمّ مصر حيث تأسس أول تنظيم شعبي فيها عام ١٨٧٦ عرف باسم «الحزب الوطني»[٩٤]، الذي دعا إلى دولة عربية مستقلة وموحدة وشعبية، وهو ما عبر عنه قادة الحزب، حيث يقول أحدهم، وهو محمود سامي البارودي: «كنا نرمي منذ بداية حركتنا إلى قلب مصر إلى جمهورية مثل سويسرا، وعندئذٍ كانت تنضم إلينا سوريا ويليها الحجاز، لكننا وجدنا العلماء لم يستعدوا لهذه الدعوة، لأنهم كانوا متأخرين عن زمانهم، ومع ذلك سنجتهد في جعل مصر جمهورية قبل أن نموت»[٩٥].

ويلاحظ أن البارودي لم يقل بضم سوريا والحجاز إلى مصر، بل قال «تنضم إلينا. . .». معنى ذلك أنه كان أكثر ثقة بوعي الشعب العربي في بلاد العروبة بالوحدة هدفاً مشتركاً له، وينم تقديمه لانضمام سوريا على انضمام الحجاز عن فهم سليم لجغراسياسية المكان ومكامن القوة والضعف فيه، كما يدل اتهامه بالتأخر عن فهم هذا الهدف إيمانه العميق بتقدميته، وأن البدء بتنفيذ الخطوات إليه، هو بتحويل مصر إلى جمهورية[٩٦].

والحقيقة التي يمكن أن تسجل عن برنامج هذه الجمعيات، بشكل عام،

---

(٩٢) المصدر نفسه، ص ١٢٠؛ عبد الكريم غرايبة، **سورية في القرن التاسع عشر، ١٨٤٠ ـ ١٨٧٦** (القاهرة: جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٦١ ـ ١٩٦٢)، ص ٢١٥ ـ ٢٢١، وتوفيق علي برو، **القومية العربية في القرن التاسع عشر**، كتب قومية؛ ٤ (دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٦٥)، ص ٦١.

(٩٣) لمزيد من التفاصيل عن الجمعيات العربية المحلية، انظر: رؤوف، المصدر نفسه، ص ١١٨ ـ ١٢٣، ويونس عباس حسين الجنابي، «ملامح الوعي القومي في الشعر العراقي في القرن التاسع عشر،» (رسالة ماجستير، بغداد، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٨٦)، ص ٦٩ ـ ٧٧.

(٩٤) رؤوف، المصدر نفسه، ص ١٢٣.

(٩٥) أحمد عبد المعطي حجازي، **رؤية حضارية طبقية لعروبة مصر: دراسة ووثائق** (بيروت: دار الآداب، ١٩٧٩)، ص ١٨٢، وأحمد عرابي، **كشف الستار عن سر الأسرار في النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية، سنة ١٢٩٨هـ وسنة ١٨٨١ و١٨٨٢م** ([القاهرة؟]: مطبعة مصر، ١٩٥٤)، ص ١٤٨ ـ ١٥٠.

(٩٦) رؤوف، المصدر نفسه، ص ١٢٣.

أنها خلت من أي تصور لقيام نظام عربي متميز، ضمن الاطار العثماني، تندمج فيه الولايات العربية، ليعبر عن الشخصية العربية الواحدة، إلا أنها أسهمت في تعميق الوعي القومي من خلال تناولها بعض القضايا الفكرية الاساسية بالتحليل كقضية الفهم العربي المعاصر للمرحلة «الجاهلية» في حياة الأمة وعلاقة العروبة بالحرية، وتأكيدها مفهوم «الأمة العربية» والبحث في خصائص شخصيتها(٩٧).

ب ـ الجمعيات القومية العربية (١٩٠٨ ـ ١٩١٤)

تعاظم دور النخبة العربية المثقفة بهدف السعي إلى إيجاد تنظيم قومي يتجاوز إطار الجمعيات العربية المحلية، وظهرت بعض الدعوات لإقامة مثل هذا التنظيم، نذكر على سبيل المثال أديب اسحاق (١٨٥٦ ـ ١٨٨٤) الذي دعا إلى قيام «نفر من أولي العزم تبعثهم الغيرة والحمية على جمع الكلمة، فيتلافون أحوالها قبل التلف، متظاهرين متوازين كالبناء المرصوص، أو كالصخور تلاحمت فصار ركامها جبلاً حصيناً لا تؤثر فيه العواصف ولا تضعضعه الزلازل»(٩٨). وأكد على ضرورة عقد مؤتمر لزعماء الأمة «يتذاكرون فيه ويتحاورون» من أجل أن «تعود للعرب الضالة التي ينشدون، والحقوق التي يطلبون»(٩٩).

لم يظهر مثل هذا التنظيم على المستوى القومي إلا بعد انقلاب عام ١٩٠٨ الذي قادته جمعية الاتحاد والترقي، فانتصار الاتحاديين وإحياء العمل بدستور عام ١٨٧٦، الذي كان العمل به معلقاً، وفرا حريات نسبية للصحافة والفكر والتعبير والتنظيم السياسي. فعلى سبيل المثال كانت تصدر في العراق ثلاث صحف فقط قبل عام ١٩٠٨(١٠٠) وبعد إعلان العمل بالدستور، وخلال الفترة (١٩٠٨ ـ ١٩١٤) صدرت حوالى ٦١ صحيفة في العراق(١٠١). وإذا كانت

---

(٩٧) انظر: محمد هليل الجابري، «الحركة القومية العربية في العراق بين ١٩٠٨ ـ ١٩١٤،» (أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٨٠)، ص ٢٦٣، وعماد عبد السلام رؤوف، **التاريخ والمؤرخون العراقيون في العصر العثماني** (بغداد: دار واسط، ١٩٨٣)، ص ٦٤.

(٩٨) أديب اسحق، **الكتابات السياسية والاجتماعية**، جمع وتقديم ناجي علوش (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٨)، ص ٣٢.

(٩٩) المصدر نفسه.

(١٠٠) عباس ياسر الزيدي، «تاريخ الصحافة العراقية منذ نشأتها حتى سنة ١٩٣٦،» (أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٧٥)، ص ١٢.

(١٠١) رفائيل بطي، **الموسوعة الصحفية العراقية** (بغداد: ١٩٧٦)، ص ٢٠ ـ ٢٧.

صحف العراق، قبل عام ١٩٠٨، تخلو من أية معالجة جدية، فإن صحف ما بعد عام ١٩٠٨ كانت تنشر مناقشات صريحة وجدية لمواضيع شتى(١٠٢). وقد شهدت هذه الفترة قيام عدد من الجمعيات، أبرزها كان جمعية الإخاء العربي العثماني (١٩٠٨)، التي حددت أهدافها الرئيسية بـ: المحافظة على الدستور، وتوحيد جميع العناصر في الولاء للسلطان، وتحسين أوضاع المقاطعات العربية على أساس المساواة الحقيقية بين الأجناس في الدولة، ونشر التعليم باللغة العربية، وتنمية الشعور بالمحافظة على العادات العربية واتباعها(١٠٣).

إلا أن الأجواء التي وفرها الانقلاب سرعان ما تغيرت، حيث أقام الاتحاديون منذ عام ١٩٠٩ سلطة مركزية عنصرية معادية للعرب، فبدأ يتناقص ويتضاءل اشتراك العرب في تشكيلات الحكومة العثمانية. ومما زاد الوضع سوءاً النزعات القومية التركية المكشوفة للاتحاديين ومحاولاتهم فرض سياسة التتريك على العرب، تلك السياسة التي استفزت العرب وعمقت أحاسيسهم القومية(١٠٤). وقد عبر عزيز علي المصري (رئيس حزب العهد آنذاك) عن ذلك الشعور، وكيف أن آماله في تكوين امبراطورية عربية ـ تركية على غرار الاتحاد بين النمسا والمجر قد تحطمت بفعل تلك السياسة(١٠٥).

لقد حل الاتحاديون الجمعيات التي أقيمت في تلك الفترة وكانت تحمل بعض الأهداف العربية، ومنها جمعية الاخاء العربي العثماني، مما حمل العرب على اتباع الوسائل السرية، فأنشأوا جمعيات سرية، كما أنشأوا جمعيات عربية خارج أراضي الدولة العثمانية، وأصبح نشر أفكار العرب القومية يتم من خلال ميدانين، هما:

ـ ميدان علني، مجاله النوادي والجمعيات المعترف بها رسمياً. وهنا يكمن القول: إن الفوائد التي جناها العرب من الجمعيات والنوادي العلنية، هي أنها

---

(١٠٢) ياسين، «بدايات التحديث في العراق، ١٨٦٩ ـ ١٩١٤،» ص ٢١٣ ـ ٢١٥.

(١٠٣) أسعد داغر، **ثورة العرب: مقدماتها، أسبابها، نتائجها** (القاهرة: ١٩٥٦)، ص ٩٠ ـ ١٣٠.

(١٠٤) وميض جمال عمر نظمي، غانم محمد صالح وشفيق عبد الرزاق، **التطور السياسي المعاصر في العراق** ([بغداد]: جامعة بغداد، كلية القانون والسياسة، قسم السياسة، [١٩٨؟])، ص ٣٩.

(١٠٥) مصطفى الشهابي، **القومية العربية: تاريخها، قوامها ومراميها**، محاضرات ألقاها على طلبة المعهد، ١٩٥٨، ط ٢ (القاهرة: جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٦١)، ص ٦٨، ومنير مشابك موسى، **الفكر العربي في العصر الحديث: سوريا، من القرن الثامن عشر حتى العام ١٩١٨** (بيروت: دار الحقيقة، ١٩٧٣)، ص ١٩٩.

أصبحت مراكز لتجمع العرب من جميع الولايات العربية، وبالتالي تتاح لهم حرية تبادل الآراء. والمثل البارز على هذه الجمعيات هو جمعية المنتدى الأدبي التي تأسست في القسطنطينية عام ١٩٠٩، وكذلك حزب اللامركزية الإدارية العثمانية الذي أنشىء في القاهرة أواخر عام ١٩١٢[١٠٦].

- ميدان سري تمثل في الجمعيات السرية، وأهمها: الجمعية القحطانية، التي تأسست أواخر عام ١٩٠٩، وجمعية العربية الفتاة، التي تأسست في باريس عام ١٩١١.

إن حزب اللامركزية الإدارية العثمانية، تأسّس على يد بعض المثقفين السوريين المقيمين في مصر[١٠٧]، والذين كانوا على رغم اختلافهم في البواعث الفكرية والميول السياسية، متفقين على نقطتين أساسيتين، هما: وحدة الدولة العثمانية، وضرورة الادارة اللامركزية التي يتمتع فيها العرب بكامل حقوقهم. وقد جسد هاتين النقطتين برنامج هذا الحزب، حيث أكد: أن كل ولاية في الإدارة العثمانية جزء لا يتجزأ من السلطة، وهي بدورها غير قابلة للتجزئة، والإدارة المحلية، لكل ولاية، يجب أن تقوم على أساس اللامركزية، وتكون لكل ولاية لغتان رسميتان، هما التركية واللغة المحلية للسكان، أما التعليم فيكون بلغة سكان تلك الولاية[١٠٨].

أما لجنة الاصلاح التي تأسست في بيروت عام ١٩١٢، فقد دعت إلى الاستقلال الذاتي على أساس اللامركزية[١٠٩]. وقد وضعت برنامجها بحيث يتفق مع شكل التقسيمات الإدارية آنذاك، وتضمن الاعتراف بالسيادة العثمانية اعترافاً تاماً، لكنه ميز بين المسائل ذات الطابع المتصل بالدولة، كالشؤون الخارجية والدفاع والمواصلات والاقتصاد الوطني، والمسائل ذات الطابع الاقليمي كإدارة الولايات وإيراداتها والمصالح المحلية[١١٠]، لكن السلطات العثمانية أحست بخطر هذه الجمعية، فمنعتها من مزاولة نشاطها وأمرت بغلق ناديها[١١١].

---

(١٠٦) أنطونيوس، **يقظة العرب: تاريخ حركة العرب القومية**، ص ١٨٦ - ١٨٨.

(١٠٧) تألفت اللجنة القيادية لهذا الحزب من: رفيق العظم (رئيساً)، اسكندر عمون، محب الدين الخطيب، رشيد رضا، شبلي شميل، وسامي الجريديني.

(١٠٨) **المنار**، السنة ١٦، العدد ٣ (آذار/مارس ١٩١٣)، ص ٣٢٩ - ٣٣١.

(١٠٩) دروزة، **حول الحركة العربية الحديثة: تاريخ ومذكرات وتعليقات**، ص ٣٩٩.

(١١٠) انظر لائحة لجنة الإصلاح، في: المصدر نفسه، ص ٤٠٠.

(١١١) المصدر نفسه، ص ٤١٠.

أما هدف جمعية العربية الفتاة، فهو: السعي لاستقلال البلاد العربية وتحريرها من السيطرة العثمانية أو أية سيطرة أجنبية(١١٢). وهذا تطور ملحوظ في برامج الجمعيات العربية، فهي دعت إلى استقلال وتحرير البلاد العربية من كل أشكال السيطرة الأجنبية، مما أدى بالتالي إلى نموها، بل أصبحت أكثر الجمعيات تأثيراً في الحركة القومية العربية، في حين كان برنامج جمعية العهد، التي تأسست أواخر عام ١٩١٣، يعكس ثلاثة اتجاهات سياسية كانت قائمة بين الضباط العرب آنذاك وهي: نزعتهم القومية العربية، وعواطفهم الاسلامية، ومناوأتهم النفوذ الغربي(١١٣). فلم يختلف برنامجها عن أهداف الجمعية القحطانية حيث دعا إلى إقامة اتحاد كونفدرالي بين الولايات العربية والدولة العثمانية على غرار المملكة النمساوية ـ المجرية(١١٤)، لكنها اتسمت بأسلوب عسكري(١١٥).

وبخلاف ما جاء به أحد المؤرخين من أنها أرادت استقلالاً تاماً لعرب المشرق(١١٦)، فإن ما أملاه رئيسها على أحد الضباط العراقيين يوحي بأنها ترمي إلى استقلال داخلي للعرب، على أن يرتبطوا باتحاد كونفدرالي مع الدولة العثمانية، على غرار المملكة النمساوية ـ المجرية(١١٧).

أما جمعية الجامعة الاسلامية، التي شكلها رشيد رضا عام ١٩١٠(١١٨)، فقد كانت تدعو إلى استقلال العرب بالقوة الفعلية أو السلاح، أما حدود الدولة العربية في تصور هذه الجمعية، فهي الجزء الآسيوي من الوطن العربي(١١٩)،

---

(١١٢) تميزت هذه الجمعية بكون جميع أعضائها من الضباط العرب باستثناء مدنيين اثنين هما: حمدي الباجه جي وعادل أرسلان. انظر: تحسين العسكري، **مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى والثورة العراقية**، ٢ ج (بغداد: مطبعة العهد، ١٩٣٦ ـ ١٩٣٨)، ج ١، ص ٩ ـ ١١.

(١١٣) انظر: نظمي، صالح وعبد الرزاق، **التطور السياسي المعاصر في العراق**، ص ٤٢ ـ ٤٣.

(١١٤) رفيق العظم، **مجموعة آثار رفيق بك العظم**، عني بجمعها عثمان العظم (مصر: مطبعة المنار، ١٩٢٥)، ص ١٣٢ ـ ١٣٣.

(١١٥) أنطونيوس، **يقظة العرب: تاريخ حركة العرب القومية**، ص ١٩٧.

(١١٦) فليب ويلارد ايرلاند، **العراق: دراسة في تطوره السياسي**، ترجمة جعفر خياط (بيروت: ١٩٤٩)، ص ١٧٤.

(١١٧) نوري السعيد، **محاضرات عن الحركات العسكرية للجيش العربي في الحجاز وسورية، ١٩١٦ ـ ١٩١٨** (بغداد: مطبعة الجيش، ١٩٤٧)، ص ٥٠.

(١١٨) أمين سعيد، **الثورة العربية الكبرى**، ٣ ج (القاهرة: مطبعة البابي الحلبي، ١٩٣٤)، ج ١: **تاريخ مفصل جامع للقضية العربية في ربع قرن**، ص ٥٧.

(١١٩) رؤوف، «الجمعيات العربية وفكرها القومي: ملامح الوعي القومي عند العرب منذ مطلع القرن التاسع عشر حتى قيام الحرب العالمية الأولى،» ص ٢٤.

الذي كان خاضعاً للدولة العثمانية، كما أن تصوراتها كانت تمثل امتداداً لأفكار عبد الرحمن الكواكبي في وجوب قيام خلافة عربية تقود العالم الاسلامي[١٢٠]، لكن أعضاءها لم يكونوا متفقين على مقر الخلافة[١٢١].

على العموم فإن اهتمام هذه الجمعيات بعد عام ١٩٠٩ بالجانب الفكري من العمل القومي ظل محدوداً للغاية، بينما تركزت معظم جهودها في كيفية ممارسة العرب في ولاياتهم لحقوقهم القومية بصورة عملية ضمن إطار الدولة العثمانية. فقد ركزت على الاصلاح والمساواة بين الأجناس داخل الدولة العثمانية، والدعوة إلى اعتبار اللغة العربية لغة رسمية في البلاد العربية[١٢٢]، والحكم الذاتي أو اللامركزية[١٢٣].

وفي العراق ظهرت، في الفترة ذاتها، جمعيات، منها: الجمعية التي أسسها بعض المثقفين في مدينة البصرة كفرع لحزب الحرية والائتلاف العثماني سنة ١٩١١، والنادي العلمي في بغداد عام ١٩١٢[١٢٤]. على أن الملاحظ أن الجمعيات القومية في العراق كانت تعطي الحقوق بعداً اجتماعياً خاصاً، فليست هذه الحقوق مجرد اعتراف باللغة العربية، لغة للإدارة والتعليم، وإدارة بلدية ذاتية، كما هو في معظم الجمعيات في تلك الفترة، بل هي مزيج متوازن من المبادىء القومية والحرية الاجتماعية. فيوضح برنامج فرع الحرية والائتلاف البصري اقتراناً قوياً بين العروبة والحرية والعدالة، فلا حقوق قومية من دون أن يمارس سكان الولاية حقوقهم الديمقراطية في اختيار ممثليهم في مجلس الولاية، ومن دون أن يكون هذا المجلس هو صاحب السلطة العليا، ليقوم بالاصلاحات الاجتماعية والاقتصادية[١٢٥].

---

(١٢٠) المصدر نفسه.

(١٢١) انظر: سعيد، **الثورة العربية الكبرى**، ص ١ ـ ٤، ورفيق العظم، **الجامعة الإسلامية وأوروبا** (القاهرة: دار الثقافة العربية، ١٩٦٣)، ص ٥٣.

(١٢٢) عنبرة سلام الخالدي، **جولة في الذكريات بين لبنان وفلسطين** (بيروت: دار النهار، ١٩٧٨)، ص ٦٢.

(١٢٣) نظمي، صالح وعبد الرزاق، **التطور السياسي المعاصر في العراق**، ص ٤٠.

(١٢٤) سليمان فيضي، **في غمرة النضال: مذكرات** (بغداد: عبد الحميد سليمان فيضي، ١٩٥٢)، ص ٩٨ ـ ١١٦.

(١٢٥) رؤوف، «الجمعيات العربية وفكرها القومي: ملامح الوعي القومي عند العرب منذ مطلع القرن التاسع عشر حتى قيام الحرب العالمية الأولى،» ص ١٢٠ ـ ١٢١.

وبعد لا بد من الاقرار أن هذه الجمعيات العربية، القومية التنظيم، لم تستمد جميعها أهميتها من كثرة عدد اعضائها، إذ لم يزد عدد أعضاء معظم تلك التنظيمات عن بضع مئات، إلا أنها استمدت أهميتها من «نوع» أولئك الأعضاء، فقد كان أغلبهم يمثلون أعلى المستويات الثقافية في الدولة آنذاك، من طلبة جامعيين وطلبة الكلية العسكرية ومحامين وموظفين ونواب في مجلس المبعوثان وتجار وصحفيين(١٢٦). من جانب آخر لم يكن من السهل على هذه التنظيمات أن توسع قواعدها الشعبية، بسبب ضعف المستوى الثقافي العام وغلبة الأمية.

إن الثمرة المباشرة لأنشطة هذه الجمعيات كان انعقاد المؤتمر العربي في باريس ١٩١٣، الذي لم ينجح في تحديد الصلات بين ما هو عثماني وما هو عربي. لكن الملاحظ أنه ترددت في المؤتمر إشارات إلى «أمة عثمانية» وإشارات عديدة إلى «أمة عربية» لها خصائصها ومميزاتها التي تفرقها عن الأمم الأخرى، وإلى حق هذه الأمة في «الوجود السياسي»، وتردد أيضاً تعبير «الشعب العربي»، وتأكيد مصطلح «القومية»، إلى جانب مصطلح «الجنسية»، الذي أخذ بالانحسار(١٢٧)، مما جعل البعض يعتبر انعقاد المؤتمر نفسه من ملامح النهضة العربية.

والحقيقة المهمة، التي لا بد من الإشارة إليها، هي أنه عندما وصلت هذه الجمعيات الى مرحلة النضج وتحقيق الأداة القومية، قامت الحرب العالمية الأولى، فتطورت الأحداث بسرعة هائلة، وكانت انعكاساتها واضحة على الساحة العربية، كما سنرى.

٤ ـ الحركة القومية العربية خلال فترة الحرب (١٩١٤ ـ ١٩١٨)

أ ـ الوضع السياسي

عندما أعلنت الدولة العثمانية دخول الحرب العالمية الأولى، بتأثير من زعماء جمعية الاتحاد والترقي، إلى جانب ألمانيا، كان على القوميين العرب أن

(١٢٦) المصدر نفسه، ص ١٢٨ ـ ١٢٩، وحوراني، **الفكر العربي في عصر النهضة، ١٧٩٨ ـ ١٩٣٩**، ص ٣٥٠.

(١٢٧) لمزيد من التفاصيل عن المؤتمر، انظر: **المؤتمر العربي الأول** (القاهرة: مطبعة البوسفور، ١٩١٣).

يختاروا بين تأييد الغرب أو مساندة العثمانيين، ولم يكن لديهم من المقومات المادية ما يتخذون من خلاله موقفاً مستقلاً أو حيادياً تجاه الصراع بين طرفي الحرب، فوطنهم جزء أساسي من الصراع من جهة، ومن جهة أخرى لم يكن للعرب كيان سياسي مستقل، ولم تكن لديهم مقومات مادية لإقامة هذا الكيان من دون معونة خارجية.

كما انتهز الاتحاديون الحرب ليشتتوا الضباط العرب في جبهات القتال، لذلك لم يعد لهم نشاط قومي يذكر، إلا بعد قيام جمال باشا بإعدام رجالات العرب في دمشق(١٢٨)، فتبلور موقف معظم القوميين العرب في المشرق العربي في صيغة الثورة ضد الحكم العثماني.

في حين كان بعض العرب يرى في السلطان العثماني الرمز السياسي لوحدة «الأمة»، وبالتالي يرفضون الثورة عليه، لأن ذلك لا يعني الثورة على سيدهم الشرعي فحسب، بل يعني القضاء على وحدة «الأمة»، وبذلك قد يخدمون مصلحة الأعداء.

وهناك بعض المثقفين العرب الذين أبدوا رغبة في حماية بريطانيا وفرنسا للوطن العربي، بعد انتهاء الحرب وانتصار دول الحلفاء فيها(١٢٩).

وهكذا يبدو البون شاسعاً بين هذه الفئات حول الحدود وأنظمة الحكم، بعد تحقيق الاستقلال عن العثمانيين. فالقسم الأكبر من القوميين دعاة الثورة كانوا يطالبون بدولة عربية يرأسها ملك عربي من سلالة أشراف مكة، بينما آخرون يريدونها دولة عربية يرأسها خليفة عربي، فيما كان البعض الآخر، لا يزال يحتفظ بأفكار حزب اللامركزية، فكان يطالب بدولة سورية ذات نظام اتحادي، ولها علاقات مع عراق وحجاز مستقلين(١٣٠)، في حين كان بعض القوميين في لبنان يطالبون بلبنان مستقل تحت الحماية الفرنسية، على أن توسع حدوده، وتكون عاصمته بيروت(١٣١)، بينما كان دعاة «القومية السورية»،

---

(١٢٨) تم تنفيذ حكم الإعدام بالوجبة الأولى في آب/أغسطس ١٩١٥. أما الوجبة الثانية فتم تنفيذ حكم الإعدام فيها في أيار/مايو ١٩١٦. لمزيد من التفاصيل، انظر: أنطونيوس، **يقظة العرب: تاريخ حركة العرب القومية**، ص ٢٧٩ ـ ٢٨١.

(١٢٩) حوراني، **الفكر العربي في عصر النهضة، ١٧٩٨ ـ ١٩٣٩**، ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥.

(١٣٠) سنشرح ذلك بشيء من التفصيل في الفصول اللاحقة من هذا الكتاب.

(١٣١) أنطونيوس، المصدر نفسه، ص ٢٣٨.

وكان عددهم قليلاً، يدعون أن السوريين ليسوا عرباً، لا بل ليس هناك أمة عربية، وادعوا أن فيصلاً والعملاء والانكليز والهنود هم أصحاب فكرة أن هناك قومية عربية[١٣٢]. وقد أوضح جورج سمنه، الناطق باسم هذا الفريق، خطة إنشاء جمهورية سورية علمانية ديمقراطية اتحادية، تحت حماية فرنسا[١٣٣].

والحقيقة أن مركز الثقل في الحركة القومية العربية كان في الاتفاق بين الشريف حسين والجمعيات العربية السرية في الشام (العهد والعربية الفتاة)، وذلك بالثورة ضد الدولة العثمانية. فبعد إعدام قادة الحركة القومية العربية في الشام على يد جمال باشا، أصبح اتجاه التفكير لدى الجمعيتين هو الثورة ضد الحكم العثماني، واضطرارهما لقبول التحالف مع بريطانيا، تلك الدولة التي كانت الجمعيات العربية ترتاب منها[١٣٤].

وهكذا قدمت الجمعيات العربية ميثاقاً سمي «ميثاق دمشق» لفيصل في آذار/مارس ١٩١٥ يتضمن الشروط التي تطالب الحركة القومية العربية بتحقيقها حتى يؤازروا بريطانيا ضد الدولة العثمانية، ليحمله إلى أبيه، كي يكون أساساً للعمل المشترك[١٣٥].

نص ميثاق دمشق، الذي اعتمده الشريف حسين أساساً لمباحثاته مع بريطانيا، على استقلال العرب وحدود دولتهم التي يسعون إلى تحقيقها، والغاء الامتيازات الأجنبية المفروضة على البلاد العربية، وعلى اعتراف بريطانيا باستقلال ووحدة هذه البلاد، وعلى عقد معاهدة بينها وبين بريطانيا، مع تقديم الأخيرة وتفضيلها على غيرها من الدول الأجنبية في المشروعات الاقتصادية، التي ستقيمها الدولة المنشودة[١٣٦].

ان الحقائق التي يمكن أن تؤشر على هذا الميثاق، هي:

---

(١٣٢) داغر، **ثورة العرب: مقدماتها، أسبابها، نتائجها**، ص ١٨٥ ـ ١٨٧.

(١٣٣) محمود كامل، **الدولة العربية الكبرى**، ط ٢ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٦)، ص ٣٠٤ ـ ٣٠٦.

(١٣٤) أحمد كمال أبو المجد، **حوار لا مواجهة: دراسات حول الإسلام والعصر**، كتاب العربي؛ ٧ (الكويت: مجلة العربي، ١٩٨٥)، ص ٤٠ ـ ٤٣.

(١٣٥) فؤاد حمزة، **قلب جزيرة العرب**، ط ٢ (الرياض: مكتبة النصر الحديثة، ١٩٦٨)، ص ٧٠ ـ ٨١.

(١٣٦) حول نص ميثاق دمشق، انظر: أنطونيوس، **يقظة العرب: تاريخ حركة العرب القومية**، ص ٥٤٥ ـ ٥٤٧.

١ ـ يشكل الميثاق أهمية تاريخية كبيرة، كونه أول منهج يهدف إلى تحقيق استقلال كامل للبلاد العربية الواقعة تحت السيطرة العثمانية، وتشكيل دولة عربية واحدة، وهو استقلال سياسي معزز بمضمون اقتصادي، من خلال المطالبة بالغاء الامتيازات الأجنبية. وهو ما تفتقده مناهج الجمعيات العربية السابقة.

٢ ـ حدد الميثاق موقف العرب إزاء الدول الأوروبية عامة، وبريطانيا خاصة، فقد كان المقصود من الاستقلال تحرير العرب من السيطرة العثمانية وعدم الوقوع تحت سيطرة أجنبية جديدة مهما كان شكلها أو نوعها. ويذهب بعض الباحثين والمؤرخين أبعد مما ذهبنا إليه، حيث يرون أن تفويض زعماء الجمعيات العربية للشريف حسين للتفاوض باسمهم والاتفاق مع بريطانيا بموجب الأسس التي وردت في الميثاق كان مشروطاً، فبغير ذلك فإنهم «لا يلتزمون بأي اتفاق يتم الوصول إليه على غير هذه الأسس»[١٣٧]. لكننا نجد أن هذا القول مبالغ فيه، فلم يشر زعماء الجمعيات العربية لفيصل أنهم لن يرضوا بغير الميثاق، وإنما اعتبر الميثاق الأساس الذي يتم بموجبه الاتفاق مع بريطانيا، وهو، أي الميثاق، خاضع للمفاوضات. هذا من جانب، ومن جانب آخر لم يشر الميثاق صراحة أو ضمناً إلى أن الجمعيات لن ترضى بأي تغيير أو تعديل على الميثاق، وحتى لم يشيروا إلى أخذ موافقتهم على ما يتوصل إليه الشريف وبريطانيا، قبل الاتفاق النهائي بينهما، وما يؤكد ذلك أنهم لم يطالبوا الشريف حسين باطلاعهم على ما تم الاتفاق عليه مع بريطانيا قبيل إعلان الثورة أو خلالها.

٣ ـ على أن الميثاق اقتصر على المنطقة العربية في مشرق آسيا، وأغفل بشكل كامل مصر والمغرب العربي، وكان الأجدر أن يشار إليهما صراحة، خاصة أنهما تقعان تحت السيطرة الأوروبية.

٤ ـ وعلى الرغم من اقتصاره على المشرق العربي، فإنه قدم لبريطانيا تنازلات على حساب المصلحة القومية، أهمها المحافظة على الوضع القائم آنذاك في عدن، التي كانت تحت السيطرة البريطانية.

والحقيقة أنه لا يوجد أي مبرر لتقديم مثل هذه التنازلات، لأن حاجة بريطانيا للعرب، في ذلك الظرف، كانت أكبر من حاجة العرب إليها، فهي

---

(١٣٧) انظر: محمود صالح منسي، **حركة اليقظة العربية في الشرق الأسيوي** (القاهرة: دار الفكر العربي، [١٩٧٢])، ص ٢٧٩.

تخوض حرباً ضد الدولة العثمانية، وقيام ثورة داخل الدولة العثمانية، بالتأكيد، هو في صالحها، فكيف إذا كانت هذه الثورة حليفاً لها؟ كما أن بريطانيا، هي التي كانت تبادر دائماً لكسب العرب إلى جانبها(١٣٨).

ولتأكيد هذا الرأي فإن بريطانيا لم تكتف بما اتفقت عليه مع الشريف حسين بخصوص استقلال العرب، بل إنها قطعت الكثير من الوعود سعياً لضمان التأييد العربي للحلفاء. ففي ١٩ آذار/مارس، أي بعد أسبوع واحد من احتلال القوات البريطانية لبغداد، أعلن الجنرال مود (قائد القوات البريطانية في العراق) بناءً على تعليمات وزارة الحرب البريطانية، رغبة الحلفاء في تحرير العراق من الهيمنة التركية(١٣٩). وفي ٨ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٨ صدر الاعلان البريطاني ـ الفرنسي، الذي أكد نيات حكومتي بريطانيا وفرنسا في تحرير الشعب العربي، وإقامة حكومة حرة(١٤٠). وفي كانون الثاني/ديسمبر ١٩١٨ حدد رئيس الوزراء البريطاني، في مجلس العموم البريطاني، أهداف بلاده في الحرب (بالاستقلال الوطني لشعب الجزيرة العربية وسوريا وفلسطين)(١٤١).

ب ـ فكر الثورة العربية عام ١٩١٦

اختلفت الآراء في تقويم الثورة العربية عام ١٩١٦، وتناقضت الاحكام حول أهدافها وطبيعتها وفكرها. فقد انتقدها بعض الكتاب العرب، وأخذوا عليها قصر نظر قائدها، وسعيه وراء دعم بريطانيا له، في وقت لم يلق منها سوى التآمر والغدر، وعدم الاعتراف بعروبة الثورة، والتأكيد على طابعها الحجازي والبدوي تشويهاً لأهدافها القومية(١٤٢)، فيما أخذ البعض الآخر على

---

(١٣٨) انظر: عبد الله بن الحسين (ملك الأردن)، **مذكرات الملك عبد الله**، ط ٢ (عمان: المطبعة الهاشمية، ١٩٤٧)، ص ٣٨ ـ ٣٩، وسليمان موسى، **الحركة العربية: سيرة المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة** (بيروت: دار النهار، ١٩٧٠)، ص ٦٦ ـ ٨١.

(١٣٩) انظر نص المنشور الذي أعلنه الجنرال مود على أهالي بغداد في ١٩/٣/١٩١٧ بعد احتلال بغداد في ١١/٣/١٩١٧، في: **الشرق** (بغداد)، ١/٩/١٩٢٠، وعبد الرزاق الحسني، **العراق في دوري الاحتلال والانتداب**، ٢ ج (صيدا: مطبعة العرفان، ١٩٣٥)، ج ١، ص ٥٧.

(١٤٠) نقلاً عن: كاظم هاشم نعمة، **الملك فيصل الأول والإنكليز والاستقلال** (بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٩٨٨)، ص ٣٠.

(١٤١) نقلاً عن: موسى، **الحركة العربية: سيرة المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة**، ص ١٧٨ ـ ١٧٩.

(١٤٢) انظر على سبيل المثال لا الحصر: صايغ، **الهاشميون والثورة العربية الكبرى**، وناجي علوش، **الحركة القومية العربية: نشوؤها، تطورها، اتجاهاتها** (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٥).

الثورة وقادتها غياب المضمون الاجتماعي والاقتصادي ونعتوها بالرجعية، في وقت لم يكن لهذا تأثيره الفعال في تحريك الثوار والجماهير، كما يتجاهلون ما ورد في ميثاق دمشق من إلغاء الامتيازات الأجنبية.

أما الكتّاب الأجانب فقد انحازوا إلى انتماءاتهم السياسية والفكرية، فحكموا عليها من خلال مقاييسهم ومنطلقاتهم، فجاءت أحكامهم منحازة وغير موضوعية في كثير من الأحيان[(١٤٣)].

والحقيقة التي ذهب إليها الكثير من الكتاب القوميين هي: أن الثورة عربية وهي ثورة أصيلة وحدث تاريخي ونقطة لانطلاقة عربية حقيقية، وقد أحدثت تغييراً جذرياً، حتى وإن لم تستطع أن تحقق أهدافها، لأن كل ثورة تحمل في طياتها فكراً لواقع ومستقبل عربي[(١٤٤)].

قامت هذه الثورة نتيجة معاناة مريرة خاضها وطنيون وقوميون مثقفون عرب ضد سياسة الاتراك العنصرية والبطش والاضطهاد وسرقة ثروة البلاد العربية، وكانت تحمل في طياتها فكراً عربياً لتصور جديد وواقع جديد ومستقبل جديد. صحيح أن الثورة انطلقت من الحجاز، لكنها لم تكن حجازية، كما حاول الفرنسيون نعتها، بل كانت ثورة عربية. فالجمعيات العربية، في دمشق، هي التي وضعت ميثاق دمشق، الذي كان الأساس في مفاوضات حسين مع بريطانيا لتحقيق استقلال العرب، وهي أيضاً، أسهمت على نحو فاعل في التخطيط لإعلان الثورة، وأقنعت الشريف حسين بتصميم علم للثورة، وهو العلم نفسه الذي صممه رجال جمعية «العربية الفتاة» عام ١٩١٤[(١٤٥)].

كما يبرز الاتجاه القومي للثورة من خلال رسائل الشريف حسين إلى مكماهون، فتلك الرسائل تؤكد التصميم الكامل على الاستقلال السياسي بحدود «المنطقة العربية»[(١٤٦)]، وأن التحالف مع بريطانيا كان مشروطاً لتحقيق

---

(١٤٣) انظر: T. E. Lawrence, *The Seven Pillars of Wisdom: A Triumph* (London: Cape, 1973).

(١٤٤) وقد عبر عن هذا الموقف الكثير من المؤرخين والمفكرين العرب، منهم على سبيل المثال لا الحصر: ساطع الحصري، وأمين سعيد، ومحمد عزة دروزة، وسليمان موسى، وجورج أنطونيوس، وغيرهم في جميع ما كتبوه عن هذه الثورة، والمثبتة عناوين كتبهم في قائمة المصادر.

(١٤٥) رسالة خاصة من محب الدين الخطيب، بتاريخ ٢١/٥/١٩١٦، نقلاً عن: موسى، **الحركة العربية: سيرة المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة**، ص ٨٠.

(١٤٦) أمين سعيد، **أسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين** (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٦٥)، ص ٧٠.

هذه الغاية. وقد تضمن الاتفاق بين الشريف حسين ومكماهون بنوداً واضحة لا لبس فيها، وتضمن محورين رئيسيين، هما: **أولاً**، الالتزامات التي تعهد بها الطرفان في الأعمال الحربية لم ينص عليها صراحة، لأن البحث فيها قد تم مع رسول الشريف حسين. **ثانياً**، أما الناحية السياسية فتضمنت تعهد الشريف حسين بإعلان الثورة على الدولة العثمانية، وتعهد بريطانيا صراحة بتعهدين هما:

١ ـ الاعتراف بالخلافة العربية في حالة إعلانها.

٢ ـ الاعتراف باستقلال العرب ضمن المنطقة المتفق عليها في المراسلات بين حسين ومكماهون وحماية هذا الاستقلال[١٤٧].

ويعترف فيصل بن الحسين بدور الجمعيات العربية في الثورة بالقول: «لا شك في أن المسؤول الأول في الحركة هو أولاً والدي ثم الحجازيون مادةً، الذين قاموا بها فعلاً. أما السوريون فإنهم مسؤولون عنها معنىً، لأنهم قد شوقوا الحجازيين للحركة»[١٤٨]، الأمر الذي دفع أحد الباحثين إلى القول: «إن الهاشميين والانكليز أشعلوا الثورة، ولكنهم لم يصنعوها، لأن الذين صنعوها هم القوميون على اختلاف أحزابهم ومفاهيمهم، وان رواد تلك الأحزاب والمفاهيم قيدوا الهاشميين بقيود وطنية تتمثل فيها مطالب الحركة العربية، قبل أن يدعوا الهاشميين للتعاون معهم»[١٤٩].

ولم يكن رجال الحركة القومية بعيدين عن مسارح العمليات العسكرية[١٥٠]. فقد ساهم عدد كبير من الضباط القوميين العرب في قيادة الثورة، وقيادة المعارك ضد الأتراك[١٥١]. كما وصل عزيز علي المصري إلى

(١٤٧) انظر مراسلات مكماهون ـ حسين، في: أنطونيوس، **يقظة العرب: تاريخ حركة العرب القومية**، ص ٥٤٩ ـ ٦١٠.

(١٤٨) حول نص خطبة الأمير فيصل بن الحسين، التي ألقاها في دمشق في ١٩١٩/٥/٥، انظر: أحمد قدري، **مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى** (دمشق: مطابع ابن زيدون، ١٩٥٦)، ص ١٠٩ ـ ١١٥.

(١٤٩) صايغ، **الهاشميون والثورة العربية الكبرى**، ص ٢٧٢.

(١٥٠) حول صفحات المعارك الحربية للثورة العربية والمساهمين فيها من الضباط القوميين العرب، انظر: السعيد، **محاضرات عن الحركات العسكرية للجيش العربي في الحجاز وسورية، ١٩١٦ ـ ١٩١٨**؛ عبد الله بن الحسين، **مذكرات الملك عبد الله**، ص ١٤٧ ـ ١٦٣؛ قدري، المصدر نفسه، ص ٥٨ ـ ٨٩، وابراهيم حمدي الراوي، **من الثورة العربية الكبرى إلى العراق الحديث، ذكريات** (بيروت: مطبعة دار الكتب، ١٩٦٩).

(١٥١) السعيد، المصدر نفسه، ص ١٨ ـ ٣٣.

جدة، في أيلول/سبتمبر ١٩١٦، بهدف تأسيس جيش عربي منظم، حيث اجتمع بعدد من الضباط الأعضاء في جمعية العهد، ودعا إلى تأليف هذا الجيش، ومما قاله في ذلك الاجتماع: «إننا لا نحارب رغبة في الحرب، ولا كرهاً بالترك، أو حباً بالانكليز، بل نحارب من أجل تحرير بلادنا وتأمين استقلالها... فقبل التفكير في الزحف إلى الشمال يجب علينا، على الأقل، أن نعمل على إيجاد جيش منظم يمكن الاعتماد عليه في حفظ الأمن والنظام في البلاد العربية»[١٥٢]. وهو ما حدث فعلاً، على يد الضباط القوميين العرب، من أجل تحرير الوطن العربي من الحكم التركي وحفظ النظام والاستقرار وإقامة الدولة العربية المنشودة.

وأكدت الثورة هويتها القومية العربية، من خلال ما تضمنه ميثاق دمشق[١٥٣]. كما أكدت الثورة أن الأمة العربية جديرة بحفظ الاسلام، لذلك يجب أن تكون الخلافة عربية، فأكدت بذلك الصلة بين العروبة والاسلام، وهو ما أكده البيان الأول للثورة والمنشورات التي أصدرتها الثورة. فقد أعلن البيان الأول[١٥٤] للثورة الانفصال عن الدولة العثمانية واستقلال العرب، كما يوضح البيان أسباب قيام الثورة، ويرسم اتجاهاتها ويعبر عن أهدافها العربية القومية، ويندد بسياسة التتريك، ويهاجم الاتحاديين الذين «خصوا العرب ولغتهم بالاضطهاد... وحاولوا قتل اللغة العربية في جميع الولايات العثمانية بإبطالها من المدارس، ومنعها من الدواوين والمحاكم، وأصدروا في ذلك آراء كثيرة لقيت من مبعوثي العرب معارضات شديدة... ولا يخفى أن قتل اللغة العربية قتل للإسلام نفسه، فالإسلام، في الحقيقة، دين عربي بمعنى أن كتابه أنزل باللغة العربية».

ثم يذكّر البيان بدور العرب في التاريخ، وأن الخلافة في الأصل عربية، وأن العرب قبلوا بالدولة العثمانية على رغم اضطهادها اللغة العربية وانتحالها منصب الخلافة. ثم يوضح البيان الذل الذي يعيشه العرب، وهو بالتأكيد ذلّ

---

(١٥٢) انظر: أسعد داغر، **مذكراتي على هامش القضية العربية** (القاهرة: دار القاهرة للطباعة، ١٩٥٩)، ص ٨٩.

(١٥٣) سعيد، **الثورة العربية الكبرى**، ج ١، ص ٤٢.

(١٥٤) نشر البيان الأول والمنشورات التي أصدرتها الثورة في جريدة **القبلة**، الجريدة الرسمية الناطقة باسم الثورة، وقد صدرت يوم الاثنين ١٥/٨/١٩١٦، وكانت تصدر في الأسبوع مرتين (الاثنين والخميس). انظر: عبد الله بن الحسين، **مذكرات الملك عبد الله**، ص ١١٢.

للإسلام مستشهداً بالحديث الشريف «إذا ذلت العرب ذل الاسلام».

ويختتم البيان بالتأكيد أن الطريق الصحيح لتدارك الأمر، هو إعلان «الاستقلال التام وقطع كل صلة بهؤلاء المتغلبين والسفاكين».

في ضوء ما تقدم يمكن القول إن البيان الأول وضع الخطوط الأساسية للثورة وفكرها المتمثل بـ:

١ ـ الرفض القاطع لسياسة التتريك ومقاومتها.

٢ ـ التأكيد على اللغة العربية، ودور العرب القيادي في التاريخ، والربط بين عز العرب وعز الإسلام(١٥٥).

٣ ـ رفض واستنكار إدخال العرب في أتون الحرب.

٤ ـ إن إعلان الثورة العربية، جاء رداً على سياسة الاتحاديين، هذه التي شكلت خروجاً عن الدين وعن الرابطة الاسلامية، مما وضع العرب في موضع القيام بواجبهم في الانتصار للاسلام وحماية العرب وحقوقهم وبلادهم.

٥ ـ إعلان الاستقلال وإقامة الدولة العربية الواحدة المستقلة، القائمة على العدل والمساواة.

٦ ـ إن الاسلام قوة للعرب وسند للقومية العربية، وإن نهضة العرب عز للإسلام، والسبيل للعودة إليه.

وكانت البيانات والمنشورات الأخرى للثورة، وما كتبته جريدة **القبلة**، تعزز وتعمق هذه الأفكار، التي هي في حقيقتها أهداف الجمعيات العربية السرية، وبخاصة العربية الفتاة. من جانب آخر حققت الثورة للعرب يقظة ووعياً وعمقاً في تفكيرهم، واندفاعاً لتحقيق مطالبهم، وانشداداً لقضيتهم، وتبنياً لاستقلالهم، ونقلة في أسلوب نضالهم، كان لها التأثير الكبير في مسيرتهم الفكرية والنضالية اللاحقة.

فالوحدة والحرية هي القاعدة الاساسية لفكر الحركة القومية العربية التي

---

(١٥٥) مصطفى عبد القادر النجار، «فكر الثورة العربية لعام ١٩١٦ واستقلال العرب،» ورقة قدمت إلى: **تطور الفكر القومي العربي: بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، بالاشتراك مع المجمع العلمي العراقي، اتحاد المؤرخين العرب، معهد البحوث والدراسات العربية** (بيروت: المركز، ١٩٨٦)، ص ١٤٦ ـ ١٤٧.

حاولت الثورة تحقيقها. وعلى الرغم من فشلها بقيت هذه القاعدة أساساً للفكر القومي العربي وما زالت.

يمكن القول مما سبق أن فكرة الوحدة العربية أو الاتجاه الوحدوي كان من صلب الفكر القومي العربي في العصر الحديث، الذي واجه ثلاثة تحديات، هي:

١ ـ التحدي العثماني القائم على التجهيل وطمس الهوية القومية من خلال الترويج لمفهوم «إسلامي» ملفق، بقصد توفير الغطاء الايديولوجي لمقاصده في استمرار الهيمنة التركية على الانسان العربي.

٢ ـ التحدي الأوروبي الذي كان يراهن على قوة اشعاع نموذجه في الفكر والمعرفة والحياة، والذي كان يخاطب مواطن الضعف والوهن في الحياة والثقافة العربيتين، مستغلاً مشاعر الغضب والرفض للنموذج العثماني المنحط، والحاجة البكر لدى الانسان العربي إلى الدخول إلى الحياة برؤية وقدرات جديدة تتسق وروح العصر.

٣ ـ التحديات الذاتية التي تتمثل في قوة الاتجاهات المحافظة والتقليدية، وهي تتشبث بأنماط بالية من التفكير والتنظيم والولاءات في مواجهة النوازع الجديدة للتغيير والتحديث والغضب والتبرم بما هو سائد وشائع في الثقافة أو في الحياة آنذاك، وهو تنوع طبيعي وتلقائي، في ظروف تتباين فيها استجابات المثقفين وحاجاتهم وولاءاتهم الفكرية والاجتماعية.

وفي مواجهة هذه التحديات، أكد الفكر القومي العربي، في القرن التاسع عشر:

١ ـ إعادة فتح ملفات الموروث في الفكر العربي ـ الاسلامي، والنظر إليه برؤية جديدة.

٢ ـ تأكيد مرونة العقل العربي في طرق التحاور والهضم والتمثيل والافادة الايجابية من كل هذا.

٣ ـ قدرته على تجاوز الركود وفساد الاستقرار والثبات النسبي.

٤ ـ التأكيد على الوحدة القومية العربية، والهوية العربية المتميزة من الأمم الأخرى.

٥ ـ اقتران الهم والاهتمام السياسي بمشاكل تحديث المجتمع وأنظمة عيشه

باختلاف تفصيلاته، وإن كان ذلك الاهتمام بتلك المشاكل غير متعمق في القرن التاسع عشر، ليتوسع ويتبلور في أوائل القرن العشرين.

٦ ـ تعددية المعالجات وأنظمة التفكير فيها بما يعزز وحدة الفكر ويثري تنوع تياراته التي تمثلت في القرن التاسع عشر بـ:

أولاً: التيار العربي ـ الاسلامي، الذي كان لا يرى تعارضاً بين الإسلام والأخذ بعلوم العصر الحديث، ومجد العرب، مؤكداً أن الاسلام بغير قيادة العرب يؤدي إلى التخلف والاستبداد، وحتى الانحراف عن مبادىء الاسلام الحقيقية. وقد مثل هذا الرأي: جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا وعبد الرحمن الكواكبي. ونشأت مدرسة فكرية تعتبر امتداداً لهذا التيار تمثلت بعبد الحميد الزهراوي ورفيق العظم وعبد الغني العريسي.

ثانياً: التيار العلماني، الذي دعا إلى فصل الدين عن السياسة، متأثراً بالنظام السياسي الأوروبي، والذي مثله معظم المثقفين المسيحيين العرب.

وبسبب الظروف الاجتماعية والسياسية التي سادت المشرق العربي، فقد برز مفهوم الوحدة العربية بشكل واضح في هذه المنطقة.. فكان المفكرون العرب هنا أكثر استعداداً لتحقيق كيانهم السياسي واستقلالهم القومي..

ومنذ بداية القرن العشرين تبلور الاتجاه الوحدوي في الفكر القومي العربي، وبرز في ثلاثة اتجاهات هي:

١ ـ الدعوة إلى الحكم اللامركزي في الدولة العثمانية، بحيث تحصل الولايات العربية على شيء من الاستقلال الذاتي من شأنه أن ينمي الشخصية العربية، ويحافظ على اللغة العربية، ويضمن إدخال الاصلاحات الحديثة في الإدارة والتعليم والمواصلات والحياة الاقتصادية والاجتماعية، وقد تبنت هذه الدعوة جمعيات وأحزاب عربية كثيرة، تناولنا أغلبها في هذا الفصل.

٢ ـ اتجاه ثانٍ، ينادي بإنشاء مملكة عربية تتمتع بالاستقلال الذاتي وترتبط بالدولة العثمانية، ارتباط المجر بالنمسا في الامبراطورية النمساوية ـ المجرية في تلك الفترة من الزمان، ومثلت هذا الاتجاه بشكل بارز جمعيتا «القحطانية» و«العهد» السريتان.

٣ ـ اتجاه يرفض الخلافة العثمانية ويعتبرها غير شرعية، ويدعو إلى خلافة عربية قريشية، ومثل هذا الاتجاه عبد الرحمن الكواكبي. كما دعا إليه نجيب عازوري مع تقيده بالتعاون مع بريطانيا وفرنسا.

وبقيام الحرب العالمية الأولى اشتد التطاحن الاستعماري على الولايات العربية التي كانت لا تزال في حوزة العثمانيين، فكانت الاتفاقية الروسية ـ الفرنسية ـ البريطانية، المعروفة باتفاقية بطرسبرغ عام ١٩١٥ واتفاقية سايكس ـ بيكو عام ١٩١٦ المكملة لها[١٥٦].

وفيما تحرك عرب المشرق، وأخذوا زمام أمورهم بأيديهم، جرت الاتصالات بين الشريف حسين وقادة الحركة القومية في الشام، وقد أثمرت قيام الثورة العربية في عام ١٩١٦، التي كانت تجسيداً للشعور القومي العربي في إقامة الدولة العربية المستقلة.

كان الإعداد للثورة عربياً ولم يقتصر على الحجاز فحسب، وعند اندلاعها أعلنت الغالبية العظمى من المثقفين العرب في آسيا العربية انضمامها إلى الثورة، أو أعلنت تأييدها لها، وقويت آمالها بتحقيق حرية العرب ووحدتهم واستقلالهم بما أصدره الحلفاء من بيانات ووعود أثناء الحرب لكسب العرب إلى جانبهم.

لكن الحقيقة المرّة والتآمر الاستعماري الأوروبي تكشّفا بعد انتهاء الحرب، فلم يحصل العرب في مشرقهم على استقلالهم، بل وقعوا تحت سيطرة الاستعمار الأوروبي الذي لم يكتف بالسيطرة، بل عمد إلى تجزئة الوطن العربي، وفق معاهدة سايكس ـ بيكو، مع بعض التعديلات التي فرضتها الأحداث خلال سني الحرب بانسحاب روسيا من الحرب بعد قيام ثورة أكتوبر ١٩١٧، ودخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب، والعمل على تحقيق أطماع الصهاينة في فلسطين استناداً إلى وعد بلفور في عام ١٩١٧... لتكون هذه النتائج نهاية مرحلة في مسيرة الحركة القومية العربية والفكر القومي العربي، وبداية مرحلة جديدة.

(١٥٦) انظر نص اتفاقية سايكس ـ بيكو، في: عمر عبد العزيز عمر، **دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر** (بيروت: ١٩٩٠)، ص ٥٧٠ ـ ٥٨٠.

الفصل الثاني

الاتجاهات الوحدوية في الفكر القومي العربي في المشرق العربي (١٩١٨ ــ ١٩٣٩)

أولاً: السياسة الاستعمارية المناهضة للوحدة العربية (١٩١٨ ـ ١٩٣٩)

ركزت السياسة الاستعمارية في الوطن العربي، بعد الحرب العالمية الأولى، على:

١ ـ مقاومة التطلعات الوحدوية، ومحاولة تفتيت القطر الواحد، وخلق كيانات هزيلة.

٢ ـ محاولة حرف النضال القومي وجعله نضالاً قطرياً في أفضل الأحوال.

٣ ـ التأكيد على عزل الجزيرة العربية والخليج العربي عن مجرى التطورات السياسية والفكرية في المشرق العربي.

لقد شهد المشرق العربي، بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، تدخلاً بريطانياً ـ فرنسياً محموماً، من أجل رسم وتنفيذ الخطوط الرئيسية للسياسة الاستعمارية الجديدة في المنطقة، فأعلن الحلفاء نظام الانتداب، في مؤتمر سان ريمو الذي انعقد في نيسان/ ابريل ١٩٢٠، والذي أصبحت بموجبه بريطانيا منتدبة على العراق وفلسطين، وفرنسا منتدبة على سوريا ولبنان. وكان رد فعل الشعب العربي رفض الحماية والاحتلال والانتداب البريطاني ـ الفرنسي، حيث عمت الثورات مصر والعراق وسوريا وفلسطين.

وعندما عقد مؤتمر القاهرة في آذار/ مارس ١٩٢١، تقررت فيه إقامة حكومة عربية في العراق بزعامة فيصل بن الحسين، وتأسيس كيان شرق الأردن بزعامة شقيقه عبد الله، بحجة الايفاء بـ «وعودهم» للشريف حسين، الذي

تآمروا عليه، بتشجيع آل سعود على إسقاط مملكته في الحجاز[١].

كما شهدت عشرينيات هذا القرن قيام بريطانيا بدور أساسي في رسم حدود مصطنعة، وترسيخ التجزئة، من خلال ابتداع فكرة «الحدود السياسية»، بعقد سلسلة مؤتمرات في منطقة شبه الجزيرة العربية في العقير والمحمرة والكويت في الفترة (١٩٢٢ ـ ١٩٢٥) بشأن الحدود بين العراق ونجد والكويت وشرق الأردن والحجاز[٢].

كما فرضت بريطانيا حصاراً على تطوير علاقات العراق مع الجزيرة العربية والخليج العربي، وأخذت تحارب أي تقارب أو تعامل بينه وبينها، حتى نجد أن المقيمية البريطانية في الكويت ترفض أية مساعدة منه، حتى في الأمور الصحية والثقافية. فقد وجهت دار الاعتماد البريطاني في الكويت كل النشاطات التعليمية والصحية والاجتماعية والتجارية بالابتعاد عن العراق[٣].

كما بدأت سياستها بدعم وتسهيل هجرة اليهود من كل أنحاء العالم إلى فلسطين لتجزئتها بين العرب واليهود، لتحقيق وعد بلفور، بعد أن تآمرت مع فرنسا على تقسيم الشام بسلخ فلسطين عنها مثلما سلخوا شرقي الأردن.

وقد قاومت بريطانيا مساعي الملك فيصل لتوحيد سوريا والعراق، وقاومت كل محاولاته لقيام أي ارتباط وحدوي بين العراق وسوريا[٤]. وهذا الموقف المعارض أوضحته مذكرة سرية أعدتها وزارة الخارجية البريطانية، بعنوان: «مواقف حكومة صاحب الجلالة من قضية الوحدة العربية»[٥]. ويبدو أنها أول دراسة توضح موقف بريطانيا المعارض للوحدة العربية، بعد الحرب العالمية الأولى. فالوحدة العربية، كما يتضح من قراءة المذكرة، منافية ومخالفة للمصالح البريطانية، حيث تشير المذكرة إلى أن السعي لقيام اتحاد بين العراق

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن مؤتمر القاهرة ١٩٢١، انظر: Aaron S. Klieman, *Foundations of British Policy in the Arab World: The Cairo Conference of 1921* (Baltimore, MD: Johns Hopkins Press, 1970), p. 71.

(٢) مفيد كاصد الزيدي، «سياسة بريطانيا تجاه آل سعود، ١٩١٥ ـ ١٩٢٧،» (رسالة ماجستير، جامعة الموصل، كلية الآداب، ١٩٩٢)، ص ٧٠ ـ ٧١.

(٣) زكي صالح، **موجز تاريخ العراق: منشأ النفوذ البريطاني في بلاد ما بين النهرين** (بغداد: مطبعة الرابطة، ١٩٤٩)، ص ٣٧.

(٤) Khaldun Sati al-Husri, *King Faysal and Arab Unity, 1930-1933* (London: 1945), p. 97.

(٥) انظر: علاء موسى كاظم نورس، «السياسة البريطانية في العراق: مشروعات التقسيم،» **آفاق عربية**، السنة ١٨، العدد ٧ (تموز/ يوليو ١٩٩٣)، ص ٤٩.

وسوريا سيوتر علاقات بريطانيا بفرنسا، كما أن اتحاداً كهذا في حالة قيامه، سيؤدي إلى تسرب النفوذ الفرنسي من سوريا إلى العراق، الواقع تحت النفوذ البريطاني. وتتوقع المذكرة معارضة تركيا لقيام دولة عربية موحدة على حدودها الجنوبية، كما ترى أن قيام اتحاد عربي سيجعل من الصعب تنفيذ وعد بلفور. وتشير المذكرة إلى الشقاق بين الأسرتين الحاكمتين، الهاشمية والسعودية، ومعارضة الملك عبد العزيز آل سعود لقيام أي كيان اتحادي يسيطر عليه الهاشميون.

وتتعرض المذكرة إلى منطقة الخليج العربي، فتقول انه من المحتمل أن تقوم محاولات لمد فكرة الوحدة العربية إلى منطقة الخليج وجنوب الجزيرة وجنوبها الشرقي. وتمضي المذكرة إلى القول بأنه لو استطاع أنصار الوحدة العربية وضع فكرتهم موضع التطبيق، فمن المحتمل أن يضغطوا على مشيخات الخليج وجنوب الجزيرة لتأييد أهدافهم. وان هذا سيكون أمراً سلبياً بالنسبة لبريطانيا، إذ انه قد يدفع هذه المشيخات للتعاون مع الدول العربية الرئيسية في شمال وغرب الجزيرة لمقاومة النفوذ السياسي والثقافي الغربي في الشرق الأوسط. وتقول المذكرة انه بالنسبة لمشيخات الخليج، فمن المبادىء الأساسية البريطانية في الشرق الأوسط ألا تقوم إحدى الجارات القويات بضمها لها، وأن تظل هذه المشيخات وحدات منفصلة تحت السيطرة البريطانية الفعلية[٦].

وإزاء ذلك بدأت بريطانيا لا بمحاربة الاتجاهات والأفكار الوحدوية فحسب، بل بالعمل على تجزئة العراق، ويعتبر مشروع فصل جنوب العراق عن شماله، وجعله جزءاً تابعاً لحكومة الهند البريطانية، هو أبرز المشاريع الجدية التي طرحتها بريطانيا بعد غزوها للعراق عام ١٩١٤. وفعلاً بدأت سلطات الاحتلال بإدخال النظم الهندية في مختلف جوانب الحياة، واستمرت سياسة «التهنيد» لتأخذ أبعاداً خطيرة أخرى، وكانت الآمال معقودة لجعل جنوب العراق مستعمرة تابعة لحكومة الهند البريطانية، لولا المقاومة العراقية العنيدة التي توّجت بثورة ١٩٢٠. وهنا لا بد من الإشارة إلى ما ذكره أرنولد ولسن وكيل الحاكم الملكي العام، حيث يذكر أنه غالباً ما يشار في البرلمان البريطاني إلى الرغبة في جعل «بلاد ما بين النهرين» مستعمرة هندية، وأن أحد أعضائه قال في ٢٢ آذار/مارس ١٩١٦: «اني لأتطلع إلى بلاد ما بين النهرين بوصفها

(٦) المصدر نفسه.

الغنيمة التي يحارب في سبيلها الجيش الهندي، وإني لآمل أن أرى بلاد ما بين النهرين... مستعمرة هندية منقولة من ضفاف نهر السند». ولم يتفوه أحد من أعضاء الحكومة بكلمة واحدة ترد على هذه الأقوال، أو حتى تنفيها(٧).

وحتى بعد تأسيس الدولة العراقية المعاصرة استمرت بريطانيا في سياستها لتجزئة العراق. فعندما رفض الملك فيصل الأول توقيع المعاهدة البريطانية - العراقية عام ١٩٢٢ دفع ذلك الرفض وزير المستعمرات البريطاني، ونستون تشرشل، إلى استخدام وسائل التهديد والضغط لإجبار الملك على توقيع المعاهدة، وإلا شهدت المنطقة مآسي وتقسيمات وتجزئة جديدة. فقد طلب من المندوب السامي البريطاني ببغداد، بيرسي كوكس، في ٦ نيسان/أبريل ١٩٢٢ أن يخبر الملك فيصل أن رفضه التعاون مع بريطانيا سيؤدي على الأرجح إلى تغيير كامل في السياسة البريطانية بشأن العرب، وأن يخبره أيضاً أن بريطانيا في وضع صعب في الوقت الحاضر، بسبب المصروفات التي تنفقها لمنع ابن سعود من الهجوم على الحجاز، وأضاف: «إننا إذا رفعنا يدنا عن هذه المناطق، وهو ما سنقوم به، فإن فيصل سيسقط مرة ثانية وسيحطم عائلته أيضاً»(٨). وكان تشرشل يقصد بهذا التهديد التخلي عن الشريف حسين في الحجاز أمام تهديدات آل سعود، وهو ما فعلوه في ما بعد.

ولم يكتف البريطانيون بهذا التهديد، بل واجهوا الملك فيصل وبشكل عملي بالتهديد فعلياً بتجزئة العراق، فقد طلب تشرشل من برسي كوكس سحب القوات البريطانية من المناطق الكردية(٩). وفعلاً انسحبت تلك القوات من المنطقة الكردية، وسلمت السلطة إلى مجلس إداري محلي في السليمانية يرأسه الشيخ لطيف الحفيد، وبذلك أصبحت المنطقة التي تقع شرقي أربيل التون كوبري - كركوك - كفرى خارج السيطرة العسكرية والإدارية للحكومة العراقية(١٠)، بل إن الشيخ محمود - أخا الشيخ لطيف - أعلن نفسه ملكاً على كردستان وبدأ بالتعاون مع الأتراك(١١). وبذلك تكون بريطانيا، قد خالفت

---

(٧) آرنولد تالبوت ويلسون، **بلاد ما بين النهرين بين ولاءين: خواطر شخصية وتاريخية**، ترجمة فؤاد جميل؛ تقديم ومراجعة علاء نورس، ط ٢ (بغداد: [د.ن.]، ١٩٩١)، ج ١، ص ٨٦ - ٨٧.

(٨) F.O., 371-7771/E 3710 Paraphase Teleg. Churchill to Cox, 6 April 1922.

(٩) From Churchill to Cox, (Tel) 28 August 1922, In C.O. 731- 24- 42629.

(١٠) «British Report, to the League of Nations, 1922-1923,» p. 35.

(١١) المصدر نفسه.

كفرنسا صك الانتداب في رعاية العراق وإنشاء دولة موحدة فيه، وهي التي كانت تهيمن على السلطة العسكرية وتشارك في إدارة العراق وتوجيهه.

وبدأت بريطانيا، من جديد، بالتلميح بقطع جزء من العراق، وذلك قبيل مناقشة المجلس التأسيسي العراقي لنصوص المعاهدة البريطانية ـ العراقية، خاصة بعد مطالبة بعض النواب بإجراء التعديلات على بنود المعاهدة. ففي ٢٦ نيسان/ أبريل ١٩٢٤ كتب المندوب السامي البريطاني في بغداد إلى الملك فيصل الأول يؤكد عليه إما الموافقة على المعاهدة كما هي أو رفضها بكاملها، ولمح بلغة تهديد خفية إلى أن بريطانيا لن تتخلى عن حق العراق في ولاية الموصل، إذا صدقت المعاهدة(١٢). وكان هذا يعني أن العكس سيحدث إذا لم تصدق المعاهدة.

وهكذا اتخذت بريطانيا من مشكلة الموصل وسيلة ابتزازية لتهديد وحدة العراق وفرض المعاهدة عليه بالشكل الذي تريده هي، مثلما أبقت المشكلة الكردية من دون حل، بل عمدت إلى تغذيتها في الوقت المناسب.

ولم تسلم سوريا من التجزئة والتفتيت أيضاً، فعقب احتلال القوات الفرنسية لدمشق في ٢٤ تموز/يوليو ١٩٢٠(١٣)، أنشأ المفوض السامي الفرنسي في سوريا ولبنان، يوم ٣١ آب/أغسطس ١٩٢٠ دولة لبنان(١٤)، كما أنشأ دولة العلويين التي أصبحت عاصمتها اللاذقية في ٣٠ آب/أغسطس ١٩٢٠، ودولة حلب في الأول من أيلول/سبتمبر، ودولة دمشق في التاسع من تشرين الأول/ أكتوبر من العام نفسه(١٥).

وفي ١٦ آذار/مارس من عام ١٩٢٢ فصل جبل الدروز عن دولة دمشق، ليصبح كياناً قائماً بذاته، برئاسة حاكم تابع للمفوض السامي الفرنسي، هو الأمير سليم الأطرش(١٦). ومنذئذ خضعت سوريا لعدة عمليات تجزئة بهدف تقطيع أوصالها، ففي ٢٨ حزيران/يونيو ١٩٢٢ أنشىء الاتحاد السوري

---

(١٢) حول نص رسالة المندوب السامي البريطاني إلى الملك فيصل الأول، انظر: عبد الرزاق الحسني، **تاريخ الوزارات العراقية**، ط ٧ (بغداد: المكتبة الوطنية، ١٩٨٨)، ج ١، ص ٢٢١ ـ ٢٢٢.

(١٣) ساطع الحصري، **يوم ميسلون: صفحة من تاريخ العرب الحديث** (بيروت: [دار الاتحاد]، ١٩٥٦)، ص ٢٥٦ ـ ٢٦٧.

(١٤) حسن الحكيم، **الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية في العهدين العربي الفيصلي والانتداب الفرنسي، ١٩١٥ ـ ١٩٤٦** (بيروت: دار صادر، ١٩٧٤)، ص ٢٥١ ـ ٢٥٥.

(١٥) المصدر نفسه، ص ٢٥٣.

(١٦) المصدر نفسه، ص ٢٥٧ ـ ٢٥٩.

الذي ضم كلاً من دولة حلب ودمشق واللاذقية[١٧]. وأقر مجلس عصبة الأمم هذه التجزئة بقرار صدر في ٢٤ تموز/يوليو عام ١٩٢٢[١٨].

وحرصت السلطات الفرنسية في مشروع المعاهدة السورية ـ الفرنسية في ١٦ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٣٣، على فصل اللاذقية وجبل الدروز ولواء الاسكندرون عن الجمهورية السورية، واستثناء هذه المناطق من أحكام هذه المعاهدة[١٩].

وخلال المفاوضات السورية ـ الفرنسية عام ١٩٣٦ طرحت فرنسا موضوع لواء الاسكندرون كورقة ضغط على الجانب السوري، تماماً مثلما طرحت بريطانيا مشكلة الموصل على العراق خلال توقيع المعاهدة العراقية ـ البريطانية. وشكلت عصبة الأمم لجنة للنظر في الوضع النهائي للواء، فأقرت اللجنة أن يكون للواء الاسكندرون قانون أساسي، ومعاهدة فرنسية ـ تركية تضمن سلامة اللواء، وضم اللواء رسمياً إلى سوريا، وأُجريت في اللواء انتخابات تحت إشراف لجنة دولية في ٥ تموز/يوليو ١٩٣٧، وكانت تلك الانتخابات ستضمن بطبيعة الأمر إعادة اللواء نهائياً إلى سوريا[٢٠]. لكن فرنسا التي أرادت التحالف مع تركيا، حيث كانت صداقة تركيا آنذاك ضرورية، وقعت مع تركيا اتفاقاً في ٢٣ حزيران/يونيو ١٩٣٩، ينص على ضم لواء الاسكندرون إلى تركيا، وبذلك اقتطعت فرنسا اللواء من سوريا خلافاً لأحكام نظام الانتداب[٢١]، وبقيت سوريا مجزأة إلى ثلاث وحدات سياسية ـ إدارية، وتحت الضغط الوطني والقومي اضطرت فرنسا إلى إعادة جبل الدروز ومنطقة العلويين إلى الوطن الأم في

---

(١٧) المصدر نفسه، ص ٢٦١ ـ ٢٦٢.

(١٨) «وثائق عصبة الأمم لسنة ١٩٢٢،» ص ١٢٦ ـ ١٢٧.

(١٩) علي محافظة، **موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية، ١٩١٩ ـ ١٩٤٥**، مواقف الدول الكبرى من الوحدة العربية؛ ١ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٥)، ص ١٠٩.

(٢٠) بقيت ملفات الانتخابات في لواء الإسكندرون محفوظة في مقر عصبة الأمم ومن ثم في مقر هيئة الأمم المتحدة في جنيف، لا يسمح للباحثين بالاطلاع عليها حتى عام ١٩٨٠، وفتحت بعد هذا العام للباحثين، حيث تبين أن الغالبية العظمى من الفائزين في تلك الانتخابات كانوا عرباً، ومع دمج اللواء مع سوريا. انظر: المصدر نفسه، ص ١١٢.

(٢١) نصت المادة الرابعة من نظام الانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان على أن «الدولة المنتدبة مسؤولة عن عدم التنازل عن أي جزء من أجزاء سوريا ولبنان وعدم تأجيره أو وضعه تحت سلطة دولة أجنبية». انظر: الحكيم، **الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية في العهدين العربي الفيصلي والانتداب الفرنسي، ١٩١٥ ـ ١٩٤٦**، ص ٢٣١.

١٢ كانون الثاني/ ديسمبر ١٩٤٢[٢٢].

ولم يسلم الجزء الجنوبي من سوريا من سياسة التجزئة والتفتيت، فقد مارست بريطانيا كل الأساليب لتقسيم هذا الجزء. فقد حاولت تقسيم شرق الأردن إلى ثلاث دويلات، كما عملت على تقسيم فلسطين من خلال تنفيذ وعد بلفور لعام ١٩١٧، وذلك بتشجيع هجرة اليهود من أنحاء العالم إلى فلسطين وتقديم كل التسهيلات إليهم لاستيطان فلسطين، وبالتالي العمل على تقسيمها. وكانت سياسة بريطانيا، قبل الحرب العالمية الثانية، تقوم على تقسيم فلسطين إلى ثلاثة أقسام، قسم عربي، قسم يهودي، ومنطقة تحت الانتداب البريطاني، على الوجه التالي [٢٣]:

أولاً: القسم الشمالي، ويشمل شمال فلسطين متضمناً الجليل وجبل الكرمل وحيفا على سفحه، وهي منطقة تبقى تحت الانتداب البريطاني حتى يتم الاتفاق بين سكانه العرب واليهود على طلب إلغاء الانتداب ومنح هذا القسم استقلاله.

ثانياً: القسم الجنوبي، وهو منطقة النقب، وطالبت بالاحتفاظ بها تحت الانتداب البريطاني أيضاً، وساقت ذرائع لتسويغ الوضع السياسي لهذه المنطقة ذات الأهمية الاستراتيجية، فقالت: ان الدولة العربية ليست لديها موارد مالية كافية تخصصها لتعمير منطقة النقب من ناحية، وأن ضم النقب إلى الدولة العربية يطيح آمال اليهود في استيطان جزء من النقب من ناحية أخرى، كما أن تسليم النقب لليهود أمر محال من الناحية الثالثة.

ثالثاً: القسم الوسط، ويقسم إلى ثلاثة كيانات سياسية: دولة عربية، ودولة يهودية، ومنطقة القدس التي تكون تحت الانتداب الدائم. وتشمل الدولة العربية معظم داخلية البلاد بالإضافة إلى الساحل ما بين غزة ويافا. أما الدولة اليهودية فتشتمل على الساحل من شمال يافا إلى جنوبي حيفا، ويكون ميناؤها تل أبيب، أي أنها تمتد على المنطقة الساحلية ما بين زكرون يعقوب ورحوبوت. وبموجب هذا التقسيم تقسم فلسطين، ليس إلى ثلاثة أجزاء وإنما إلى خمسة أجزاء.

---

(٢٢) المصدر نفسه، ص ٣٨٠ ـ ٣٨٧.

(٢٣) جامعة الدول العربية، الأمانة العامة، إدارة فلسطين، **الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين: المجموعة الأولى، ١٩١٥ ـ ١٩٤٦** (القاهرة: الإدارة، ١٩٥٧)، وثيقة رقم (٣٥)، ص ٢٤٢ ـ ٢٦٣.

وبسبب الموقف الفلسطيني والعربي الرافض بشكل قاطع لأي شكل من أشكال التقسيم لفلسطين، ولقيام الحرب العالمية الثانية، أرجأت بريطانيا مشاريع تقسيم فلسطين حتى انتهاء الحرب. ولكي ترضي بريطانيا العرب وتحذرهم، خاصة أن خطر الحرب العالمية الثانية يهدد العالم، أصدرت بريطانيا «الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩»[٢٤]، صرحت فيه أنه ليس لبريطانيا «في خطتها تكوين دولة يهودية في فلسطين»، لكن بريطانيا أكدت أيضاً عدم استعدادها للاعتراف «باستقلال فلسطين كدولة عربية»، وأعلنت أن هدفها تكوين حكومة مستقلة لفلسطين من العرب واليهود خلال عشر سنوات، على أن ترتبط تلك الحكومة مع بريطانيا بمعاهدة تصان بها مصالح الدولتين التجارية والحربية. كما قرر «الكتاب الأبيض» أن تكون الهجرة اليهودية خلال السنوات الخمس التالية بمقدار من شأنه أن يزيد عدد السكان اليهود في فلسطين إلى ما يقارب ثلث مجموع سكان البلاد.

وقد رفض العرب «الكتاب الأبيض» هذا، لتعارضه مع أبسط أمانيهم القومية، واستمر الشعب الفلسطيني في ثورته إلى ما بعد نشوب الحرب العالمية الثانية. وبعد انتهاء الحرب، بدأت بريطانيا من جديد محاولاتها لتقسيم فلسطين فعرضت في شباط/فبراير ١٩٤٧ مشروعاً (عرف باسم مشروع بيفن)، رفضه العرب، فاستغلت بريطانيا هذا الرفض وقرب انتهاء فترة الانتداب، فأعلنت أنها لا تستطيع أن تفرض حلاً نهائياً بالقوة، لذلك أصبح من واجبها رفع الأمر إلى الأمم المتحدة لتقرير وفرض الحل الذي تراه مناسباً[٢٥]، على حد تعبيرها.

وهكذا استطاع الانتداب البريطاني وسياسة هذه الدولة إقحام شعب أجنبي على فلسطين، ووطدت فيها أقدام قوم أحسن تنظيمهم، طغت عليهم الروح العسكرية العدوانية لانتزاع البلاد من سكانها الأصليين. من جانبها فإن بريطانيا اقتنعت بأن الأمم المتحدة ستحقق سياستها في تقسيم فلسطين، وهو ما جرى، فقد اتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرار تقسيم فلسطين في ٢٩ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٤٧[٢٦]، الذي رفضه العرب، فلا الجمعية العامة

---

(٢٤) المصدر نفسه، وثيقة رقم (٣٨)، ص ٣١٠ ـ ٣٢٢.

(٢٥) جامعة الدول العربية، الأمانة العامة، إدارة فلسطين، **قرارات مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة الخاصة بقضية فلسطين** (القاهرة: الإدارة، ١٩٦٥)، ج ١، وثيقة رقم (٢٠٦)، ص ٨٩٥ ـ ٨٩٦.

(٢٦) Sydney Nettleton Fisher, *The Middle East: A History* (London: Routledge; New York: Knopf, 1959), p. 583.

ولا أي هيئة من هيئات الأمم المتحدة، وفق ميثاق الأمم المتحدة، تملك سلطة القيام بتقسيم إقليم لا تملك عليه أي سيادة أصلية أو بطريق الميراث من عصبة الأمم أو من غيرها.

وبعد لا بد من القول ان بريطانيا وفرنسا نجحتا في تفتيت الوطن العربي، ومشرقه بشكل خاص، وخلق الكيان الصهيوني في ما بعد، مثلما تعززت عقلية التجزئة والقطرية، من خلال ما أفرزته من دول قطرية لها مقوماتها ومؤسساتها وقوتها المادية وشخصيتها الدولية وفلسفتها، والتي تزداد جميعاً قوة ورسوخاً بمرور الزمن، خاصة بعد الاستقلال، الذي حصلت عليه بعد الحرب العالمية الثانية.

وعلى الرغم مما تدعيه هذه الدول من العمل لتحقيق الوحدة العربية، فإن ممارساتها تؤكد حقيقة واحدة هي أنها، في أغلبها، تعمل على تقوية وترسيخ كيان دولتها، فهي بالتالي عجزت عن تحقيق خطوات وحدوية كأضعف الإيمان.

ثانياً: التنظيمات القومية العربية في المشرق العربي (١٩١٨ ـ ١٩٣٩)

استمرت «جمعية العربية الفتاة» في عملها السياسي، وتحولت في ظل الحكم العربي الفيصلي في سوريا إلى حزب علني باسم «حزب الاستقلال العربي»، وذلك في ٥ شباط/فبراير ١٩١٩[٢٧]، أعلن أن هدفه الأول «استقلال العرب ووحدتهم الشاملة»[٢٨]. واستطاع هذا الحزب تشكيل فروع له في أنحاء سوريا والعراق، وتجلى نشاطه من خلال «النادي العربي». وقد اعتبر الفرنسيون نشاط هذا الحزب وناديه نشاطاً ضدهم[٢٩].

---

(٢٧) جورج أنطونيوس، **يقظة العرب: تاريخ حركة العرب القومية**، ترجمة ناصر الدين الأسد وإحسان عباس؛ تقديم نبيه أمين فارس، ط ٢ (بيروت: دار العلم للملايين؛ نيويورك: مؤسسة فرانكلين، ١٩٦٦)، ص ٣٢٢، ومحمد كرد علي، **المذكرات**، ٣ ج (دمشق: مطبعة الترقي، ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩)، ج ٢، ص ٥٧٧.

(٢٨) ذوقان قرقوط، **تطور الحركة الوطنية في سورية، ١٩٢٠ ـ ١٩٣٩** (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٥)، ص ٣٢، ومجيد خدوري، **الاتجاهات السياسية في العالم العربي: دور الأفكار والمثل العليا في السياسة** (بيروت: الدار المتحدة للنشر، ١٩٧٢)، ص ٧٤.

(٢٩) نجيب الأرمنازي، **سوريا من الاحتلال حتى الجلاء** (القاهرة: جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٥٤)، ص ٢٨.

واستطاع الشباب القومي الفلسطيني من أعضاء هذا الحزب تأسيس ناد لهم في القدس بالاسم نفسه «النادي العربي»، أواخر عام ١٩١٨، تلخصت أهدافه في هدفين، هما: «الوحدة السورية ومكافحة الصهيونية»، أما شعاره فكان في كلمتين، هما: «أرضنا لنا»(٣٠). واكتسب النادي شعبية واسعة عن طريق جريدة **سوريا الجنوبية** لصاحبيها عارف العارف وحسن البديري(٣١).

وخلال العام نفسه عقد هذا النادي مؤتمراً له في القدس، انتخب فيه لجنة دعيت «اللجنة التنفيذية لمؤتمر الشباب العربي الفلسطيني»(٣٢)، أشرفت على نشاطات النادي الأدبية والرياضية كواجهة للنشاط السياسي القومي العربي.

أما جمعية العهد فقد اقتنعت بأن متطلبات النضال، ما بعد الحرب، من أجل استقلال سوريا والعراق، تفرض عليها أن تنقسم إلى فرعين (سوري وعراقي)، يبذل كل منهما جهوده في سبيل تحرير القطر الذي ينتمي إليه. وهكذا انقسمت جمعية العهد إلى حزب العهد السوري، الذي ظل معتمداً منهج الجمعية الأصلي(٣٣)، وجمعية العهد العراقي، التي تأسست عام ١٩١٩، من فرعين أحدهما في الموصل والآخر في بغداد(٣٤). وقد تضمن برنامجها العمل على تحقيق:

١ ـ استقلال العراق استقلالاً تاماً ضمن الوحدة العربية وداخل حدوده الطبيعية.

٢ ـ طلب المساعدة الفنية والاقتصادية من بريطانيا، على أن تكون هذه المساعدة بالثمن ولا تمس استقلال العراق التام.

٣ ـ إنهاض الشعب العراقي ليباري أرقى الأمم الغربية.

---

(٣٠) أكرم زعيتر، **يوميات أكرم زعيتر: الحركة الوطنية الفلسطينية، ١٩٣٥ ـ ١٩٣٩**، الدراسات؛ ٥٥ (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٠)، ص ٩٧.

(٣١) بيان نويهض الحوت، **القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين، ١٩١٧ ـ ١٩٤٨**، الدراسات؛ ٥٧ (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨١)، ص ٨٦.

(٣٢) المصدر نفسه.

(٣٣) انظر: أحمد عزت الأعظمي، **القضية العربية: أسبابها، مقدماتها، تطورها ونتائجها**، ٦ ج (بغداد: مطبعة الشعب، ١٩٣١ ـ ١٩٣٤)، ج ٤، ص ٦٦.

(٣٤) انظر: عبد الرزاق الحسني، **تاريخ الأحزاب السياسية العراقية: دراسة تاريخية متواضعة عن الأحزاب السياسية التي تكونت في العراق بين ١٩١٨ ـ ١٩٥٨** (بيروت: مركز الأبجدية، ١٩٨٠)، ص ٢٥.

٤ ـ السعي لخير الأمة العربية عامة[٣٥].

كما أعلنت الجمعية عن رغبتها بإقامة دولة ملكية دستورية، يتقلد فيها العرش أحد أبناء الشريف حسين، وكانت تفضل الأمير عبد الله، كما أعلنت سعيها لتحقيق اتحاد الأقطار العربية، تحت عرش الشريف حسين، ملك الحجاز، واتباع الوسائل السلمية والمفاوضات لتحقيق هذه الأهداف[٣٦].

وفي عام ١٩١٩ تأسست في بغداد جمعية حرس الاستقلال[٣٧]. وتضمن برنامجها القومي:

١ ـ استقلال العراق استقلالاً تاماً.

٢ ـ تشكيل مملكة عراقية يسند فيها العرش إلى أحد أنجال الشريف حسين، على أن يكون ملكاً دستورياً ديمقراطياً.

٣ ـ العمل على ضم المملكة العراقية إلى لواء الوحدة العربية.

٤ ـ توحيد كلمة العراقيين وبذل أقصى الجهود للقضاء على كل بواعث الافتراق في الدين والمذهب[٣٨].

لكن الجمعية لم توضح لنا شكل الوحدة العربية ونوع الحكم فيها، على أنه يمكن القول إن الوحدة العربية، في نظر هذه الجمعية، هي الوحدة نفسها التي كانت تنشد تحقيقها الجمعيات العربية، أي وحدة المشرق العربي. وما يعزز هذا الرأي تأكيد الجمعية على إقامة مملكة عراقية تحت زعامة أحد أنجال الشريف حسين، ويستدل من الفقرة الثانية أن نوع الحكم في دولة الوحدة المنشودة يفضل أن يكون ديمقراطياً.

ولقد انضمت إلى جمعية حرس الاستقلال منظمة سرية تدعى «جمعية

(٣٥) أمين سعيد، **الثورة العربية الكبرى**، ٣ ج (القاهرة: مطبعة البابي الحلبي، ١٩٣٤)، ج ٢، ص ٢١.

(٣٦) ل. ن. كوتلوف، **ثورة العشرين الوطنية التحررية في العراق**، تعريب عبد الواحد كرم؛ مراجعة عبد الرزاق الحسني (بيروت؛ بغداد: دار الفارابي، ١٩٧١)، ص ١٣٩ ـ ١٤٢.

(٣٧) علي البازركان، **الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية**، ط ٢ (بغداد: ١٩٩١)، ص ٢٧؛ الحسني، **تاريخ الأحزاب السياسية العراقية: دراسة تاريخية متواضعة عن الأحزاب السياسية التي تكونت في العراق بين ١٩١٨ ـ ١٩٥٨**، ص ١٨ ـ ١٩، ومحمد طاهر العمري، **تاريخ مقدرات العراق السياسية**، ٣ ج (بغداد: المكتبة العصرية، ١٩٢٤ ـ ١٩٢٥)، ج ٣، ص ١٨٨ ـ ١٩٨.

(٣٨) الحسني، المصدر نفسه، ص ١٨ ـ ١٩.

الشبيبة العربية»، كما أنها نشطت بين مختلف المواطنين[٣٩]، وبالتالي برزت كقوة من قوى ثورة العشرين. ومن المهم التأكيد على حقيقة أنه حتى أواخر عام ١٩١٨ كانت الحركة القومية العربية في العراق منحصرة بين أوساط المثقفين. وقد لعبت الظروف السياسية والاقتصادية في القطر دوراً في اتساع النقمة والسخط على المحتلين البريطانيين. فعدم احترام مشاعر وتقاليد العراقيين من قبل المحتلين، إضافة إلى السياسة الضرائبية التعسفية التي انتهجتها الادارة البريطانية، قد أثارا سخط الجماهير الشديد[٤٠]. فالأسلوب الاستعماري البغيض للإدارة البريطانية المحتلة حفز العشائر ضد المحتلين، من جانب، ومن جانب آخر تحرك القوميون في المدن بالتنسيق والتعاون مع العشائر العراقية وشيوخها. وهكذا كان الاستثمار الذكي للظروف آنذاك من قبل القوميين هو الذي أتاح للحركة القومية العربية في العراق الحصول على التأييد الشعبي الواسع الذي كان في التحليل النهائي ركيزتها الحقيقية.

ومثلما أدت السياسة البريطانية إلى تسهيل الهجرة اليهودية إلى فلسطين وغض النظر عن امتلاكهم الأسلحة وتقديم التسهيلات الأخرى لهم، أو لنقل بعبارة أدق، التحالف البريطاني ـ الصهيوني في فلسطين، أدت أيضاً إلى حصول الحركة القومية العربية على التأييد الشعبي الواسع، وزيادة استجابة الفلسطينيين لمواجهة ما يحاك لهم ويحيق بهم، حيث بادر الفلسطينيون، وعلى الأخص الشباب منهم، إلى إقامة نواد وجمعيات بعضها تحت أسماء رياضية أو ثقافية لمقاومة السياسة البريطانية.. وكانت جمعية النهضة الفلسطينية واحدة من الجمعيات التي مثلت التيار القومي في فلسطين، وأنشأ بعدها عدد من الفلسطينيين في أول حزيران/ يونيو ١٩٢٠ الجمعية العربية الفلسطينية لتعمل في سبيل جمع كلمة الجمعيات الفلسطينية وتوحيد غاياتها، إلى جانب مقاومة الهجرة الصهيونية وإبقاء فلسطين ضمن إطار الوحدة السورية[٤١].

وجاء انعقاد المؤتمر الفلسطيني الأول في القدس عام ١٩١٩ كخطوة أولى لتنظيم النضال القومي في فلسطين، فقد ضم المؤتمر ممثلين عن الجمعيات

(٣٩) كوتلوف، **ثورة العشرين الوطنية التحررية في العراق**، ص ١٤٣ ـ ١٤٤.

(٤٠) وميض جمال عمر نظمي، غانم محمد صالح وشفيق عبد الرزاق، **التطور السياسي المعاصر في العراق** ([بغداد]: جامعة بغداد، كلية القانون والسياسة، قسم السياسة، [١٩٨؟])، ص ٩٤.

(٤١) مهدي أسد حيدر، **التحالف البريطاني الصهيوني في فلسطين: بحث في التطورات السياسية، ١٩١٨ ـ ١٩٣٦** ([بغداد؟]: شركة آسيا، ١٩٨٤)، ص ٦٩.

الاسلامية ـ المسيحية في أغلب المدن الفلسطينية، وبدا واضحاً في هذا المؤتمر غلبة اتجاه أصحاب الأملاك والمصالح والمتنفذين، الذين يعولون على السياسة البريطانية لتحقيق هدف الاستقلال والفصل بين الانتداب البريطاني والخطر الصهيوني. ولم تقض هذه القوة وغلبة هذا التيار على اتجاه الشباب المثقف الذي يؤمن بالنضال القومي وبالطريق العربي الذي أقرته القوى القومية العربية طريقاً لنيل الاستقلال آنذاك(٤٢).

وغدت المؤتمرات السنوية التي أصبحت وسيلة أساسية للعمل وسارت عليها الجمعيات والنوادي الفلسطينية الأخرى، الخط العام الذي يميز هذه الفترة، وهو تقديم المذكرات، وتضمينها المطالب المركزية: وقف ومنع انتقال الأراضي، وإلغاء مشروع الوطن القومي اليهودي، وتحقيق الاستقلال... على أن ذلك لا يلغي أهمية المؤتمرات السنوية كعامل استقطاب للقوى القومية والوطنية، ودورها في استعراض مسيرة النضال القومي في فلسطين، وأصبحت اللجان التنفيذية التي تنبثق من هذه المؤتمرات تلعب دورها إلى جانب النوادي والجمعيات في التوعية بما يجري داخل فلسطين وسوريا بشكل خاص.

وإزاء الأخطار المحدقة بسوريا عقد المؤتمر السوري العام في دمشق خلال الفترة (٢٠ حزيران/ يونيو ـ ١٩ تموز/يوليو ١٩١٩). والواقع أن هذا المؤتمر قد مثل جميع الاتجاهات في الحركة القومية العربية في سوريا، حيث تكوَّن المؤتمر من خمسة وثمانين عضواً منتخبين وخمسة وثلاثين مندوباً عن القبائل ورؤساء الطوائف الدينية، يمثلون جميع مناطق سوريا (الشرقية والغربية والجنوبية)(٤٣). واتخذ المؤتمر قرارات يمكن إجمالها بـ:

١ ـ المطالبة بالاستقلال التام لسوريا بحدودها الطبيعية، والحفاظ على وحدتها، ورفض محاولات تجزئتها، ورفض أية معاهدة تفضي إلى تجزئة البلاد أو وعد يرمي إلى تمكين الصهاينة في القسم الجنوبي من البلاد.

٢ ـ أن تكون الحكومة السورية ملكية مدنية نيابية، تدير مقاطعاتها إدارة

(٤٢) لمزيد من التفاصيل، انظر: الحوت، **القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين، ١٩١٧ ـ ١٩٤٨**، ص ٩٥ ـ ١٠٠.

(٤٣) محمد حرب فرزات، **الحياة الحزبية في سوريا: دراسة تاريخية لنشوء الأحزاب السياسية وتطورها بين ١٩٠٨ ـ ١٩٥٥** (دمشق: دار الرواد، ١٩٥٥)، ص ٦٢، وخيرية قاسمية، **الحكومة العربية في دمشق بين ١٩١٨ ـ ١٩٢٠**، مكتبة الدراسات التاريخية (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧١)، ص ١١٤ ـ ١١٥.

لامركزية تحفظ فيها حقوق الأقليات، وترشيح فيصل بن الحسين لعرش البلاد.

٣ ـ رفض مبدأ الانتداب في سوريا في المادة (٢٢) من ميثاق عصبة الأمم.

٤ ـ المطالبة بالمساعدة الفنية والاقتصادية من الولايات المتحدة الامريكية، على ألا تمس هذه المساعدة استقلال البلاد السياسي التام ووحدتها، وعلى ألا يزيد أمد هذه المساعدة على عشرين عاماً. وإذا رفضت الولايات المتحدة ذلك فتطلب المساعدة من بريطانيا.

٥ ـ عدم الاعتراف بكل دعوى بحق فرنسا في سوريا، ورفض أية مساعدة من طرفها.

٦ ـ رفض المطالب الصهيونية في فلسطين.

٧ ـ المطالبة باستقلال العراق التام، وعدم وضع حواجز اقتصادية بين العراق وسوريا[٤٤].

والحقيقة أن الحركة القومية العربية في سوريا ضمت ثلاثة تيارات، تياراً مثله القوميون السوريون الذين كانوا يقيمون في مصر، وتياراً آخر مثله أعيان سوريا وكبار الملاكين وأغنياء البلاد الذين مثلوا تجمعاً سياسياً فضفاضاً لا يعارض فرنسا[٤٥]، فيما مثلت التيار الثالث جمعيتا «العربية الفتاة» و«العهد»، وكان هذا التيار يطالب بالاستقلال التام لسوريا والعراق ضمن اتحاد فدرالي يشمل شبه الجزيرة العربية، ويعارض علناً أطماع فرنسا ومؤامرات بريطانيا مع الحركة الصهيونية، ووجودها العسكري في العراق. ويبدو أن هذا التيار كان أقوى تلك التيارات.

وصاحب انعقاد المؤتمر السوري ازدياد النشاط السياسي، فشكلت هذه التيارات أحزاباً سياسية للمساهمة في الحياة السياسية والبرلمانية الجديدة، أبرزها: حزب الاتحاد السوري، الذي تمثل فيه القوميون السوريون. وكانت أهداف هذا الحزب: تكوين دولة سورية بحدودها الطبيعية، وتكون مستقلة استقلالاً تاماً،

---

(٤٤) أحمد قدري، **مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى** (دمشق: مطابع ابن زيدون، ١٩٥٦)، ص ١٢٦ ـ ١٢٩.

(٤٥) لمزيد من التفاصيل عن ممثلي هذه التيارات، انظر: محافظة، **موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية، ١٩١٩ ـ ١٩٤٥**، ص ٧١.

بضمانة عصبة الأمم، وتحكمها حكومة ديمقراطية، تقوم على مبدأ اللامركزية، ويكون مقر الحكومة الاتحادية (دمشق صيفاً، وبيروت شتاءً)، والعمل على توحيد برامج التعليم(٤٦).

أما بالنسبة للوحدة العربية، فقد أكد هذا الحزب، أنه في حالة ما إذا قررت الأمة العربية تحقيق وحدتها انضمت إليها سوريا، شريطة أن تكون هذه الوحدة اتحاداً كونفدرالياً(٤٧).

مما تقدم يبدو أن حزب الاتحاد السوري لم يعمل لتحقيق الوحدة العربية، وإنما ترك تحقيقها إلى الأمة العربية، أو إلى التنظيمات السياسية القومية الأخرى. هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن برنامج هذا الحزب هو تطوير لبرنامج حزب اللامركزية السابق الذي شكل في القاهرة. وبقي شكل الحكم، في برنامج الحزب، غامضاً، ولم توضح كلمة «ديمقراطية»، فقد فسرت على أنها إقامة النظام الجمهوري. على أن الحزب اضطر إلى تعديل خطه لملاءمة الجو السائد في دمشق، ومن ذلك انضمام رئيس الحزب، عبد الرحمن الشهبندر، إلى جمعية العربية الفتاة، ودخوله الوزارة(٤٨).

وإلى جانب حزب الاستقلال العربي(٤٩)، الذي شكل المظهر العلني لجمعية «العربية الفتاة» السرية، تشكَّل حزب التقدم الذي شكل مظهراً برلمانياً لجمعية الفتاة، وقد أوجد لتحقيق أهداف الجمعية داخل البرلمان. والحقيقة أن أعضاء هذا الحزب، في البرلمان، هم المتشبثون بالاستقلال وعدم التساهل تجاه المطامع الأجنبية من جهة، ويحملون مبادىء اجتماعية وإصلاحية، وطالبوا بمساواة المرأة بالرجل(٥٠).

ظل التيار القومي العربي في المشرق العربي،الأكثر بروزاً بين التيارات الأخرى، بحكم الواقع العربي المتحرك نحو التكتل والتوحد لتجاوز التجزئة

---

(٤٦) فرزات، **الحياة الحزبية في سوريا: دراسة تاريخية لنشوء الأحزاب السياسية**، ص ٧٠ ـ ٧١.

(٤٧) محافظة، المصدر نفسه، ص ٧١.

(٤٨) المصدر نفسه.

(٤٩) لكن هذا الحزب والأحزاب العلنية الأخرى انتهت بعد سقوط الحكومة العربية واحتلال فرنسا لسوريا في تموز/يوليو ١٩٢٠، وفرض الانتداب عليها في تموز/يوليو ١٩٢٢، حيث رحل معظم قادة هذا الحزب إلى شرق الأردن وفلسطين واستعادوا نشاطهم هناك، في حين لجأ عدد من قادة حزب الاتحاد السوري إلى مصر حيث استأنفوا هناك نشاطهم السياسي.

(٥٠) المصدر نفسه، ص ٦٤ ـ ٦٥.

والسيطرة الاستعمارية. لذا عقد المفكرون القوميون الشباب، من مختلف الأقطار العربية، مؤتمراً عربياً في مصيف بلودان في أيلول/سبتمبر ١٩٣٧، وضعوا فيه ميثاقاً، تحت عنوان: «القومية العربية حقائق وإيضاحات ومناهج»[٥١]. كما تمخض المؤتمر عن تأسيس الحزب العربي[٥٢]، الذي ضم نخبة من الشباب القومي[٥٣]. واستطاع هذا الحزب إنشاء فروع له وواجهات اجتماعية على شكل جمعيات ونواد[٥٤]. وتضمن ميثاق «القومية العربية.. حقائق وإيضاحات ومناهج»، برنامج العمل السياسي والثقافي للحزب العربي، وقد جاء في هذا الكراس: «إن الفكرة القومية هي الحركة التي يقوم بها العرب لتحرير أنفسهم من الاستعمار والاستبداد والجهل وسائر ضروب الوهن. على أن ذلك لن يتم إلا أن يؤالفوا شملهم ويتحدوا في دولة قوية عربية قومية متحضرة... ويؤدوا رسالتهم إلى الإنسانية والحضارة العالمية».

وحدد هذا البرنامج العرب بكل من كانت لغتهم العربية أو يقطنون الأقطار العربية، وليست لهم في الحالتين أية عصبية تمنعهم من الاندماج في القومية العربية. أما حدود الوطن العربي، فهي: من الشمال جبال طوروس والبحر المتوسط، ومن الغرب المحيط الأطلسي والبحر المتوسط، ومن الجنوب بحر العرب وجبال الحبشة وصعيد السودان والصحراء الكبرى، ومن الشرق

---

(٥١) انظر نص الميثاق في: الحوت، **القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين، ١٩١٧ ـ ١٩٤٨**، ص ٧٨١ ـ ٧٨٨.

(٥٢) استقطب هذا الحزب اهتمام العرب في كل مكان بما في ذلك الجاليات العربية في أوروبا، فانتشرت حركة سميت «حركة الكتاب الأحمر» نسبة إلى لون غلاف الميثاق، الذي كان أحمر. انظر: عبد الحميد الهلالي، «دور الأحزاب السرية في الثورة الثانية ضد الإنكليز،» **العراق** (بغداد)، ٤/ ٥/ ١٩٩٤، في حين يرى حازم المفتي أن هذا الحزب اعتمد على ميثاق نادي المثنى وميثاق عصبة العمل القومي والتزم بهما، هذا يعني أن تأسيس هذا الحزب جاء بعد تأسيسهما. انظر: حازم المفتي، **العراق بين عهدين: ياسين الهاشمي وبكر صدقي** (بغداد: ١٩٥٩)، ص ٢٤١ ـ ٢٤٢.

(٥٣) للاطلاع على أسماء أعضاء هذا الحزب، انظر: ابراهيم الجبوري، **سنوات من تاريخ العراق: النشاط السياسي المشترك لحزبي الاستقلال والوطني الديمقراطي في العراق، ١٩٥٢ ـ ١٩٥٩** (بغداد: [د.ت.])، ص ٢٦؛ المفتي، المصدر نفسه، ص ٢٤٠ ـ ٢٤٢؛ منير الريس، **الكتاب الذهبي للثورات الوطنية في المشرق العربي**، ٣ ج (بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٩ ـ ١٩٧٧)، ج ٣، ص ١٠٣ ـ ١٠٩، والهلالي، المصدر نفسه، ص ٣.

(٥٤) فروعه في دمشق وتونس وبغداد، ومن أبرز واجهاته: جمعية الجوال، النادي العربي في دمشق، ونادي المهلب في البصرة وغيرها. انظر: الجبوري، المصدر نفسه، ص ٢٦، والهلالي، المصدر نفسه، ص ٣.

جبال بشتكوه والبختيارية وخليج البصرة. أما الجزر القريبة من الشواطىء العربية، والتي يسكنها عرب فهي عربية. . . ويبدو أن البرنامج في هذه النقطة ذهب أبعد مما يتطلبه الواقع وأدخل مناطق لا يمكن أن تكون جزءاً من الدولة العربية المنشودة.

ورفض البرنامج «العصبيات» الطائفية والعائلية والقطرية والاقليمية، كما رفض النضال القطري، الذي لا يؤدي إلى التحرير والتوحيد الشاملين. فالنضال قد تتنوع أساليبه، وفق ظروف القطر المعين، لكن لا بد من أن يقوم بينها جميعاً ضابط، يؤلفها وينسقها ويوجهها بما يحقق هدف الأمة العربية القومي بأقل التضحيات وأقصر الزمن. وهذا الضابط هو «التنظيم»، أي الحزب القومي، واعتبر قيادة هذا التنظيم المنظم لحركة العرب القومية، وأداة الكفاح لتحقيق الوحدة.

أما أساليب العمل لتحقيق الوحدة العربية، فقد حددها المنهج بالجهاد وبشريعة القوة لطرد المستعمرين، وإذا لم يكن ذلك ممكناً فبالمقاومة السلبية، التي ستؤدي حتماً إلى تعطيل فعله في المستقبل قريباً كان أو بعيداً.

واعتبر البرنامج أي تنازل عن سيادة أو ثروة الوطن كلاً أو جزءاً تنازلاً منبوذاً غير مشروع، وأن السيادة للأمة العربية وحدها. أما نوع الدولة العربية المنشودة ففدرالي، ونظام الحكم فيها ديمقراطي ـ برلماني، علماني، وتحترم كل الأديان والطقوس الدينية.

ونظر البرنامج إلى الوطن العربي كوحدة اقتصادية، ودعا إلى توحيد كل الجهود، من حيث وسائل الإنتاج والاستهلاك والتصدير، وإزالة الحواجز الجمركية، وتوحيد التشريع في الأمور الاقتصادية العامة، والعمل على إزالة النفوذ الاقتصادي الأجنبي، والسعي إلى إقامة المشاريع الاقتصادية العربية. وتناول البرنامج الوضع الزراعي في الوطن العربي، فدعا إلى استصلاح الأراضي، وتوزيعها على الفلاحين، بشكل عادل، وتوفير وسائل الانتاج، وإقامة مشاريع الري، وتوفير مستلزمات الزراعة الحديثة.

واهتم البرنامج بالثقافة والتربية القومية، من أجل خلق إنسان عربي قومي، في عقيدته، يقدر المصلحة العامة، ويضحي من أجل تحقيقها. والثقافة التي ينشدها البرنامج تستمد عناصرها من المدنيتين: الروحية الشرقية والمادية الغربية، وهي الثقافة التي تنشدها الأمم، لأنها تخلق الطمأنينة الفردية والدولية، وتوجد الرقي المعنوي والرخاء المادي للجنس البشري. ويرى البرنامج أن

العرب أقدر الأمم على إنشاء مثل هذه الثقافة، عند قيام دولتهم المقبلة، لسبب جغرافي، وهو أن وطنهم حلقة اتصال مثلى بين أمم الأرض، وتاريخي، وهو أنهم وارثو مدنية حفلت بالخصائص والمميزات اللازمة لتلك الثقافة المنشودة.

واتخذت الحركة القومية العربية، خلال مرحلة الثلاثينيات شكلاً أكثر تنظيماً، وفكراً أكثر نضجاً. فخلال انعقاد المؤتمر الاسلامي العام في القدس، خلال الفترة ٧ ـ ١٧ كانون الثاني/ يناير ١٩٣١، عقد زعماء حزب الاستقلال العربي القديم، الذين حضروا المؤتمر الاسلامي العام، المؤتمر العربي في القدس(٥٥)، وأصدروا «الميثاق العربي» الذي أكد على(٥٦):

١ ـ أن الوطن العربي وحدة تامة لا تتجزأ، وكل ما يطرأ عليه من أنواع التجزئة لا تقره الأمة ولا تعترف به.

٢ ـ توجه الجهود في كل قطر من الأقطار العربية إلى وجهة واحدة، هي استقلالها التام، كأمة موحدة، ومقاومة كل فكرة ترمي إلى الاقتصار على العمل للسياسات المحلية.

٣ ـ لما كان الاستعمار بجميع أشكاله وصيغه يتنافى كل التنافي مع كرامة الأمة العربية وغايتها العظمى، فإن الأمة العربية ترفضه وتقاومه بكل قواها.. وقد شكل المؤتمر علامة بارزة في نشاط الحركة القومية العربية آنذاك.

وفي عام ١٩٣٢ تأسس في القدس حزب الاستقلال العربي(٥٧)، الذي تضمن برنامج العمل على استقلال البلاد العربية استقلالاً تاماً، وتشكل البلاد العربية وحدة تامة لا تقبل التجزئة، وأن فلسطين عربية، وهي جزء طبيعي من

---

(٥٥) من المشاركين في المؤتمر: رشيد رضا، ومحمد بهجة الأثري، وابراهيم الواعظ، وخير الدين الزركلي، وابراهيم الخطيب، ورياض الصلح، وشكري القوتلي، وعوني عبد الهادي، وعجاج نويهض، وأسعد داغر وغيرهم. انظر: محمد عزة دروزة، **حول الحركة العربية الحديثة: تاريخ ومذكرات وتعليقات**، ٦ ج (صيدا: المطبعة العصرية، ١٩٥٠ ـ ١٩٥١)، ج ٣، ص ٨٨، والحوت، **القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين، ١٩١٧ ـ ١٩٤٨**، ص ٨٧٧.

(٥٦) انتخب المؤتمر لجنة تنفيذية، وذلك لعقد مؤتمر يبحث في الوسائل المؤدية لنشر هذا الميثاق ورعايته والخطط التي ينبغي السير عليها، لكن الجهود فشلت في عقد هذا المؤتمر في بغداد. لمزيد من التفاصيل، انظر: دروزة، المصدر نفسه، ص ٨٨ ـ ٩٠.

(٥٧) تشكلت الهيئة المؤسسة لهذا الحزب من عناصر قومية لها دور في الحركة القومية العربية، أمثال: عوني عبد الهادي، ومعين الماضي، ومحمد عزة دروزة، وصبحي الخضرا، والدكتور سليم سلامة، وأكرم زعيتر، وعجاج نويهض. لمزيد من التفاصيل، انظر: الحوت، المصدر نفسه، ص ٢٦٣ ـ ٢٦٥.

سوريا، والحزب يعمل لتحقيق هذه الأهداف بمفرده أو بالاشتراك مع الهيئة الاستقلالية في الأقطار العربية[٥٨].

وفي عام ١٩٣٣ وجدت نخبة من الشباب القومي، المنضوي تحت لواء الكتلة الوطنية في سوريا، أن الكتلة لا تلبي طموحاتهم القومية، من إطارها النظري إلى حيز الواقع الفعلي، فشكلوا عصبة العمل القومي[٥٩].

حدد دستور هذه العصبة مشروعها القومي بأن[٦٠]:

١ ـ العرب في ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم أمة واحدة، والعروبة أخوة يتساوى فيها العرب بالحقوق والواجبات.

٢ ـ الأمة العربية جسد اجتماعي واحد، كل عضو فيه يقوم بوظيفته الخاصة فلا فاصل ولا مفصول، إلا بالمواهب والأخلاق والعمل الوطني المثمر.

٣ ـ الأقطار العربية مجموعها وطن عربي واحد.

٤ ـ القومية العربية فوق كل شيء وقبل كل شيء، وكل ما يتعارض مع قيمها إنما هو عصبية طائفية أو قبلية.

وفي ضوء ما تقدم حددت العصبة أهدافها القومية بهدفين، هما[٦١]:

ـ إنشاء دولة عربية موحدة تلبية لإرادة العرب العامة.

ـ تحقيق سيادة العرب واستقلالهم المطلقين، وبذلك ربطت العصبة بين الاستقلال والوحدة، وجعلت كلاً منهما شرطاً لتحقيق الآخر وجزءاً متمماً له.

ولتحقيق هذين الهدفين، رأت العصبة أن لا بد من إشراك الشعب وطبقاته

---

(٥٨) المصدر نفسه، ص ٧٣٤ ـ ٧٣٧.

(٥٩) تأسست عصبة العمل القومي، على أثر اجتماع للشباب القومي العربي، في قرنايل، جبل لبنان، للفترة (٢٤ ـ ٢٩/٨/١٩٣٣)، وكان من بين الأعضاء البارزين عبد الرزاق الدندشي، وصبري العسلي، وفريد زين الدين، وزكي الأرسوزي. لمزيد من التفاصيل، انظر: قرقوط، **تطور الحركة الوطنية في سورية، ١٩٢٠ ـ ١٩٣٩**، ص ١٧٨ ـ ١٧٩.

(٦٠) انظر العدد الخاص بالأحزاب السياسية في البلاد العربية من: **العروة الوثقى** (حزيران/ يونيو ١٩٤٧)، ص ٧٨.

(٦١) يوسف خوري، معد، **المشاريع الوحدوية العربية، ١٩١٣ ـ ١٩٨٧: دراسة توثيقية** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٨)، ص ٩٣ ـ ٩٦.

بأسرها، ورفض «كل أساس فردي أو زعامة محلية شأن الحركات السابقة»[٦٢].

طورت العصبة أفكارها القومية بصورة أوضح في السنوات التي تلت تأسيسها، ففي بيانها الصادر في الثاني من نيسان/ أبريل ١٩٣٦، تصور متقدم لفكرة العروبة والوطن العربي والأمة العربية وتوكيد على العلمانية. فالعروبة، وفق هذا التصور، ليست جنسية العرب، وإنما هي مسألة تتصل بوجود الأمة العربية. فالأمة العربية تتألف من سكان الأرض العربية، الذين تجمعهم وحدة اللغة والعقلية والذكريات التاريخية والأخلاق والعادات والمصالح والآمال المشتركة. ويعتبر عربياً من كانت لغته الأصلية عربية، ويقيم على الأرض العربية، وليس لديه ما يحول دون اكتسابه الهوية العربية[٦٣]. أما حدود الوطن العربي، فهي حدود الوطن العربي الحالية، أما أهداف الحركة القومية العربية، فهي: إيقاظ القوى الحية في الأمة، وتنظيم عناصرها في ظل حكومة مستقلة موحدة ومتحضرة، وكل تيار يستند إلى الاقليمية أو العنصرية أو الاختلاف في الرأي هو قوة مدمرة، ينبغي القضاء عليها أو إذابتها[٦٤].

والوطن العربي ملك العرب جميعاً، وأي اعتداء على أي جزء منه اعتداء على الكل، أما أخطر أعداء الأمة فهو الاستعمار والفقر والجهل والتعصب الديني والجمود الاجتماعي، وعلينا أن نحارب هذه القوى بلا هوادة، أما الدين فهو مستقل عن السياسة وعن الحكم، ومن الواجب العمل على فصله عنهما بصورة تامة ومطلقة[٦٥].

رفعت العصبة شعار «اللاتعاون المطلق مع الأجنبي»، وعدم تقلد أية وظيفة حكومية، تعبيراً عن روح التمرد لدى أعضائها ضد الاستعمار الفرنسي[٦٦].

---

(٦٢) قرقوط، **تطور الحركة الوطنية في سورية، ١٩٢٠ ـ ١٩٣٩**، ص ٧٩. وقد وجدت هذه الأفكار صدىً واسعاً في صفوف الشباب المتمرد على واقعه من طلبة الجامعات والمدارس الثانوية في سوريا ولبنان وشرق الأردن وفلسطين والعراق.

(٦٣) محافظة، **موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية، ١٩١٩ ـ ١٩٤٥**، ص ١٣٨.

(٦٤) المصدر نفسه، ص ١٣٩.

(٦٥) المصدر نفسه.

(٦٦) غير أن الالتزام بهذا الشعار كان صعباً، إن لم يكن متعذراً، كما أن الكتلة الوطنية استرضت بعض قادة العصبة، الذين تركوا العصبة وانضموا إلى الكتلة الوطنية، فأصاب العصبة التفكك ولم تستطع أن تلعب دوراً رئيسياً في الحياة السياسية في سوريا، وانفرط عقدها في نهاية الأربعينيات. انظر: شبلي العيسمي، **حزب البعث العربي الاشتراكي: مرحلة الأربعينات التأسيسية، ١٩٤٠ ـ ١٩٤٩**، ط ٦ (بغداد: ١٩٨٦)، ج ١، ص ١٩.

وفي العراق استطاعت جمعية الجوال الحصول على إجازة العمل العلني، في تشرين الأول/أكتوبر ١٩٣٤، بعد سنوات من العمل السري[٦٧].

أفلحت الجمعية من خلال التدريب العسكري[٦٨] في خلق جيل يتصف بالشجاعة والفروسية.. وقد حددت الجمعية أهدافها في رسالتها الأولى «المنهج القومي العربي»، التي أصدرتها في ١٣ حزيران/يونيو ١٩٣٥، بالقول: «هذه حركتنا حركة بعث ويقظة واندفاع وجهاد، وتحمل على جناحيها خير ما تحمل، حركة شريفة مؤمنة بالحق واثقة بالعدل مطمئنة إلى الفوز، لا عدوان فيها على أحد سوى أننا نريد أن ننال حقنا وحريتنا ونأخذ مركزنا في العالم على أساس احترام الحقوق بين الأمم، عمادنا فيها عقيدتنا الراسخة وإيماننا القوي بأن أمتنا أمة واحدة قد حركتها الحوادث وألمت بها النوائب، فلم تؤثر في قواها الكامنة، وأن التاريخ قد سجل لها صفحة ناصعة في سجل الأمم الخالدة»[٦٩].

لقد جاء منهج جمعية الجوال[٧٠] مشابهاً لما حواه منهج الحزب القومي العربي، من مبادىء وأهداف قومية واقتصادية واجتماعية، وهذه مسألة طبيعية فالجمعية فرع الحزب في العراق، لكن منهج الجمعية كان أكثر وضوحاً وتفصيلاً في الجانب الاقتصادي والاجتماعي، فقد اتسم بنظرة اشتراكية.

ويبدو أن منهج الجمعية يتميز عما رافقه وسبقه من مناهج، بأنه[٧١]:

١ ـ أول منهج قومي عقائدي تناول بنظرة قومية تقدمية مشاكل الأمة العربية، واقترح الحلول المناسبة لها في ضوء التصور العربي السائد آنذاك، وأدرك بأن بناء الكيان العربي الموحد يأتي من خلال بناء الشخصية العربية

(٦٧) تأسست الجمعية بشكل سري عام ١٩٢٩، وبعد إجازتها تكونت هيئتها المؤسسة من: خالد الهاشمي، وناجي معروف، ونعمان محمد أمين العاني، وعمر أحمد الراوي، وجابر عمر. انظر: جعفر عباس حميدي، «التيار القومي في العراق، ١٩٢١ ـ ١٩٥٨،» **آفاق عربية**، السنة ٩، العدد ١٠ (حزيران/يونيو ١٩٨٤)، ص ٤٧.

(٦٨) استطاعت الجمعية الاتصال ببعض الضباط القوميين، أمثال صلاح الدين الصباغ وزملائه، لتدريب أعضائها على الأمور العسكرية، كما أفلحت في التأثير في سامي شوكة، مدير المعارف، آنذاك، في إدخال التدريب العسكري إلى المدارس العراقية. انظر: سامي شوكة، **هذه أهدافنا**، مجموعة محاضرات ومقالات وأحاديث قومية (بغداد: مجلة العالم الجديد، ١٩٣٩)، ص ٨.

(٦٩) فاضل حسين، «جمعية الجوال: فصل من تاريخ الحركة القومية العربية في العراق المعاصر،» **مجلة كلية الآداب** (جامعة بغداد)، السنة ٣٣، العدد ٢ (كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٢)، ص ٢٦٢ ـ ٢٧٢.

(٧٠) انظر: المصدر نفسه.

(٧١) ابراهيم أحمد، **تاريخ العراق المعاصر** (الموصل: مطبعة التعليم العالي، ١٩٨٩)، ص ٩٢.

المستمدة من التراث والتاريخ العربيين، والمتفاعلة مع معطيات العصر الجديد.

٢ ـ نظر إلى الواقع العربي نظرة شاملة في كل نواحي الحياة (اقتصادية، اجتماعية، ثقافية وسياسية)، وأوضح أن النهوض بالأمة العربية لا يمكن أن يتم بالاهتمام بناحية دون أخرى، للعلاقة الجدلية بين هذه النواحي جميعها.

٣ ـ اتسم المنهج بنظرة اشتراكية إلى المشاكل الاجتماعية، وبخاصة مشكلة الأرض والفلاح والدعوة إلى سيطرة الدولة القومية على الثروات الطبيعية، والمشاريع الإنتاجية الكبيرة، والمشاريع الخدمية ذات الصلة بالجمهور الواسع.

واعتبر الوحدة الاقتصادية وبناء المشاريع المشتركة والكبرى نواة للوحدة الشاملة، فالقاعدة التحتية هي الأساس الذي تقوم عليه وحدة العرب.

٤ ـ دعا المنهج إلى إقامة تنظيم قومي شامل، وقيادة قومية تكون الناظم الأساس للحركة القومية، وتكون لها فروع وهيئات في مناطق الوطن العربي الأخرى، وأن تكون زعامة الحركة القومية مبنية على أسس علمية تقدمية، وليس على أسس الجاه والمال والشرف الموروث والدعاية الفردية والعلاقات الشخصية والعائلية.

٥ ـ حدد المنهج عوامل الضعف المادية والروحية في هذه الأمة واضعاً ملامح لمعالجة عوامل الضعف، وتحقيق وحدة العرب.. لكن طموح هذا المنهج مع قلة الإمكانيات أدى إلى بقائه حبراً على الورق.

كما تميزت جمعية الجوال عن الحزب العربي السري في دمشق، بأنها أعطت العراق الدور القيادي في قيادة الأمة العربية لتحقيق وحدتها، كما قادها في العهد العباسي، ويقوم بدور بروسيا في توحيد المانيا، وبييدمونت بتوحيد إيطاليا، وذلك بالاعتماد على الوسائل الآتية:

أ ـ اعتماد الدبلوماسية والوسائل السياسية لتحقيق ذلك.

ب ـ استخدام القوة العسكرية (الجيش)، بإسناد من القوى الأخرى.

ج ـ اجتياح الكيانات العربية الهزيلة.

وأن تكون الوحدة العربية شبيهة بما كانت قائمة زمن الأمويين والعباسيين روحياً وطبوغرافياً، وأن يكون نظام الحكم فيها فدرالياً، شبيهاً بالولايات المتحدة الأمريكية[٧٢].

---

(٧٢) **الفتوة** (٢٤ حزيران/ يونيو ١٩٣٥).

والحقيقة أن الجمعية حاولت تحقيق تصورها لدور العراق القيادي للعرب، بالمساهمة الجدية في انتفاضة عام ١٩٤١ في العراق، بعد اندماجها في نادي المثنى بن حارثة الشيباني الذي تأسس عام ١٩٣٥[٧٣].

وقد حدد نادي المثنى أهدافه ببث الروح القومية العربية، وإنماء الشعور الوطني والمحافظة على التقاليد والمزايا التي يظهر فيها الطابع العربي، وتربية أجسام النشء، وتقوية روح الرجولة العربية فيهم، وتوليد ثقافة عربية جديدة تجمع إلى جانب التراث العربي الصالح من ثقافة الغرب[٧٤].

أما آراء النادي في السياسة والاقتصاد والاجتماع فقد تضمنها برنامجه «المنهج القومي العربي»[٧٥]، الذي أكد على وحدة الأمة العربية بحدودها الطبيعية الكاملة، ورفض التجزئة والعمل من أجل استقلال العرب الناجز، ورفض كل أشكال الاستعمار، والتأكيد على الوحدة الاقتصادية العربية، واشتراكية الدولة، من خلال سيطرة الدولة على المشاريع الكبرى وعدالة التوزيع، وحرية التملك الفردي ضمن حدود المصلحة العامة، وتغليب هذه المصلحة على مصلحة الفرد، وتحقيق حياة كريمة للعامل والفلاح، وتنظيم الحياة الاجتماعية بما يكفل الرقي والتماسك في المجتمع العربي.

وكان لتشابه أهداف ومبادىء نادي المثنى مع جمعية الجوال أثره في توحيد النشاط القومي في العراق آنذاك، ومساهمة أعضاء الجمعية بصورة فعالة في نشاط النادي. وقد حاولت مجلة النادي[٧٦] توضيح فكرة القومية العربية وأهداف النضال العربي، وأهمية الوحدة العربية، حيث تحدثت عن الهدف الأسمى للحركة القومية العربية، وهو «إيجاد كيان عربي عام متماسك الأجزاء، موحد الشعور والعواطف، منسق الآراء والأفكار والنزعات، ليتسنى بذلك جمع شتات العرب على اختلاف أديانهم ومذاهبهم، وضمهم إلى مبدأ واحد، هو

---

(٧٣) عماد أحمد الجواهري، **نادي المثنى وواجهات التجمع القومي في العراق، ١٩٣٤ ـ ١٩٤٢م** (بغداد: مطبعة دار الجاحظ، ١٩٨٤)، ص ٢٦.

(٧٤) نادي المثنى بن حارثة الشيباني، «نادي المثنى بن حارثة الشيباني، النظام الداخلي،» (بغداد: ١٩٣٥)، ص ٤.

(٧٥) أصدر النادي «المنهج القومي العربي» في ١٣ حزيران/يونيو ١٩٣٥، انظر نص هذا المنهج في: المفتي، **العراق بين عهدين: ياسين الهاشمي وبكر صدقي،** ص ١٤٥ ـ ١٥٢.

(٧٦) أصدر النادي مجلته **المثنى** في ٢٧ آب/أغسطس ١٩٣٥، وقد أسهم في تحريرها عدد من أعضاء النادي ومؤازريه.

مبدأ الفكرة القومية»[٧٧]. «وواجبنا أن نسعى إلى أن تكون حركتنا قائمة بنفسها مستقلة عن غيرها، كي لا تقع تحت سلطان قوة أخرى»[٧٨].

وميزت المجلة بين القوميات الاعتدائية، التي دفعت ببعض الدول الغربية نحو الفتح والاستعمار، وبين الحركات القومية التي تعمل من أجل إنقاذ الأمم من الذل والعبودية، وهو ما تطمح إليه الحركة القومية العربية الفتية. كما أكدت المجلة المضمون الاشتراكي للفكر القومي للنادي، بالقول: «إن الاشتراكية القومية، التي ترمي إلى رفع الفروق والحواجز الاجتماعية بين الأمة الواحدة والوطن الواحد، تستهدف القضاء على أرستقراطية الطبقات، وتحارب الاستغلال بشتى أنواعه، وتدعو إلى العدل والمساواة في الحقوق والواجبات لتتفق والمبادىء القومية[٧٩].

وأوضح سامي شوكة، أحد أعضاء النادي، في محاضرة له ألقيت في النادي، عن الدولة العربية الموحدة، أن العمل لتحقيق الوحدة العربية يقع على عاتق العراق ومصر، القويتيّ التوجه في مشرق الوطن العربي ومغربه. ودعا إلى تأسيس حزب يعمل على تحقيق هذا الهدف، يكون له مركزان أحدهما في بغداد والآخر في القاهرة، يعملان على بناء كيان عربي نابع من الشعور بوحدة الأصل[٨٠]. وعلى الحزب أن يبدأ بتوحيد المؤسسات الثقافية والمناهج الدراسية، ورفع الحواجز الجمركية، وتوحيد سلاح الجيوش، وتشجيع التزاوج بين الأقطار العربية[٨١]. كما دعا في محاضرة أخرى إلى أن يكون العراق «مركز النضال» لتحقيق الوحدة العربية، وطالب الطلبة بنبذ حياة الترف والتمسك بشعار «اخشوشنوا فإن الترف يزيل النعم» لأن تمسك المسلمين الأوائل بهذا الشعار جعلهم يحررون ثلث الدنيا[٨٢].

واعتقد النادي أن الوحدة العربية تتم بالتدريج، وفقاً لاختزال الفوارق بين الأقطار العربية المتقاربة جغرافياً أولاً[٨٣]. لذلك قسم الوطن العربي إلى أربع

(٧٧) محمد مهدي كبة، «حركتنا بين الحركات،» **المثنى**، العددان ٢ و٣ (٣ و١٠ أيلول/سبتمبر ١٩٣٦).

(٧٨) المصدر نفسه.

(٧٩) المصدر نفسه.

(٨٠) شوكة، **هذه أهدافنا**، ص ٤٠.

(٨١) المصدر نفسه، ص ٤١.

(٨٢) المصدر نفسه، ص ٤ ـ ٦.

(٨٣) المصدر نفسه، ٤٠ ـ ٤١.

مجموعات متقاربة لتسهيل تحقيق الوحدة بينها، وهي على النحو الآتي[٨٤]:

المجموعة الأولى: وحدة أقطار المغرب (تونس، مراكش، والجزائر).

المجموعة الثانية: وحدة مصر والسودان وليبيا.

المجموعة الثالثة: وحدة الجزيرة العربية بما فيها اليمن وإمارات الخليج.

المجموعة الرابعة: وحدة سوريا والعراق ولبنان وفلسطين وشرق الأردن.

أما نظام دولة الوحدة، فهو النظام الاتحادي، وتعمل هذه المجاميع الوحدوية على إقامة علاقات خارجية متميزة في ما بينها كحد أدنى، وتأخذ المجموعة الأقدر دورها القومي في توحيد المجاميع الأخرى للوصول إلى تحقيق الكيان الواحد[٨٥]. لكن تيار الشباب، وخاصة العسكريين منهم، في النادي، عارض هذا الاتجاه، وطالب بتحقيق الوحدة الفورية، لأنها «طريق الإرادة العربية»[٨٦]. ويبدو أن عنفوان الشباب والقوة العسكرية، هما اللذان غرسا في هؤلاء الشباب العسكريين الحماسة في المطالبة في إقامة الوحدة العربية، فلا نادي المثنى، ولا أية قوة سياسية أو عسكرية تستطيع تحقيق هذه الأمنية. فالواقع شيء والأمنيات شيء آخر، فالوحدة تتحقق بالعمل القومي الشامل الجدي لكل القوى القومية العربية المنظمة. ومع ذلك يمكن القول إن برنامج النادي جاء أكثر تفصيلاً من برنامجي الحزب العربي السري وجمعية الجوال، من حيث تصوره لإقامة الوحدة وشكلها وتقسيم المسؤوليات بين الحكومات المحلية والحكومة المركزية لدولة الوحدة.

لكن النادي من جانب آخر قد أخطأ عندما وضع ثقته بالحكومات العربية لتحقيق الوحدة، متأثراً بالسياسة القومية للملك غازي، وطالب تلك الحكومات بإنهاء الأحزاب والتجمعات السياسية الاقليمية لإيقاف السموم ضد المبادىء القومية ولخلق شباب واع في تفكيره في معالجة مشاكله، لأن أي قطر عربي لا يستطيع وحده العيش ويدفع الشر ما لم توحد بلاد العرب[٨٧].

(٨٤) المثنى (١٢ كانون الأول/ديسمبر ١٩٣٦).

(٨٥) خالد حسن جمعة العاني، «الوحدة العربية في مناهج ومواقف الأحزاب العراقية، ١٩٢١ - ١٩٥٨،» (أطروحة دكتوراه، الجامعة المستنصرية، معهد الدراسات القومية والاشتراكية، ١٩٩١)، ص ١٥٧.

(٨٦) المصدر نفسه.

(٨٧) المثنى (١٢ كانون الأول/ديسمبر ١٩٣٦).

وقف النادي ضد الاستعمار البريطاني والفرنسي، فهدف الاستعمار هو نهب خيرات البلاد وتجزئتها تحت أسماء وأغطية متعددة، كما وقف ضد التيارات الاقليمية ودعا إلى محاربتها[٨٨]. وهاجم النازية وأساليبها في السيطرة على الشعوب رافضاً مبدأها في التفرقة بين الأجناس[٨٩]. ودعا النادي إلى مقاومة الشيوعية، التي اعتبرها أحد الأسس في القضاء على القومية العربية[٩٠]. ودعا القوميين العرب إلى مقاومة: «الحركات الشيوعية والصهيونية والنازية والفاشستية وغيرها من الحركات المضرة بكياننا وتقدمنا، وما ضاع حق وراءه مطالب والأرض يرثها العباد الصالحون»[٩١].

وأسهم النادي، بشكل بارز في تكثيف المحاضرات التي توضح أبعاد القومية العربية وأهميتها لتجميع العرب من أجل مقاومة السيطرة الأجنبية وإيقاف الهجرة الصهيونية إلى فلسطين، وكان محطة التقاء للمثقفين والمفكرين القوميين العرب، وعمل على ايجاد الأجواء المناسبة لإنضاج المفاهيم الوحدوية، من خلال تبادل الآراء بين مفكري وساسة العرب[٩٢]. إلا أنه أغلق في الأول من نيسان/ أبريل ١٩٤٢ بعد سيطرة بريطانيا المباشرة على العراق عام ١٩٤١، وبذلك انتهت كما يقول محمد مهدي كبة: «قلعة من قلاع النضال الوحدوي وحصن من حصون العروبة»[٩٣].

ثالثاً: الاتجاهات الوحدوية عند المفكرين العرب

في ظل ظروف الإحباط والاحتلال والتجزئة ظهر عدد من المفكرين العرب في المشرق العربي وحملوا لواء الدعوة للقومية العربية، وأسهموا في تطوير الفكر القومي العربي ومفهوم الوحدة العربية. قام عدد منهم بتأسيس أو

---

(٨٨) العاني، «الوحدة العربية في مناهج ومواقف الأحزاب العراقية، ١٩٢١ ـ ١٩٥٨،» ص ١٥٩.

(٨٩) **موقفنا تجاه النازية**، تأليف نخبة من الشباب التقدمي (بغداد: مطبعة المعارف، ١٩٣٩)، ص ٤٠ ـ ٤١، نقلاً عن: أحمد، **تاريخ العراق المعاصر**، ص ٩٤ ـ ٩٦.

(٩٠) أحمد، المصدر نفسه، ص ٩٤.

(٩١) **المثنى** (١٢ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٣٦).

(٩٢) منهم قسطنطين زريق، وأكرم زعيتر، واميل الغوري، والمفتي الحسيني، حيث أصبح هؤلاء أعضاء فعالين ومنحوا حرية العمل السياسي في العراق خلال تلك الفترة. انظر: زعيتر، **يوميات أكرم زعيتر: الحركة الوطنية الفلسطينية، ١٩٣٥ ـ ١٩٣٩**، ص ٣٢٥ ـ ٣٢٦.

(٩٣) محمد مهدي كبة، **مذكراتي في صميم الأحداث** (بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٥)، ص ٥٧ ـ ٥٨.

الاشتراك في أحزاب وجمعيات قومية، ودرسنا فكرهم ضمن هذه الأحزاب في مبحث مستقل، بينما مثل عدد آخر منهم الفكر القومي وأسهموا في تهيئة الأرضية الفكرية لهذا الفكر، فقمنا بدراسة فكرهم ضمن هذا البحث، وخلال حقبة بحثنا (١٩١٨ ـ ١٩٥٢) حتى لا يتجزأ فكرهم في أكثر من بحث، ولنعطي الصورة الواضحة والمتكاملة لفكرهم، وبالأخص الاتجاهات الوحدوية عندهم. وقد تم اختيار هؤلاء المفكرين على أساس كونهم يمثلون بقية أنماط الاتجاهات الوحدوية ضمن حقبة هذا البحث.

١ ـ إدمون رباط

تناول إدمون رباط[٩٤] موضوعة الوحدة العربية، في كتابه الذي أصدره، في باريس باللغة الفرنسية عام ١٩٣٧، تحت عنوان **الوحدة السورية والمصير العربي**. رفض فيه وجود أمة سورية، معلناً أن هناك أمة عربية تجمعها عناصر العرق والأصل ووحدة اللغة، والدين الاسلامي، لذا فإن الأمة الاسلامية، بحسب رأيه، هي الأمة العربية في مرحلة تكوينها الأولى[٩٥].

والحقيقة أن أفكار إدمون رباط عن القومية العربية والوحدة العربية لم تخرج عن نظرة الرواد الأوائل للقومية العربية في المشرق العربي.. فالأمة العربية عنده، تشمل سكان آسيا. ويبرر استثناءه لمصر من دائرة العروبة، بأن «لها شعوراً قومياً خاصاً»، أما استبعاده للمغرب العربي، فبسبب أنه ما يزال في مرحلة ما قبل القومية، «فالاسلام أو التضامن الديني لا يزال القوة الوحيدة التي تحرك جماهيره»[٩٦].

ولتحقيق الوحدة العربية، يضع رباط مشروعه الوحدوي الذي يتحقق على مراحل ثلاث، هي:

(١) وحدة بلاد الشام، «مع الاحتفاظ للبنان فيها بوضع خاص».

---

(٩٤) إدمون رباط ـ مفكر قومي لعب دوراً قيادياً في سياسة الكتلة الوطنية وساعد في مفاوضات المعاهدة الفرنسية ـ السورية عام ١٩٣٦. انظر: البرت حوراني، **الفكر العربي في عصر النهضة، ١٧٩٨ ـ ١٩٣٩**، ترجمة كريم عزقول، ط ٣ (بيروت: دار النهار، ١٩٧٧)، ص ٣١١.

(٩٥) Edmond Rabbath, *Unité syrienne et devenir arabe* (Paris: Rivière, 1937), p. 33,

نقلاً عن: حوراني، المصدر نفسه، ص ٣١١ ـ ٣١٢.

(٩٦) إدمون رباط، «مهمة النخبة في خلق المواطن الصالح،» **الأبحاث**، السنة ١٠، العدد ١٠ (حزيران/يونيو ١٩٥٧)، ص ٢٧ ـ ٢٨.

(٢) وحدة الهلال الخصيب، بحيث يكون العراق محورها.

(٣) وحدة شبه الجزيرة العربية، لكن عليها البقاء في الوقت الحاضر منفصلة عنه[٩٧]، نظراً لأن الاسلام ما زال الدافع الوحيد في تحريك الجماهير وليس العروبة.

والحقيقة الأخرى، التي يمكن أن تسجل على أفكار ومشروع رباط الوحدوي، هي ثغرة «الدين». ففي الوقت الذي يعتبر فيه الدين الاسلامي أحد العناصر المكونة للقومية والأمة العربية، يستبعد المغرب العربي والجزيرة العربية، وحتى لبنان لأسباب دينية. كما أن مشروعه الوحدوي متأثر بالثقافة والفكر الأوروبيين اللذين يفصلان بين القومية والدين، بل إنه يصر على اقتباس المؤسسات الديمقراطية الغربية، ويعتبر العلمانية من الخصائص الجوهرية للحركات والدول القومية[٩٨].

٢ ـ قسطنطين زريق

ينطلق قسطنطين زريق، المولود عام ١٩٠٩[٩٩]، في فكره من أن الأمة العربية لها شخصية تنفرد بها عن سواها من الأمم بعناصر وعوامل جغرافية ولغوية وثقافية وتاريخية. وهو يعترض على اعتبار الجنس أحد مقومات القومية، مؤكداً أنه منذ فجر التاريخ ونشوء الحضارة تمازجت الأجناس واختلطت، بحيث لم يعد بالامكان، عملياً وواقعياً، فصلها بعضها عن بعض، وبهذا لم تعد الروابط القومية مستمدة من ميزات جنسية بحتة[١٠٠]. أما بالنسبة للدين، فيعترف زريق بأنه منبع فضائل ومنطلق نظرة معينة إلى الكون والحياة، وهو من العناصر التي توحد الشعوب، لكنه ليس العنصر الحاسم أو الكافي لتعيين قوميتها. فمن أسس المجتمع القومي الاعتراف بالمساواة المبدئية الحقوقية لجميع المواطنين، ولا يجوز منح امتياز لطائفة معينة على أخرى بسبب الدين[١٠١].

---

(٩٧) انظر: حوراني، المصدر نفسه، ص ٣١١ ـ ٣١٣.

(٩٨) المصدر نفسه، ص ٣٢٤.

(٩٩) عن حياة وأعمال قسطنطين زريق، انظر: قسطنطين زريق، **الأعمال الفكرية العامة للدكتور قسطنطين زريق**، ٤ مج (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٤).

(١٠٠) قسطنطين زريق، **الوعي القومي: نظرات في الحياة القومية المتفتحة في الشرق العربي** (بيروت: دار المكشوف، ١٩٤٠)، ص ٧ ـ ٢٢.

(١٠١) المصدر نفسه، ص ١١٢ ـ ١٢٠.

ويؤكد زريق أن المجتمع العربي، المستقر والمزدهر، ينبغي أن يستمد وحيه ومبادئه من الإسلام(١٠٢). لكن الهوية العربية مدعوة لأن لا تمحو الهويات الأخرى، القطرية والجنسية والدينية، محواً تاماً وتصبغ الشعوب العربية جميعاً بلون واحد، ذلك أن الكيان العربي الشامل خليق بأن يزدهر ويرتقي بتعدد عناصره وتوافر خصائصه، على أن تكون هذه العناصر والخصائص متآلفة متكاملة، ومتفاعلة تفاعلاً إيجابياً مثرياً لكل منها ولها معاً(١٠٣).

ويؤكد زريق أن جميع الأديان تشترك في مبادئها العامة، كونها تنطوي على جوهر واحد للحقيقة(١٠٤).

أما الرموز التي تعبر عن مبادئها، فهي تختلف بين دين وآخر، ولهذا الاختلاف، عند زريق، أهمية حضارية لا فكرية. بهذا المعنى كانت العلاقة بين العرب والإسلام، علاقة جوهرية، فمحمد ﷺ هو منشىء الحضارة العربية وموحد الشعب العربي ورجل العقيدة، الذي منه يستطيع هذا الشعب أن يستمد الالهام. لكن ليس هناك ما يشير إلى أن على العرب أن يستمدوا منه أكثر من هذا(١٠٥).

ومما لا شك فيه أن على العرب أن يكونوا شعباً حديثاً، وعليهم بالتالي، كما يعتقد زريق، أن يقتبسوا المؤسسات الديمقراطية الغربية، الضرورية للمجتمع(١٠٦). وهو يؤكد على العلمانية باعتبارها من الخصائص الجوهرية للحركات والدول القومية(١٠٧). وهو هنا يلتقي مع إدمون رباط، كما بينا، لكنه يرفض بناء المجتمع على أسس مادية، كما هي الحال في المجتمعات الغربية، بل يؤكد على معالجة الأزمات الروحية والمادية التي يعيشها مجتمعنا العربي(١٠٨).

ويتوصل زريق بدراسته إلى ما تعانيه الأمة العربية من تجزئة وتخلف(١٠٩).

---

(١٠٢) المصدر نفسه، ص ٢٢٦.
(١٠٣) المصدر نفسه، ص ٢٠٧.
(١٠٤) المصدر نفسه، ص ٢٢٥.
(١٠٥) المصدر نفسه، ص ٢٠٧.
(١٠٦) المصدر نفسه.
(١٠٧) المصدر نفسه، ص ٢٢٢.
(١٠٨) المصدر نفسه، ص ٢١٣.
(١٠٩) المصدر نفسه، ص ٢٠٧.

والتخلف هو الصفة الطاغية على حياتنا الحاضرة، ولعله هو المشكلة الأم التي منها تنبثق جميع المشاكل الأخرى(١١٠)، كتلكئنا في تحقيق الوحدة، وفي إقامة نظم سياسية واقتصادية واجتماعية وافية بأغراض اليوم والغد، وتأخرنا في رفع مستوى جماهيرنا والنهوض بالأعباء الاجتماعية والثقافية التي ورثناها عن عهود الخمول والانحلال(١١١). ويذهب إلى أبعد من ذلك بالقول: «إن مشكلتنا الأساسية اليوم، هي أنه ليس لدينا عقيدة، ولا يمكننا بدون عقيدة، أن نخضع رغباتنا وشهواتنا الفردية لمؤسسة قائمة على مبدأ، لذلك فنحن لا نستطيع، كمجموع، العمل بنجاح»(١١٢). لكننا نجده يتراجع ليقول: «لكن بقوميتنا، التي هي العقيدة العلمية لأمة العرب، نستطيع أن نخضع تلك الشهوات والرغبات الفردية لعمل مسؤول»(١١٣).

وهنا لا بد من القول إن زريق كان قاسياً في حكمه، فالعرب عندهم العقيدة، وهو ما اعترف به في الفقرة التالية. كما أننا نجده قد خلط بين القومية والنظرية القومية. ولم يبين لنا كيفية بناء مؤسساتنا أو مجتمعنا الحديث وكيف نحقق وحدتنا القومية.

ودعا زريق إلى الثورة لتحقيق الحرية والاستقلال والوحدة، وأعطاها مفهوم الجهاد. فهو يدعو العاملين الصادقين في الميدان القومي لأن يقصروا جهودهم على معالجة الأزمات الروحية والمادية، وينصرفوا إلى احياء العقول وتقوية النفوس وتنقية الأرواح والعلوم، عليهم أن يوسعوا أفقنا الروحي حتى يشمل وطننا بكامله، فهماً لمشكلات واقعه ووضع الحلول لها، وأن يستغلوا ما في نفوسنا من قوى روحية، تستطيع ـ إذا أحسن استثمارها ـ أن تحرك الجبال(١١٤). فالجهاد الأكبر، عند زريق، هو تحرير النفس العربية تحريراً تاماً(١١٥). والنفس المجاهدة لا بد من أن تتصف بـ «النظام والحرية والشعور بالمسؤولية»، وهذا الجهاد مرتبط أشد الارتباط بجهادنا القومي في سبيل الحرية والاستقلال والوحدة، بل هو الأساس الذي يقوم عليه استقلالنا، هذا

(١١٠) المصدر نفسه، ص ٢٠٧ ـ ٢٠٩.

(١١١) المصدر نفسه، ص ٢٢٧.

(١١٢) المصدر نفسه، ص ٢٠٧ ـ ٢١٣.

(١١٣) المصدر نفسه، ص ٢١٠ ـ ٢١١.

(١١٤) المصدر نفسه، ص ٢١٣.

(١١٥) المصدر نفسه، ص ٢١٧ ـ ٢٣٦.

الاستقلال الذي يؤخذ ولا يعطى، وجهادنا القومي لا يبنى إلا على أساس الجهاد النفسي، وإنه لا يبلغ هدفه إلا إذا خُلقت فينا نفوسٌ منظمة، حرة شاعرة بمسؤوليتها، نفوس تنعم بالقوة والسمو والجمال، عندها لا خوف علينا في جهادنا الأصغر للحرية والاستقلال، لأننا نكون قد كسبنا جهاد النفس، الجهاد الأكبر(١١٦).

لم يشغل زريق نفسه بنوعية دولة الوحدة، لكننا نجده دعا إلى ديمقراطية برلمانية. وعلى الرغم من دعوته لاقتباس المؤسسات الديمقراطية الغربية، فإنه لم يقدم لنا كيفية بناء المجتمع الجديد، ولا القوة أو المنظمة التي تضطلع بها سوى إطلاقه صفة العاملين الصادقين في المجال القومي، وهو تعبير غير واضح وغير محدد، في الوقت الذي كان هناك أحزاب ومفكرون ممن يدعون صدقاً للقومية والعمل الوحدوي.

٣ ـ نبيه أمين فارس

يرى نبيه أمين فارس أن القومية العربية عريقة في التاريخ، وقد ظهرت بصورة عملية أثناء خلافة عمر بن الخطاب ﷺ وخلال الدولة الأموية(١١٧). ويرى أن الفكرة العربية، على الرغم من أصولها العريقة، وظهورها بصور مختلفة، فكرية واجتماعية وسياسية، لم تتبلور إلا بعد إعلان العمل في الدستور العثماني عام ١٩٠٨، وتحديداً عندما بدأت سياسة تتريك العرب من قبل الاتحاد والترقي، الذي كان يهيمن على السلطة العثمانية(١١٨).

ويحدد نبيه أمين فارس دعائم الوحدة العربية باللغة العربية والتاريخ الواحد المشترك(١١٩). أما عوامل الفرقة، اليوم، فهي ليست طبيعية، بل عوامل مصطنعة، وهي من صنع الأجنبي وبعض المرتزقة(١٢٠). والطريق لمواجهتها هو بالاتحاد الفدرالي، وقد يكون الاتحاد خير وسيلة للوحدة(١٢١).

---

(١١٦) المصدر نفسه، ص ٢٣٦ ـ ٢٣٧.

(١١٧) نبيه أمين فارس، **دراسات عربية** (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٥٧)، ص ١٠٥.

(١١٨) المصدر نفسه.

(١١٩) نبيه أمين فارس ومحمد توفيق حسين، **هذا العالم العربي: دراسة في القومية العربية وفي عوامل التقدم والتأخر والوحدة والتفريق في العالم العربي** (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٥٣)، ص ٧٣.

(١٢٠) نبيه أمين فارس، **العرب الأحياء** (بيروت: دار العلم للملايين، [١٩٤٧])، ص ٥٨.

(١٢١) فارس، **دراسات عربية**، ص ١٠٨.

وكسابقيه (رباط وزريق) يدعو إلى العلمانية، «حتى يصبح المواطنون بغض النظر عن دينهم عرباً متساوين في الحقوق والواجبات، ولن تحل مشكلة الأقليات ما لم يفصل الدين عن الدولة»[١٢٢]، والعمل على إزالة الطائفية[١٢٣].

وعلى الرغم من دعوته لإقامة الاتحاد الفدرالي كخطوة نحو الوحدة العربية، ودعوته للمساواة في الحقوق والواجبات للمواطنين، وحل مشكلة الأقليات وإزالة الطائفية، نجده لا يدعو إلى الاصلاح في «اتحاده»، بل المحافظة على الأوضاع الراهنة في الوطن العربي، وهي مسألة جديرة بالانتباه، حيث يقول: «ولكي نضمن للاتحاد الفدرالي أكبر نصيب من النجاح يجب علينا أن نراعي الوطن الراهن على علاته»[١٢٤].

وهنا، يقع نبيه أمين فارس في تناقض، كما يعتقد الباحث، فكيف يمكن التوفيق بين التخلف والسيطرة الاستعمارية والتجزئة من جهة، والاتحاد من جهة أخرى؟ الذي سيكون خير وسيلة للوحدة، وأية وحدة هذه التي تراعي الأوضاع الراهنة على علاتها؟!!

بل إن نبيه فارس يذهب إلى أبعد من ذلك، ويقسم الوطن العربي إلى مناطق عدة، ويعتبر لكل منطقة أوضاعها المتشابهة، ويدعو إلى اتحاد هذه المناطق المتشابهة المتقاربة، حيث يقسم الوطن العربي أولاً إلى مجموعتين، وكل مجموعة إلى عدة مناطق، وعلى النحو الآتي:

أولاً: الأقطار العربية الآسيوية، وتنقسم إلى ثلاث مناطق رئيسية هي: وادي دجلة والفرات، ومنطقة سوريا الطبيعية، وشبه الجزيرة العربية.

ثانياً: الأقطار العربية الافريقية، وتنقسم إلى منطقتين رئيستين، هما منطقة وادي النيل، ومنطقة بلاد المغرب.

هذه المناطق تؤلف وحدات جغرافية طبيعية واقتصادية وأوضاعها الاجتماعية متشابهة متقاربة، وتراثها التاريخي مشترك إلى حد بعيد، لذا لا بد من أن تشكل كل منطقة وحدة سياسية، ويتبع ذلك قيام اتحاد فدرالي بين هذه الوحدات تنبثق منه الولايات المتحدة العربية[١٢٥]. و«الولايات المتحدة العربية

(١٢٢) فارس، **العرب الأحياء**، ص ١٠٩.

(١٢٣) المصدر نفسه.

(١٢٤) فارس، **دراسات عربية**، ص ١٠٨.

(١٢٥) المصدر نفسه، ص ١٠٨ ـ ١٠٩.

هي الوسيلة المثلى لتحقيق الوحدة العربية التي كانت وما تزال منتهى آمال العرب»[١٢٦]. لكننا نجده يستثني لبنان من الدمج مع وحدته السياسية (الهلال الخصيب)، ومن الاتحاد الفدرالي المقترح أيضاً، في الوقت الحاضر، مبرّراً ذلك بـ «أن لبنان متخلف عن ركب العروبة والعمل في سبيلها»[١٢٧].

وهنا نجد أن نبيه فارس يتفق مع إدمون رباط في تقسيم الوطن العربي إلى وحدات، لكنه يختلف عنه في أن الأول قسم الوطن العربي كله، فيما اقتصر الثاني على آسيا العربية، أو بالأحرى فهو يرى بآسيا العرب، الوطن العربي كله، كما أنهما يقتربان في النظرة إلى لبنان، فادمون رباط يطالب باحتفاظه بوضع خاص في «وحدة بلاد الشام»، فيما نبيه فارس يستبعده من هذه «الوحدة» لأنه «متخلف عن ركب العروبة والعمل في سبيلها».

٤ ـ زكي الأرسوزي (١٩٠٠ ـ ١٩٦٨)

يرى زكي الأرسوزي[١٢٨] أن العامل الأول والأساسي في تكوين الأمة العربية، هو لغتها، المعبرة عن عبقريتها، والتي تحدد موقعها الحضاري في العالم. فاللغة العربية «هي المقياس في تحديد الهوية القومية، فاللسان العربي هو مؤشر لانتقال الأمة العربية، ومعها الإنسانية، من مرحلة الطبيعة إلى المرحلة الحضارية»[١٢٩]، بل إن للأمة العربية تكويناً خاصاً بها، وهو الأصالة، أي أن ظهور الأمة العربية على مسرح التاريخ بدأ مع ظهور الانسانية[١٣٠]، فكان ظهورها بداية التحول عن الحيوانية. وأصبحت الألفاظ كلمات تفصح عما يجيش من معان في النفس، وبذا عبرت اللغة العربية عن أصالة الأمة، وكانت القاعدة الأساسية لبنيانها والتجلي الأروع لعبقريتها[١٣١].

ويذهب الأرسوزي إلى أن الأمة العربية تتمتع بهالة من القدسية، لأنها اختارت حقيقتها في الملأ الأعلى ﴿**وعلم آدم الأسماء**﴾[١٣٢] ومن ثم «الاسماء

---

(١٢٦) المصدر نفسه، ص ١١١.

(١٢٧) المصدر نفسه، ص ١١٠.

(١٢٨) عن حياة وأعمال زكي الأرسوزي، انظر: زكي الأرسوزي، **المؤلفات الكاملة**، ٤ مج (دمشق: مطابع الإدارة السياسية للجيش والقوات المسلحة، ١٩٧٢ ـ ١٩٧٤).

(١٢٩) المصدر نفسه، مج ٣، ص ٨٩.

(١٣٠) المصدر نفسه، مج ١، ص ٨٩.

(١٣١) المصدر نفسه، ص ١٠٨.

(١٣٢) **القرآن الكريم**، «سورة البقرة،» الآية ٣١.

تنزل من السماء»[١٣٣]. فالبعد الروحي هو العامل الثاني الأصيل لوجود الأمة عند الارسوزي. فالأمة العربية، هي: «بنيان اشتركت في تشييده السماء مع الارادة الانسانية منسجمتين»[١٣٤].

أما الدين، فهو عند الأرسوزي، أحد تجليات هذه الأمة والينبوع الذي يرتشف منه أبناؤها، وبالفن يستغرقون في التجليات[١٣٥]. وبذلك يتوصل الأرسوزي إلى «أن وجود الأمة العربية وجود خالد يحمل الهداية الانسانية، منذ بداية الكون، وهي ينبوع الشعوب الساميَّة كافة، عالم بذاتها لم تأفل منذ ظهور الانسان على مسرح التاريخ»[١٣٦]. وإذا بدت مفككة متناثرة حيناً، فلا تلبث حتى يسطع منها نبي أو زعيم فيبعث بها من جديد ويلقي النور الحاصل من تأججها شفقاً على العالم أجمع، فيهدي الأمم حينئذ بمنارته إلى تحقيق رسالتها[١٣٧]. فهي بذلك تحمل رسالة انسانية في كل الأزمان. وتاريخ الأمة كل موحد، فإذا كان عصر ما قبل الاسلام يمثل طور الشباب من حياة الأمة، فإن الاسلام يمثل الاستواء... النضج. ومن هنا جاء التكامل بين عصور ما قبل الاسلام والعصر الاسلامي. فهما يمثلان مرحلتين ايجابيتين في تاريخ الأمة، تعبِّران كلتاهما عن شكلين من أشكال تألق العروبة[١٣٨]، بل إن الاسلام عبر عن وجدان الأمة، وكان تعبيراً أصيلاً عن معاناتها[١٣٩].

ويرى الأرسوزي أن الخلل الذي أصاب الأمة يرجع إلى اختلاطها مع الأجناس الأخرى، عن طريق الزواج: «فلما نشر العرب الاسلام حدثت ثلمة في جدول قيمهم، تحولوا عن أسس التربية الجاهلية، التي كانت تقوم على مبدأ المروءة، وأهملوا قاعدة اصطفاء الخصال الكريمة وتثبيتها بطريق الزواج. وكان التحول في أداة بياننا الفصحى خير دليل على ما اعترى مقومات حياتنا من انحراف. علاوة على ذلك، فقد وقعت المصاهرة بطريق الأخوة في الدين، بيننا وبين الأغيار، فدب الخلل في صميم كياننا»[١٤٠].

---

(١٣٣) المصدر نفسه، ص ٢٢٢.
(١٣٤) المصدر نفسه، ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣.
(١٣٥) المصدر نفسه، ص ٢٢٢.
(١٣٦) المصدر نفسه، ص ٢٢١ ـ ٢٢٢.
(١٣٧) المصدر نفسه، مج ٢، ص ٤١٧.
(١٣٨) المصدر نفسه، ص ٢٧٧.
(١٣٩) المصدر نفسه، ص ٢٩٣.
(١٤٠) المصدر نفسه، مج ٣، ص ٧٠ ـ ٧١.

وإذا كانت الأمة العربية قد «سمت بتجربتها المثالية في الماضي إلى أوج الثقافة الانسانية، وان هذا السمو، في تجربة الأمة العربية، قد تجلى في صبوة أبنائها إلى البطولة، فما ان أدرك العربي غاية الحياة البطولية حتى اتخذها أمنية وأبلغ عنها بالشعر بياناً، فإذا كانت الأمة قد استكملت شروط الشعر والبطولة معاً في الجاهلية، فهي في هذه المرحلة التاريخية تدعونا لأن نشترك مع العالم في التجربة الكونية، ونستفيد من معرفة أعلام العالم الكونية... وكذلك نشترك مع أجدادنا في التجربة الرحمانية الإنسانية»[١٤١].

فالمطلوب في هذه المرحلة من حياة الأمة «إنشاء صرح ثقافي مدني، نشيد فيه على هداية تراثنا، ثقافة إنسانية نامية، تتناسب رقعتها مع فسحة قاعدة وجودنا في الطبيعة. فبالعلم ننشيء قاعدة فكرنا سليمة قوية، وبالصناعة نبني حياتنا في الطبيعة. وعندئذ تستكمل الأمة شروط كيانها، وبانسجام قطبيها، الطبيعة والإنسانية، وتسبر أغوار الانسانية بالفن والأخلاق»[١٤٢].

فالقومية العربية وثبة جديدة تعبر عن عبقرية الأمة في عصر افتراق عن الثقافة الحديثة نزعتاها: المساواة التي هي أمنية الشيوعية، والحرية التي هي شعار القومية. لذلك فإن مرتبة هذه العبقرية تقاس بإخضاع الظروف لمشيئتها وطبع الأشياء بطابعها، طابعاً يتناسب شمولية مع عمق التجربة الإنسانية[١٤٣]. «فالأمة العربية لن يتسنى لها أن تفصح عن حقيقتها إذا لم يكن أبناؤها على مستوى الحرية، المستوى الذي يسمح لكل فرد أن يعبر عن عبقريته من وجهة نظره الخاصة»[١٤٤]. وهذه الحرية يضمنها النظام الديمقراطي البرلماني والمجالس النيابية الحرة[١٤٥]. وهذا لن يتم إلا في ظل الدولة العربية الكبرى، التي تخيف الاستعمار، وهي السبيل إلى كل انتصاراتنا القومية[١٤٦]. وعلى الثوريين العرب السعي لإعداد الشعب العربي للثورة الكبرى، بتأسيس حزب عربي عام[١٤٧].

---

(١٤١) المصدر نفسه، مج ١، ص ٨٥.

(١٤٢) المصدر نفسه، مج ٢، ص ٨٥.

(١٤٣) المصدر نفسه، ص ٥٣.

(١٤٤) المصدر نفسه، مج ٣، ص ١٠٨.

(١٤٥) هاجم الأرسوزي المجالس النيابية في سوريا في عهد الانتداب، فهي مجالس غير حرة، لكنه امتدح التجربة الديمقراطية البرلمانية في بريطانيا ومجالسها النيابية الحرة. انظر: المصدر نفسه، مج ٢، ص ٧٤ ـ ٧٧.

(١٤٦) المصدر نفسه، مج ٣، ص ١٠٨.

(١٤٧) المصدر نفسه، مج ٢، ص ٩٢.

نشط الأرسوزي في لواء الإسكندرون لنشر فكره، وفعلاً استطاع أن يؤجج الشعور القومي من خلال ممارسته مهنة التدريس فيه منذ عام ١٩٣٦، وعندما دخلت القوات التركية اللواء هاجر إلى حلب، حيث شكّل هناك حزباً سياسياً تحت اسم «الحزب القومي العربي» عام ١٩٣٩، واتخذ النسر رمزاً لهذا الحزب، وحدد مبادئه بما يلي:

١ ـ العرب أمة واحدة.

٢ ـ للعرب زعيم واحد ينهض من إمكانيات الأمة ويمثلها ويعبر عنها أصدق تعبير.

٣ ـ العروبة وجداننا القومي وعنه تنبثق المثل العليا وبالنسبة إليه تقدر قيم الأشياء(١٤٨).

لكن هذا الحزب لم يستمر طويلاً بسبب سفر الأرسوزي إلى العراق أواخر عام ١٩٣٩ ليعمل في التعليم. وبعد عودته إلى سوريا، أسس حزباً جديداً عام ١٩٤١ باسم «البعث العربي» في دمشق، لكنه لم يعمر طويلاً، فانتهى عام ١٩٤٤(١٤٩).

ومما تقدم يبدو أن الأرسوزي قد اعتبر اللغة العامل الأصيل الأول في وجود الأمة العربية، أما العامل الثاني فهو البعد الروحي... والإسلام المعبر عن وجدان الأمة ومعاناتها.. وان الخلل اعترى الأمة بتدخل الأجنبي، سواء عن طريق المصاهرة خلال نشر الرسالة الإسلامية، أو بالسيطرة على البلاد.

أما رسالة الأمة، في المرحلة الراهنة، فهي في بناء كيانها معتمداً على تراثها الثقافي، وبالعلم والصناعة الحديثة، وكلاهما يستند إلى منح الحرية للمواطنين ليعبروا عن عبقريتها.. هذه الحرية التي يضمنها النظام الديمقراطي ـ البرلماني الحر.. ولا بد من تشكيل حزب قومي يأخذ على عاتقه إعداد الأمة لتحقيق الثورة الكبرى.. أما الزعيم فقد أعطاه الدور الأساسي لإقامة دولة العرب الكبرى.

---

(١٤٨) فرزات، **الحياة الحزبية في سوريا: دراسة تاريخية لنشوء الأحزاب السياسية وتطورها بين ١٩٠٨ ـ ١٩٥٥**، ص ٧٣.

(١٤٩) انتهى الحزب بعد ذهاب الأرسوزي إلى اللاذقية، كما أن هذا الحزب ليس له علاقة بحزب البعث العربي الاشتراكي. لمزيد من التفاصيل، انظر: سامي الجندي، **البعث** (بيروت: دار النهار، ١٩٦٩)، ص ٢٥ ـ ٣٦.

فالزعيم ينهض في إمكانيات الأمة لإقامة الكيان العربي، وهو المعبر عنها أصدق تعبير. . . لكننا نجد غموضاً في كيفية التوفيق بين هذه الزعامة والنظام البرلماني الذي يقتدي بالتجربة البرلمانية الانكليزية. . والملاحظة الثانية، هي اعتبار المصاهرة بين العرب والمسلمين الآخرين هي الانحراف والخلل الذي أصاب كياننا.

لكن من جانب آخر، فإن الأرسوزي ربط بين الوحدة العربية والرسالة الحضارية للأمة، وحريتها السياسية، لكنه لم يول الجانب الاجتماعي والاقتصادي للأمة اهتماماً جدياً.

٥ ـ ساطع الحصري (١٨٧٩ ـ ١٩٦٨)

يعد ساطع الحصري(١٥٠) من أوائل الذين وضعوا لبنات الوحدة الثقافية، باعتبارها خطوة في تحقيق الوحدة العربية، وهو الهدف الذي سعى إلى تحقيقه منذ عشرينيات هذا القرن متنقلاً ما بين سوريا والعراق ومصر ولبنان لنشر أفكاره ومعتقداته في هذا الشأن حتى وفاته في ٢٤ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٦٨.

كان الحصري يعتقد أن تحقيق الوحدة العربية يكمن في إذكاء وعي أبناء الأمة بحقيقة وجودهم، وأن تحقيق ذلك يكون في التبشير الفكري والتربوي بالأساس. فالثقافة في رأيه «من أهم العوامل التي تهيىء سائر أنواع التوحيد، فأقول بلا تردد اضمنوا لي وحدة الثقافة، وأنا أضمن لكم كل ما بقي من ضروب الوحدة»(١٥١).

لذلك بات من المهم أن يتوجه التعليم في الوطن العربي إلى تحقيق أمور رئيسية ثلاثة، هي(١٥٢): تعزيز اللغة العربية، وإحياء التاريخ العربي، ونشدان وحدة التربية والمنهج في الوطن العربي، ورفض وجود أدب قطري، «أدب

---

(١٥٠) عن حياة وأعمال ساطع الحصري، انظر: علي نشمي حميدي، «ساطع الحصري ودوره القومي في العراق،» (رسالة ماجستير، بغداد، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٩٠).

(١٥١) ساطع الحصري، **آراء وأحاديث في الوطنية والقومية** (القاهرة: مطبعة الرسالة، ١٩٤٤)، ص ٨١.

(١٥٢) الجامعة الأميركية في بيروت، هيئة الدراسات العربية، **الفكر العربي في مائة سنة** (بيروت: الجامعة، ١٩٦٧)، ص ٥٤٢.

عراقي، وأدب مصري، وآخر سوري وهلم جراً»[١٥٣]، وأكد على وجود شيء واحد اسمه الأدب العربي في العراق، والأدب العربي في مصر، ودعا الأدباء والكتاب العرب إلى ضرورة التمسك بقومية الأدب والفن العربيين[١٥٤]. كما رفض كل دعوة ثقافية تحاول أن تربط الثقافة العربية بثقافة أخرى، كأن يدعو البعض إلى وجود ثقافة للبحر المتوسط تجمع قوميات متعددة. لذلك نجده يفرق بين الثقافة والحضارة، مؤكداً على عالمية الحضارة وقومية الثقافة، حيث يقول بهذا الصدد إن الحضارة تشمل الأمور المادية مثل المصنوعات اليدوية والصناعات الحديثة وغيرها، وهي نتاج الانسان في أي مكان، ويمكن انتقال أو اقتباس هذه الأشياء من دولة إلى أخرى من دون عناء، لأنها لا تحمل صفة قومية، أما الثقافة فهي تشمل الأمور الفكرية والذهنية كالأدب والفنون واللغة، وهي مرتبطة بنمط قومي معين، لذلك فإن لكل قومية ثقافة خاصة تبعاً للغتها وآدابها وفنونها، لهذا لا وجود لثقافة البحر المتوسط، بل هناك الثقافة العربية الواحدة لكل أبناء العروبة[١٥٥].

وقد رفض الحصري بشكل قاطع كل دعاة الاقليمية والأممية أو دعاة الوحدة الاسلامية، كما رفض رفضاً قاطعاً الكيانات العربية المصطنعة، التي أوجدها الاستعمار، بل ودعا إلى إزالتها بكل الوسائل والسبل، وإقامة دولة عربية واحدة شاملة[١٥٦]. فالمستفيد الوحيد من الإقليمية والتجزئة هو الاستعمار والنفعيون والحركة الشيوعية العالمية، التي لا يمكن لها أن تعيش إلا في حالة عدم التكاتف القومي[١٥٧]. أما الوحدة الإسلامية فمستحيلة التحقيق، لأنها تضم قوميات مختلفة، أما التضامن الاسلامي فإنه واجب، لأنه موقف سياسي مجرد من أطر دستورية أو إدارية[١٥٨]. كما رفض شرط المصالح الاقتصادية، كأحد الشروط المكونة للقومية العربية، فقد أوضح الحصري ما للاقتصاد والمصالح الاقتصادية من أهمية، لكنه رفض أن تكون الأساس في قيام الوحدة،

---

(١٥٣) ساطع الحصري، **آراء وأحاديث في العلم والأخلاق والثقافة** (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٥١)، ص ٢٤ ـ ٢٥.

(١٥٤) المصدر نفسه، ص ٢٥ ـ ٢٧.

(١٥٥) المصدر نفسه، ص ٤٧ ـ ٦٣.

(١٥٦) المصدر نفسه، ص ٦٧.

(١٥٧) ساطع الحصري، «لم تكن التجزئة طبيعية،» **الحياة** (بيروت)، ١٩/٨/١٩٥١.

(١٥٨) ساطع الحصري، «حول الوحدة العربية، إلى الدكتور طه حسين،» **الرسالة**، السنة ٧، مج ٢، العدد ٣١٥ (١٩٣٩)، ص ١٣٨٧ ـ ١٣٩٠.

لأن المصالح الاقتصادية قد تكون دعوة للترابط بين الدول غير العربية وبعض الدول العربية، وهذا يعني أنها ليست شرطاً قومياً أو أساساً قومياً للوحدة العربية[١٥٩]. كما رفض العامل الجغرافي كأساس للوحدة العربية، لأن هذا العامل قد استغله دعاة الاقليمية الذين يؤكدون ضرورة قيام دول إقليمية عربية على أساس التقارب الجغرافي مثل وادي النيل والهلال الخصيب وبلاد المغرب العربي، فترسيخ هذا العامل سوف يكون شرطاً مستقبلياً يستغله دعاة الاقليمية للتشكيك بالوحدة العربية والدعوة إلى قيام الدولة الإقليمية، التي أشرنا إليها تواً[١٦٠]. واعتبر الدعوة الأممية آراءً وأفكاراً مدمرة تهدد الفكر الوحدوي العربي، وهي ترفض وتحارب الانتماء القومي وتسعى إلى القضاء على الروح القومية من أجل ترسيخ الروح الأممية[١٦١].

واعتبر الوحدة جزءاً مهماً من عملية التجديد والتطور ورفض الجمود، لأن كل هذه الأشياء تدعو العربي إلى التمسك بالأمر الواقع، ومنها الإقليمية. لهذا تكون الوحدة جزءاً مهماً من عمليات التجديد العربي، لأنها تسعى للقضاء على الإقليمية والوجود الاستعماري في وطننا، لهذا اعتبر الوحدة هي التجديد العربي[١٦٢].

وفي دعوته من أجل الوحدة العربية، كان الحصري يتطلع إلى مصر، ويعلق عليها آمالاً واسعة، وتمنى أن تعمل مصر في سبيل تحقيق الوحدة العربية، مثلما عملت بروسيا في سبيل تحقيق الوحدة الألمانية[١٦٣].

والحقائق التي يمكن أن نسجلها، هنا: أن الحصري يعتبر من بين أبرز الداعين للوحدة العربية، التي كانت محور كل كتاباته ومركز كل الأسس التي قامت عليها نظرته إلى القومية والوجود القومي.

---

(١٥٩) ساطع الحصري، **آراء وأحاديث في القومية العربية** (القاهرة: مطبعة الاعتماد، ١٩٥١)، ص ٧٨ ـ ٨٢. والحقيقة أنه أثبت الواقع أن آراء الحصري هذه صحيحة، حيث عقدت في الآونة الأخيرة ندوات ومؤتمرات (ثقافية وبيئية واقتصادية) تحت أسماء الشرق الأوسط، وغير ذلك من الأسماء ساهمت فيها بعض الأقطار العربية والكيان الصهيوني ودول غير عربية.

(١٦٠) المصدر نفسه، ص ٩٩.

(١٦١) المصدر نفسه، ص ٤٧.

(١٦٢) ساطع الحصري، **العروبة بين دعاتها ومعارضيها** (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٥٢)، ص ٣٤.

(١٦٣) انظر: ساطع الحصري، «دور مصر في النهضة القومية،» **البلاد** (بغداد)، ١٩/٤/١٩٣٦.

ولأنه كان تربوياً فقد اعتقد أن تحقيق وحدة الثقافة والتعليم تكفي لتحقيق الوحدة العربية، وبهذه النقطة فإن الحصري يبدو مثالياً فكرياً، لأنه أغفل المحتوى الجماهيري لحركة الوحدة العربية، التي لا بد من أن تكون ذات أهداف سياسية واجتماعية بالأساس، ومن دون ذلك لا يمكن أن تحقق خطوات جادة باتجاه توحيد الأمة العربية.

كما أن الحصري انطلق في تصوره لمفهوم القومية والوحدة العربية، من التجارب الأوروبية في القرن التاسع عشر، وحاول من خلالها وضع أسس لفكره الوحدوي العربي.. فهو لم يهيىء لنا خلفية مناسبة لاستيعاب التكوين القومي لا للأمة العربية، ولا حتى للأمم الأوروبية، قبل القرن التاسع عشر، وحتى بعده.. وللسبب ذاته لم يكتشف العلاقة بين التجزئة والتخلف وسيادة العلاقات الاقطاعية، أو بين الاستعمار والصهيونية العالمية والاحتكارات الرأسمالية، وبالتالي أغفل الترابط بين التحرر والوحدة القومية والديمقراطية والاشتراكية.

وللسبب ذاته لم يكتشف أهمية وجود الأداة السياسية المنظمة لتحقيق الوحدة العربية، أي التنظيم القومي العربي، بل انه لم يعط للحركات والأحزاب السياسية أهمية كبيرة، من أجل النهوض بالواقع العربي.

٦ ـ سامي شوكة (١٨٩٣ ـ ١٩٨٦)

يحدد سامي شوكة[١٦٤] معنى القومية بأنها التجانس الروحي، الذي يتناول الأهداف والمثل العليا للمستقبل، والذي يستمد حيويته من الماضي، وهذا التجانس نتيجة طبيعية للبيئة والمحيط اللذين تعيش فيهما الأمة[١٦٥].

أما عناصر القومية، فهي اللغة والدم والطباع والثقافة ووحدة الميول والتاريخ[١٦٦]. ولم يعتبر الدين من المقومات القومية، فهو غير قادر على التوحيد لكنه يقرب بين البشر في العبادة وبعض الطقوس والشرائع الدنيوية، ومن هنا سميت بالرابطة الدينية[١٦٧]، لذا نجده يدعو للدولة العلمانية. فالدول

---

(١٦٤) عن حياة سامي شوكة، انظر: أديب توفيق الفكيكي، **تاريخ أعلام الطب العراقي الحديث** ([بغداد]: أ. ت. الفكيكي، ١٩٨٩-)، ص ٣٦.

(١٦٥) المصدر نفسه، ص ٣.

(١٦٦) المصدر نفسه، ص ٦٢.

(١٦٧) المصدر نفسه، ص ٥٩.

العصرية كافة لا تفسح المجال لتدخل الدين في السياسة، وهي تسن لذلك القوانين وتصدر الأوامر المشددة بتنفيذها[١٦٨]. ودعا إلى تقديس الأديان واعتناق المبادىء القومية، ورفض المبادىء والتيارات غير القومية، حيث يقول: «فالأديان السماوية نقدسها كلها، وهذا شعارنا، ولا نسمح بمس مقدساتها، أما المبادىء الدنيوية فلا نعتنق منها سوى المبدأ القومي، الذي من دونه لا تتكون الأمم ولا تشاد صروح الدول، وهناك مبادىء وشرائع دنيوية أخرى اتصفت بألوان الهدم والتخريب وإنكار الأديان السماوية والإلحاد معاذ الله، وهذه المبادىء لسنا فقط لا نسمح بتسريبها في المجتمع، بل نحرم حتى من أن يمس طرف من ظلها هذه الأماكن الطاهرة الشريفة»[١٦٩].

ويعتقد شوكة أن الدولة لا يمكن أن تقوم على أسس غير قومية، خاصة في العصر الحاضر، لأن الذي يجمع بين أجزاء الدولة، وهم الأفراد، ليس سوى هذه الوحدة في الميول والطباع والعادات، فإذا فقدت هذه الوحدة، فقدت الأسس التي تتكون منها القومية. لذلك نجد الدولة، في عصرنا هذا، تجعل مركز الثقل لاهتمام زعمائها وقادتها في تقوية هذه الروابط وتجانس هذه الطباع، فكلما قويت هذه العناصر، قويت أركان وأسس القومية وبالتالي قويت الدول[١٧٠].

ويعتقد أن عاملي القوة والحق هما أساس قوة الدولة القومية. فالقوة والحق صنوان لا يعيش أحدهما من دون الآخر[١٧١]. وفي خطابه الذي ألقاه في نادي المثنى خريف ١٩٣٣، بعنوان «صناعة الموت» عبر بلغة بسيطة وقوية عن مبدئه في القوة، فهو يرى أن الاستقلال الحقيقي للأمم وللدول لا يقاس بثرائها ولا بتقدمها العلمي، وإنما بقوتها. فالقوة هي التي تحمي الأمم من الاستعمار والاستعباد. والقوة في رأيه هي إتقان صناعة الموت[١٧٢]. ودعا في خطب أخرى شباب العراق إلى التخلي عن حياة الترف والدعة والاقتداء بحياة العرب الأوائل الذين رفعوا راية الاسلام، والتمسك بشعار «اخشوشنوا فان الترف يزيل النعم»[١٧٣]، وذلك من أجل بناء وحدة العرب.

---

(١٦٨) المصدر نفسه، ص ٦١.
(١٦٩) المصدر نفسه، ص ١٣.
(١٧٠) المصدر نفسه، ص ٣١.
(١٧١) المصدر نفسه.
(١٧٢) المصدر نفسه، ص ٤ ـ ٦.
(١٧٣) المصدر نفسه، ص ٤٠ ـ ٤١.

تعزز هذا الاتجاه في العراق بقيام «منظمة الفتوة»، شبه العسكرية، التي ضمت طلبة المدارس الثانوية ومعلميها. وتولت تدريبهم على الأسلحة والاستعراضات العسكرية. وانيطت قيادة هذه المنظمة بسامي شوكة[١٧٤].

ويعزز شوكة رأيه في موضوع القوة، فيقول: «فالأمة التي لا تتقن صناعة الموت بالحديد والنار ترغم على الموت تحت سنابك الخيل وأحذية الجند الأجنبي[١٧٥]. والقوة إذا كانت صغيرة وقليلة لا تستطيع الوقوف تجاه من هي أضخم منها وأعظم، فشرط القوة للدوام والحياة يتوقف على ضخامتها وجسامتها وعظمتها، من هنا نجد سر سيطرة الدول العظمى على التي هي أصغر منها شكلاً. فالمستقبل للدول الكبيرة، وما بقاء الأمم الصغيرة ودولها إلا نتيجة للتوازن الدولي، وفي اللحظة التي يخل فيها هذا التوازن يختل معه كيان هذه الدول فتبتلعها الكبيرة ابتلاعاً. وتاريخ العالم قديمه وحديثه مشحون بأقاصيص وروايات هذا الابتلاع والاندماج». لذا يدعو إلى وحدة العرب الشاملة، خاصة أن هذه الأمة كانت تكوِّن دولة واحدة منذ أواخر دور الراشدين إلى أواخر أيام العباسيين[١٧٦].

ثم يوضح شوكة ما قدمته الأمة العربية من حضارة ومدنية للعالم «فمدنية الدنيا الحالية لم تستند مقوماتها إلا إلى ما ابتدعته أدمغة الجزيرة العربية من أسس وأحكام. فماضينا وحاضرنا ومستقبلنا كل ذلك يصرخ في وجوهنا في يومنا هذا أن اتحدوا ولا كرامة لشخص لا كرامة لبلاده ودولته، مهما سمت منازل العلم والثروة»[١٧٧].

فالمستقبل للأمم الكبيرة، فنحن أمام مفترق طريقين اما أن نكون تحت رحمة الدول الكبيرة في جميع شؤوننا السياسية والاقتصادية والثقافية، وإما التوحيد الذي سيضمن سعادة ورفاهاً أدبياً ومادياً عميماً مقيماً[١٧٨].

وأكد أن العمل من أجل الوحدة العربية يقع على عاتق العراق ومصر لأنهما الدولتان القويتان في مشرق الوطن العربي ومغربه، كما دعا إلى تأسيس

---

(١٧٤) حسين، «جمعية الجوال: فصل من تاريخ الحركة القومية العربية في العراق المعاصر،» ص ٢٦٢ ـ ٢٧٢.

(١٧٥) شوكة، **هذه أهدافنا**، ص ٤ ـ ٦.

(١٧٦) المصدر نفسه، ص ٣٢.

(١٧٧) المصدر نفسه.

(١٧٨) المصدر نفسه، ص ٣٤.

حزب عربي يعمل لتحقيق هذا الهدف، ويكون له مركزان رئيسان أحدهما في بغداد والثاني في القاهرة[١٧٩]. ودعا في ما بعد إلى أن يكون العراق (مركز النضال) لتحقيق الوحدة العربية[١٨٠]. وأكد على البعد الاقتصادي للوحدة من خلال دعوته إلى ضرورة رفع الحواجز الجمركية والتكامل الاقتصادي بين الأقطار العربية، مشيراً إلى أن الوطن العربي زاخر بالقوة المادية والأدبية والمالية[١٨١]. ودعا شوكة إلى توجيه السياسة التعليمية ومناهجها وفق مصلحة الوحدة العربية ومحاربة الدعايات الأجنبية المضرة، خاصة في معاهد التعليم الأهلي، بل دعا لأن يشرف الحزب (المنشود) على هذه المعاهد، وكذلك يشرف على الصحافة العربية وتوجيهها لخدمة القضية العربية، وتنشيط الدعاية (القومية) في جميع الأوساط، ومحاربة كل من يقف ضد تحقيق هدف الوحدة[١٨٢]. ولم يتردد في دعوة معلمي التاريخ، عند لقائه بهم في ١٦ آذار/مارس ١٩٣٩، إلى إحراق كل الكتب التي تحقر العرب وتنال من أمجادهم بما في ذلك كتب ابن خلدون[١٨٣].

مما تقدم يبدو أن سامي شوكة كزكي الأرسوزي اعتمد «الدم» كأحد العناصر المكونة للقومية، وان هذا العنصر مشكوك في كونه أحد عناصر القومية، كما أن شوكة لم يوضح لنا شكل النظام الذي تقوم عليه الوحدة. وكيف تقوم؟ ولم يتعمق في دراسة حركة الواقع العربي ليصوغ لنا نظرية أو مبادىء عامة لمعالجة أمراض هذا الواقع وتحقيق وحدته القومية على أسس علمية وموضوعية. وإذا كان الحصري قد علق آماله على مصر لتحقيق الوحدة العربية، فإن شوكة ذهب أبعد عندما اعتبر أن تحقيق الوحدة يقع على مصر والعراق ثم أكد على أن يكون العراق مركز النضال لتحقيقها.

٧ ـ محمد عزة دروزة

يتفق جميع المفكرين العرب الذين درسناهم على أن عاملي اللغة والتاريخ من أسس قيام القومية العربية، ومن ضمنهم محمد عزة دروزة، الذي أكد على

---

(١٧٩) المصدر نفسه، ص ٩٤.

(١٨٠) المصدر نفسه، ص ٤١.

(١٨١) المصدر نفسه، ص ٣٥.

(١٨٢) المصدر نفسه، ص ٩٤.

(١٨٣) Majid Khadduri, *Independent Iraq, 1932-1958; a Study in Iraqi Politics*, 2nd ed. (London; New York: Oxford University Press, 1960), pp. 166-167.

«أن الوحدة اللغوية العربية كانت قائمة نوعاً ما في الوطن العربي منذ أقدم الأزمنة، حيث كان معظم سكانه من جنس واحد يتكلمون لغة واحدة متعددة اللهجات، ودليل ذلك ما يقوم من التشارك الواسع في المفردات والصيغ والقواعد والخصائص التي تقوم بين اللغة العربية واللغات الكنعانية والعبرانية والآرامية والكلدانية والمصرية، وان هذا يتفق على تقريره جمهور علماء اللغات»[١٨٤].

ويعتبر دروزة أن الاسلام أسهم إلى جانب اللغة في تطوير الهوية العربية وتكوين القومية العربية، «فانتشار العربية معناه انتشار سلطان العرب الروحي والثقافي والأدبي معاً، واندماج المسلمين جميعاً في ظل العروبة اندماجاً قوياً، مما قام البرهان على عظيم مداه وصحته فعلاً، حينما انتشر الاسلام في أضياع الأرض في صدر الاسلام حيث غدت اللغة القرآنية هي اللهجة العربية السائدة في الجزيرة ومهاجر العرب»[١٨٥].

وعلى الرغم من أن الإسلام قضى على العصبية القبلية العتيقة، وهيأ العرب اجتماعياً ومدنياً وسياسياً للقيام بتحقيق الهدف العام والخالد، وهو حمل أعباء الرسالة، إلا أن دروزة يعترف بأن الوحدة الدينية ليست ضرورية لقيام الوحدة السياسية في الحضارة الحديثة[١٨٦].

وينفرد دروزة من المفكرين القوميين، الذين واكبوه، بالدعوة إلى الشكل الاندماجي للوحدة: «إن الوحدة التي نريد أن نبحث في سبيل تحقيقها ليست هي الوحدة الأخوية والتوافق الروحي أو القلبي في ما بين الدول العربية، وهو ما يظل كثير من رؤساء الدول العربية وساستها يرددونه. ومع أن هذا حقاً أمر مهم في الوحدة، ولا بد من تحقيقه، فإن المطلوب هو قيام وحدة فعلية تتنازل في نطاقها الدول عن سيادتها قليلاً أو كثيراً، ويقوم عليها جهاز حكومي

---

(١٨٤) محمد عزة دروزة، **الوحدة العربية: مباحث في معالم الوطن العربي الكبير ومقومات وحدته والعقبات التي تقف في طريقها ومعالجاتها والمراحل التي يجب أن يسار فيها إلى تحقيقها** (القاهرة: [د.ت.])، ص ٥٥ ـ ٥٦. ويجدر بالذكر أن دروزة قد فرغ من مسودة هذا الكتاب في آب/أغسطس ١٩٤٣.

(١٨٥) المصدر نفسه، ص ٥٨ ـ ٦٠.

(١٨٦) المصدر نفسه، ص ٦٠.

تشريعي وتنفيذي»[١٨٧]. ويبرر دعوته للدولة العربية المتحدة بأنها «تستطيع سبك الأمة العربية في قالب واحد وتوجيهها إلى اتجاه واحد، والحاق المتأخر منها بالمتقدم من النواحي الثقافية والاجتماعية والعمرانية، وتكثيف جهودها وقابليتها واستثمار إمكانياتها العظيمة»[١٨٨].

وإذا كان دروزة يتفق مع سامي شوكة بصدد أهمية القوة للدولة العربية، فدروزة يدعو إلى إقامة الوحدة بالقوة العسكرية، في حين أن شوكة يعتبر القوة مسألة أساسية في بناء الدولة العربية، ويربط الأخير القوة بالحق. ويتفق دروزة مع الأرسوزي على أهمية وجود الزعيم العربي، الذي يأخذ على عاتقه إقامة الدولة العربية المنشودة تؤازره القوة السياسية الشعبية، ولكنه يختلف معه في مؤازرة القوة العسكرية له لإقامة تلك الدولة. فبصدد عرضه للأساليب التي تحقق الوحدة، يقول: «أولها القوة الحربية التي تتحرك بالمطمح الشخصي والتوسعي، أي ظهور ملك يفرض سلطانه على بقية الدول المجاورة، وهو ما كان يحدث في التاريخ قبل الإسلام، وثانيها القوة العسكرية التي تتحرك بالمطمح الشخصي والحافز الديني معاً مثلما حدث في تاريخ الاسلام، وثالثها القوة الحربية والمساعي السياسية التي تتحرك بالمطمح الشخصي والحافز القومي معاً، حيث يبرز ملك دولة من دول متعددة بينها ذلك التشارك، فيتبنى فكرة توحيدها تحت رايته، ويكون موجوداً في الوقت ذاته أفراد أو هيئات تدعو إلى هذا التوحيد، فتتضامن الحركتان وتتوسلان بمختلف الوسائل من دعوة إلى حرب إلى سياسة إلى إرغام إلى استفتاء حتى تتحقق الوحدة المنشودة بشكل من الأشكال، وهو ما جرى في العصور الحديثة»[١٨٩].

وقد فضل المظهر الثالث، وقال إنه يناسب الوحدة العربية، ودلل على وجهة نظره بقوله إن هذا المظهر كان قد تحقق في تجربة فيصل ملك العراق، وفي محاولة فيصل في سوريا قبل أن يذهب إلى العراق. وعلى رغم إقراره بأن هذه التجارب فشلت، حيث لم يطل عمر تجربة فيصل في سوريا أكثر من خمسة أشهر إلا أنه لم يغير وجهة نظره[١٩٠]، بل يتفق مع الحصري في أن تقوم مصر بالدور القيادي للوحدة[١٩١].

---

(١٨٧) المصدر نفسه، ص ٥٦٨ ـ ٥٦٩ و٥٩٩ ـ ٦٠٠.

(١٨٨) المصدر نفسه، ص ٦٤٢.

(١٨٩) المصدر نفسه، ص ٥٩٩ ـ ٦٠٠.

(١٩٠) المصدر نفسه، ص ٦٠١.

(١٩١) المصدر نفسه.

وعن الفوائد التي يجنيها العرب من الوحدة، فقد أكد دروزة أن العرب لن يتيسَّر لهم الانتفاع من أحسن وأقوم سبيل يزول به فقرهم وجهلهم وضعفهم إلا بالوحدة، وستظل حالهم مرتبكة مبعثرة، وسيظل وطنهم عرضة للبغي والاستغلال ما لم تتم له هذه الوحدة، فإذا ما تمت تهيأت لهم أسباب القوة والتقدم والتكامل في ميادين الحضارة، وتبوأوا المكانة الممتازة التي تليق بهم، وبما كان لأسلافهم من أمجاد عظمى سياسياً وعسكرياً وأدبياً واجتماعياً، ودر عليهم من الخير ما يجعلهم في مقدمة أمم الأرض قوة وحضارة ورفاهاً[١٩٢].

ويرى دروزة أن الوطن العربي متنوع الطبيعة والامكانيات، وأقطاره يكمل بعضها بعضاً، من هذا الاعتبار، بحيث يكون من جملتها وحدة اقتصادية تامة، والانتفاع من تنوع وتوزيع امكانيات وطبيعة الوطن العربي رهن إلى أبعد حد بالوحدة التي تربط بين أجزائه إدارة وسياسة ونظماً وتشريعاً[١٩٣].

ويتفق دروزة مع بقية المفكرين القوميين العرب بخصوص التحديات الخارجية التي تواجه العرب، وتفرض عليهم تحقيق وحدتهم للوقوف بوجه تلك التحديات، حيث يقول: «إن أصحاب التفكير السليم يعترفون بأن العرب سيظلون عرضة للازدراء والبغي والاستغلال ما داموا لا يجتمعون في وحدة فعلية قوية شاملة»[١٩٤].

وعن التحديات الداخلية، رأى دروزه أنها الفرقة والانقسام المفتعل عبر فترات التاريخ، وعلى العرب أن يلتقوا ويتوحدوا ليقضوا على ذلك[١٩٥]. وأشار دروزة إلى نوع آخر من التحديات الداخلية، هو القصور في الوعي بالفكرة القومية وبالوحدة، أو بمعنى أشمل أرجع عدم تحقيق الوحدة إلى ذلك الخلط الذي شاب الفكرة القومية وأعاق ظهورها بالمعنى الحديث: «من العقبات الذاتية أو الداخلية جمود الوعي العربي العام وسلبيته وعدم عمقه. فالجمهور العربي مدرك لضرورة الوحدة العربية وتوافر مقوماتها في مختلف أقاليم الوطن العربي الكبير، ولكنه يبدو جامداً سلبياً غير عميق إزاء هذا الإدراك، ويرافق هذا جمود وسلبية في الوعي القومي بمعناه الحديث، وهو الذي كان حافزاً من

(١٩٢) المصدر نفسه، ص ٣٠٤.
(١٩٣) المصدر نفسه، ص ٢٥ ـ ٣٠.
(١٩٤) المصدر نفسه، ص ٩٢.
(١٩٥) المصدر نفسه، ص ٩٣.

حوافز الحركات القومية الحديثة في أوروبا»[١٩٦].

وأرجع قصور الوعي القومي، في بعض جوانبه، إلى حداثة الفكرة القومية بمعناها الحديث وجهل غالبية أبناء الأمة العربية وضعف التنظيم الشعبي في مختلف الأقطار العربية. إلا أن هذه العقبات وغيرها، يجب ألا تستخدم في نظر دروزة كحجج من جانب الرافضين للوحدة لإثبات دعواهم. فهي في طريقها إلى الزوال بحكم استقلال الأقطار العربية وحرصها على مقاومة مظاهر النفوذ الخارجية، كما أن الوعي القومي بدأ يشتد ويزدهر.

* * *

لا بد لنا من أن نقول في نهاية هذا الفصل إن التطورات التي أفرزت استقلال أقطار المشرق العربي تمثلت بتعاظم الوعي الوطني والقومي العربي، فمن خلال الصراع ضد الدولة العثمانية، ومن ثم الاستعمار الأوروبي (البريطاني والفرنسي)، الذي أخذ صيغة انتفاضات شعبية، مسلحة تارة وسلمية تارة أخرى، تبلور هذا الوعي في اتجاهات سياسية، مثلت واقع حركة الصراع السياسي والاقتصادي والاجتماعي[١٩٧]. وكان لهذه الحقيقة الدور الكبير في إسباغ الصفة التنظيمية على الاتجاهات السياسية ذات البرامج المتسمة بوضوح ايديولوجي وواقع تنظيمي متميز، بالمقارنة مع مرحلته، خاصة في سوريا، وبوقت يعتبر مبكراً قياساً إلى أقطار المشرق العربي الأخرى، سجلت برامج الحزب العربي السري وجمعية الجوال تقدماً كبيراً، كما أوضحنا، على برامج التنظيمات القومية الأخرى، وأفكار المفكرين القوميين، الذين رافقوا قيامهما، إضافة إلى ظهور أحزاب سياسية أخرى نتيجة التأثر بالتيارات الفكرية العالمية المعاصرة. كما برزت تكتلات سياسية اعتمدت على الزعامات التقليدية، التي كان لها الدور الكبير في قيادة النضال الوطني والقومي في العشرينيات والثلاثينيات من هذا القرن.

وهكذا فإن تطور الصراع بين الأحزاب والتكتلات السياسية ضد الاستعمار من جهة، والصراع في ما بين هذه الاتجاهات من جهة أخرى، وتبلور الوعي القومي العربي، قد أدت كل هذه العوامل إلى تهيئة المناخ السياسي

(١٩٦) المصدر نفسه، ص ١٩ ـ ٢٠.

(١٩٧) انظر: ساطع الحصري، **محاضرات في نشوء الفكرة القومية** (القاهرة: مطبعة الرسالة، ١٩٥١)، ص ١٨١ ـ ١٩٤.

لتبلور الفكر القومي العربي، وولادة أحزاب قومية عربية أكثر جذرية من الناحية الاجتماعية والايديولوجية، وأكثر تمسكاً بالجوانب التنظيمية، وبالتالي تبلور الاتجاهات الوحدوية. فقد كان الوطن العربي يواجه تحدياً استعمارياً صهيونياً رجعياً شرساً، هذا التحدي الذي يتطلب نضالاً جماهيرياً ثورياً يستطيع تحقيق الهوية القومية، من خلال تحرير الأرض والإنسان من كل القيود وبناء المجتمع العربي الاشتراكي الديمقراطي الموحد، لذلك كان لا بد من قيام حزب قومي عربي من حيث الفكر والأداة والتنظيم ويعمل بأسلوب ثوري.

لقد عاش المفكرون العرب والتنظيمات السياسية في المشرق العربي أزمة الواقع السياسي العربي، وأزمة التزام معظم تلك التنظيمات والمفكرين، بشكل صحيح أو مشوه، بالتيارات العالمية المعاصرة، وأزمة عدم وجود الصورة الشاملة لديها، للحركة الجدلية للواقع العربي، التي لا بد من أن تربط بين ما في التاريخ القومي من جهة، والحاضر ومشكلاته الراهنة، وآفاق المستقبل، من جهة أخرى.

الفصل الثالث

الوحدة العربية في برامج ومواقف الأحزاب والتيارات السياسية القطرية والأممية

أولاً: الوحدة في برامج ومواقف الأحزاب القطرية

كان لسياسة التجزئة التي فرضها الاستعمار الأوروبي، انعكاسها على الوطن العربي، فقد شجعت (تلك السياسة) النزعة القطرية، التي تحولت إلى طابع مميز لأغلب الحركات السياسية في الوطن العربي، خاصة في فترة ما بين الحربين العالميتين. فقد أصبح هدف الحركات الوطنية، في كل الأقطار العربية، التحرر من الاحتلال والانتداب، وإقامة دولة مستقلة قطرية، بسبب وجودها في أقطار محددة من دون أن تكون لها امتدادات قومية.

من جانب آخر كان للتيارات السياسية العالمية تأثيراتها في الوطن العربي، فنشأت الأحزاب الشيوعية المحلية، فيما تشكلت، في الفترة ذاتها، تنظيمات سياسية ـ دينية، اتخذت من الإسلام أساساً لايديولوجيتها، التي تتجاوز حدود الوطن العربي، وتدعو إلى الوحدة الإسلامية.

لم تول تلك الحركات الأهداف القومية الرامية إلى تحقيق الوحدة العربية سوى اهتمام محدود، بل إن بعضها وقف بالضد من الوحدة العربية وحاربها فكرياً وسياسياً. ولعل هذا الأمر، هو ما كانت تسعى إليه الدول الاستعمارية، من أجل تكريس التجزئة ومحاربة الفكر القومي العربي، لذلك نجد أن سياسة تلك الدول كانت تهدف بشكل أو آخر إلى دعم واستمرار مثل هذه الحركات، حتى اننا نجد ظهور أحزاب كثيرة في كل قطر عربي كانت تعرف بالاسم الرسمي للجماعة أو باسم العائلة المسيطرة، وخير من عبر عن هذه الحالة جريدة **فلسطين**، عندما قالت:

«إن الكثير منا يقبلون على تأليف الأحزاب لغير الغايات التي تقوم لها الأحزاب في العادة. فمنا من يؤلف حزباً ليثبت منصبه في الحكومة، وآخر

ليفوز بمنصب جديد فيها، وثالث ليناوئ خصماً له، وهلم جراً. . .»[1].

ففي العراق ظهر العديد من الأحزاب القطرية، كسائر الأقطار العربية الأخرى، وقد ركزت في برامجها ونشاطاتها على تحقيق الاستقلال، وقسم منها حدد سياسته القومية، أو طرح مشروعه الوحدوي، فيما أغفل قسم آخر السياسة القومية في أهدافه وبرامجه، وتلافى البعض ذلك بطرح مواقفه وسياسته القومية من خلال صحفه أو بياناته. ومن تلك الأحزاب، حزب التقدم، الذي تأسس في ٢٢ آب/أغسطس ١٩٢٥، ولم يشر منهجه إلى الوحدة العربية[2]. لكن جريدته **التقدم** أولت اهتماماً لمعالجة القضايا القومية، والدعوة إلى الوحدة العربية، مؤكدة أن الوحدة العربية هي الأداة الفعالة لضمان مصلحة العرب وبلادنا[3]. وهي «حقيقة واضحة، لا تستكين للأوضاع السائدة. . . والمستقبل لها وبها»[4]. ودعا الحزب الأمة العربية إلى السعي نحو التقدم وتوفير الظروف الملائمة لتحقيق الوحدة[5]. ولأن تهيئة الظروف والسعي نحو التقدم يتطلبان الوقت، دعا الحزب إلى فكرة التدرج في تحقيق الوحدة العربية، فدعا إلى الوحدة الثقافية تعقبها وحدة اقتصادية للوصول إلى الوحدة السياسية «فإذا تعسرت الوحدة السياسية في الوقت الحاضر، فلنقترب بالوحدة الثقافية والاقتصادية»[6].

أما حزب الشعب الذي ضم شخصيات سبق لها العمل في الحركة القومية العربية[7]، فلم يورد منهجه ما يخص الوحدة العربية أيضاً، لكنه ذكر

---

(١) **فلسطين**، ١٩٣٥/٦/٢٨، نقلاً عن: بيان نويهض الحوت، **القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين، ١٩١٧ ـ ١٩٤٨**، الدراسات؛ ٥٧ (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨١)، ص ٣١١.

(٢) حول نص منهج حزب التقدم، انظر: عبد الرزاق الحسني، **تاريخ الأحزاب السياسية العراقية: دراسة تاريخية متواضعة عن الأحزاب السياسية التي تكونت في العراق بين ١٩١٨ ـ ١٩٥٨** (بيروت: مركز الأبجدية، ١٩٨٠)، ص ٨٦ ـ ٨٨.

(٣) **التقدم**، ١٩٢٩/٤/٥.

(٤) **التقدم**، ١٩٢٧/١/٧.

(٥) **التقدم**، ١٩٢٨/١٠/٤.

(٦) المصدر نفسه. لكن الحزب انتهى من الحياة السياسية بعد انتحار رئيسه عبد المحسن السعدون في ١٩٢٩/١١/١٣. انظر: لطفي جعفر فرج، **عبد المحسن السعدون ودوره في تاريخ العراق السياسي المعاصر**، سلسلة الأعلام المشهورين؛ ٥ (بغداد: [د.ن.]، ١٩٧٨)، ص ٣٤٥.

(٧) تأسس هذا الحزب في ٢٥ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٢٥، وقد ضمت هيئته المؤسسة كلاً من: ياسين الهاشمي، ومحمد رضا الشبيبي، وأحمد الشيخ داود، وفخري جميل، وثابت عبد النور، ومحمد رامز، ومزاحم الباجه جي، وعبد اللطيف الفلاحي. انظر: الحسني، **تاريخ الأحزاب السياسية العراقية: دراسة تاريخية متواضعة عن الأحزاب السياسية التي تكونت في العراق بين ١٩١٨ ـ ١٩٥٨**، ص ٩٤.

في المادة السادسة من منهجه، أنه ينشر من وقت لآخر المناهج التفصيلية التي سيسير عليها في تنفيذ مواده[٨]. فأعطته هذه الحرية في طرح ميثاقه الخاص بالعمل القومي الذي جاء فيه: «السعي لاستقلال العرب استقلالاً تاماً، وتوحيد خططهم وإزالة الخلافات بينهم، وعدم التعاون مع الأجنبي المعادي للوحدة، ومقاطعة بضائع الدول الاستعمارية، وإحلال البضائع المحلية محلها، والعمل على إشاعة فكرة الوحدة بين الشباب، وتوحيد العملة، وتوحيد المناهج التعليمية في البلاد العربية»[٩].

كما حدد الحزب الأسس التي يجب اتباعها لتحقيق الوحدة العربية[١٠]، وهي:

١ ـ توحيد الثقافة العربية.

٢ ـ تنمية الشؤون العسكرية العربية، والعناية بها وتطويرها.

٣ ـ تنمية قدرات العرب العمرانية.

كما طرح فكرة إنشاء «الجامعة العربية»، لأنها، بحسب رأيه، تعني: «التضامن والاتحاد ونبذ الخلافات وتكوين جبهة عربية متحدة ضد المستعمر»[١١]. كما دعا إلى إقامة «حلف عربي اقتصادي، لأنه جزء من الحركة القومية والمشروع الكبير ـ الوحدة العربية»[١٢]. ورفض الحزب بشدة محاولات الإنكليز لتثبيت حدوده بين العراق ونجد وشرق الأردن، لأن تلك المحاولات في حقيقتها، تحقيق لمصالح الاستعمار وتجزئة لأبناء الأمة الواحدة والعمل على إثارة النزاعات بين القبائل[١٣].

أما حزب العهد[١٤]، فلم يرد في منهجه ما يشير إلى الدعوة إلى الوحدة العربية، سوى ما جاء بمادته الثالثة: «بأن إحدى غاياته، هي إدامة وإنماء

---

(٨) انظر: المصدر نفسه، ص ٩٥ ـ ٩٦.
(٩) **نداء الشعب**، ١٩٢٨/٤/٢٦.
(١٠) **نداء الشعب**، ١٩٢٧/٧/٣.
(١١) **نداء الشعب**: ١٩٢٦/٣/٦، و١٩٢٦/٣/٧.
(١٢) **نداء الشعب**، ١٩٢٧/٧/٦.
(١٣) **نداء الشعب**، ١٩٢٧/١/٦.
(١٤) ألف نوري السعيد هذا الحزب في ١٩٣٠/١٠/١٤ ليشكل منه أغلبية برلمانية، وأراد من تسميته بالعهد أن يعيد إلى الأذهان نضاله ضد العثمانيين من أجل القضية العربية. لمزيد من التفاصيل، انظر: **صدى العهد**، ١٩٣٠/١٠/١٤.

العلاقات الحسنة مع البلاد العربية»[١٥]. إلا أن صحيفته **صدى العهد** دعت إلى العمل من أجل الوحدة العربية[١٦]. كما طرح فكرة عقد ميثاق عربي لتعزيز الروابط القومية، بالدرجة الأولى، للأسباب التالية[١٧]:

١ ـ التعامل بالمبادئ القومية، لأن العالم في عصر قوميات متشابكة.

٢ ـ لتحقيق التوازن في ما يطرح لبناء ميثاق شرقي بين إيران وتركيا وأفغانستان والعلاقات الدولية القائمة على ذلك.

أما نوع الدولة العربية، فكان الحزب المذكور يدعو إلى الدولة الاتحادية الفدرالية[١٨]. وتتحقق بشكل متدرج، تبدأ من قطرين كمشروع مفتوح للوصول إلى الاتحاد[١٩]. ولتحقيق هذه الفكرة دعا الحزب إلى الاتحاد بين سوريا والعراق[٢٠]. في الوقت ذاته طرح رئيس الحزب فكرة الحلف العربي، وسعى إلى تحقيقه بين العراق والأردن والسعودية واليمن، وضرورة إشراك سوريا وفلسطين في هذا الحلف[٢١].

لكن جميع جهود هذا الحزب ورئيسه كانت محط انتقاد الفئات والأحزاب الوطنية والقومية، لعلاقة رئيس الحزب الوثيقة ببريطانيا[٢٢].

ولم يخرج حزب الإخاء الوطني[٢٣]، في نظرته للوحدة العربية عن نظرة الأحزاب القطرية لها، فقد دعا إلى الاتحاد الكونفدرالي والوحدة الاتحادية، التي

---

(١٥) انظر نص منهج حزب العهد، في: الحسني، **تاريخ الأحزاب السياسية العراقية: دراسة تاريخية متواضعة عن الأحزاب السياسية التي تكونت في العراق بين ١٩١٨ ـ ١٩٥٨**، ص ١٠١.

(١٦) انظر: **صدى العهد**، ١٤/١٠/١٩٣٠.

(١٧) **الطريق**: ٢٥/٧/١٩٣٤، و٢٠/٨/١٩٣٤.

(١٨) **صدى العهد**: العددان ٦٤ و٦٥ (١٩٣٤).

(١٩) **صدى العهد**، ٢/١١/١٩٣٠.

(٢٠) **الطريق**، ٢٦/١١/١٩٣٤.

(٢١) **الطريق**: ١٧/٤/١٩٣٣، و٧/٥/١٩٣٣.

(٢٢) انتهى حزب العهد وزال من الوجود مثلما انتهت حياة الأحزاب البرلمانية الأخرى التي سبقته أو رافقته بعد أن انتفت حاجة قادتها إليها.

(٢٣) تأسس حزب الاخاء الوطني في ٢٠/١١/١٩٣٠ وضم عدداً من قادة حزبي الشعب والتقدم في مقدمتهم: ياسين الهاشمي ورشيد عالي الكيلاني ومحمد رضا الشبيبي. انظر: الحسني، **تاريخ الأحزاب السياسية العراقية: دراسة تاريخية متواضعة عن الأحزاب السياسية التي تكونت في العراق بين ١٩١٨ ـ ١٩٥٨**، ص ١٠٨.

تتحقق على مراحل. وتكون مرحلته الأولى، وحدة الأقاليم جغرافياً[٢٤]. لذلك اعتبر وحدة الهلال الخصيب نواة للوحدة العربية الكبرى[٢٥]، وأكد أن أبرز العوامل التي تعترض قيام هذه الوحدة، هي سياسة بريطانيا وفرنسا في المنطقة، والنعرات الطائفية والإقليمية[٢٦]، ولا بد من الوقوف بوجه ذلك من خلال:

١ ـ تأليف حزب سياسي قومي باسم الجامعة العربية.

٢ ـ التعاضد والتكاتف بين الزعماء القوميين، وتصفية أية مشاكل بينهم[٢٧].

٣ ـ اتخاذ خطوات عملية في طريق تحقيق وحدتها، ومنها: توحيد التمثيل الدبلوماسي وتوحيد القوات المسلحة العربية والثقافة العربية[٢٨].

مما تقدم يمكن اعتبار المشروع القومي الوحدوي لحزب الشعب أفضل المشاريع القومية التي طرحتها الأحزاب السياسية التي رافقته، فقد ربط بين الاستقلال التام والوحدة العربية، ولا بد من أن تسبق قيام الوحدة الخطوات العملية من توحيد ثقافي واقتصادي وعسكري وتنموي.

وفي الثاني من نيسان/ ابريل ١٩٤٦ أجيزت خمسة أحزاب سياسية، هي:

١ ـ حزب الاستقلال[٢٩].

٢ ـ الحزب الوطني الديمقراطي.

٣ ـ حزب الاتحاد الوطني.

٤ ـ حزب الشعب.

---

(٢٤) أكد الحزب أنه حدد غاياته «لتحقيق المثل الأعلى للملك فيصل، وهو الاتحاد العربي». انظر: ناجي شوكت، **سيرة وذكريات ثمانين عاماً، ١٨٩٤ ـ ١٩٧٤**، ط ٢ (بيروت: دار الكتب، ١٩٧٥)، ص ٦٥٠.

(٢٥) **البلاغ**، ٢٣/ ٨/ ١٩٣٣.

(٢٦) **الاخاء الوطني**: ٦/ ١/ ١٩٣٤، و٩/ ٩/ ١٩٣٤.

(٢٧) **الاخاء الوطني**، ٦/ ١/ ١٩٣٤.

(٢٨) لكن الحزب أوقف نشاطه في ٩/ ٤/ ١٩٣٥، مبرراً ذلك بأن البلاد بحاجة ماسة لتوحيد الجهد، لذلك دعا إلى نبذ التحزبات القديمة والاتحاد في جبهة واحدة تعضد الخطط الإصلاحية المنوي تطبيقها. انظر: عبد الرزاق الحسني، **تاريخ الوزارات العراقية**، ط ٧ (بغداد: المكتبة الوطنية، ١٩٨٨)، ج ٤، ص ١٠٢.

(٢٩) سندرس الاتجاه الوحدوي لحزب الاستقلال والأحزاب القومية في الفصل الرابع من هذا الكتاب.

٥ ـ حزب الأحرار[٣٠].

وخلال الفترة ١٩٤٩ ـ ١٩٥١ تأسست أحزاب الاتحاد الدستوري والأمة الاشتراكي والإصلاح، وهذا الأخير اندمج بحزب الأمة الاشتراكي عام ١٩٥١، كما تأسس حزب الجبهة الشعبية المتحدة[٣١].

فالحزب الوطني الديمقراطي دعا في منهجه إلى اتحاد فدرالي، وطالب بتقوية الجامعة العربية، لتحقيق أهدافها[٣٢]. لكنه أجرى تعديلاً على منهجه عام ١٩٥٢ ليصبح أن الحزب يعمل على تحقيق الاتحاد العربي، على أن تقرر (الشعوب العربية) نوع ذلك الاتحاد[٣٣].

وعوّل الحزب لتحقيق الاتحاد العربي على الوحدة الاقتصادية وإقامة الديمقراطية[٣٤]، فدعا إلى إقامة دولة فدرالية بين العراق ومصر وسوريا، عن طريق انبثاق حكومات ديمقراطية في هذه الأقطار[٣٥]. وحذر الحزب من المشاريع الاستعمارية (الوحدوية)، التي هي في حقيقتها غطاء لتفتيت وحدة العرب ودعا إلى مقاومتها، لذلك رفض مشروعي اتحاد العراق والأردن وسوريا الكبرى، لأن لبريطانيا يداً فيهما، وتسعى لإقامتهما خدمة لمصالحها[٣٦]، في حين أيد وحدة وادي النيل لأن فصل مصر عن السودان يعني تحويل السودان إلى مستعمرة بريطانية[٣٧].

أما منهج حزب الاتحاد الوطني، فقد دعا إلى توثيق الروابط القومية بين العراق والأقطار العربية الأخرى، وتوسيع مجال التضامن السياسي والتعاون الاقتصادي والثقافي في ما بينهما، وتأييد الأقطار العربية غير المستقلة في

---

(٣٠) الحسني، المصدر نفسه، ج ٧، ص ٢٠.

(٣١) المصدر نفسه، ج ٨، ص ٢٣ ـ ٤٨.

(٣٢) الحزب الوطني الديمقراطي، «منهج الحزب الوطني الديمقراطي ونظامه الداخلي،» (بغداد: ١٩٤٦)، ص ٢.

(٣٣) **صدى الأهالي**، ١٣/٥/١٩٥٢.

(٣٤) **صدى الأهالي**، ١٣/٢/١٩٤٨.

(٣٥) قاسم جميل قاسم، «الحزب الوطني الديمقراطي في العراق: دراسة سياسية اقتصادية اجتماعية،» (رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ١٩٧٣)، ص ١٩١.

(٣٦) فاضل حسين، **تاريخ الحزب الوطني الديمقراطي، ١٩٤٦ ـ ١٩٥٨** (بغداد: مطبعة الشعب، ١٩٦٣)، ص ٢٨٢ ـ ٢٨٤.

(٣٧) كامل الجادرجي، **مذكرات كامل الجادرجي وتاريخ الحزب الوطني الديمقراطي** (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٠)، ص ٣٣٥ ـ ٣٣٦.

نضالها من أجل تحقيق حريتها وسيادتها، ومكافحة الصهيونية باعتبارها خطراً يهدد الأقطار العربية، والعمل من أجل قضية فلسطين عن طريق استقلالها[٣٨].

لكن الحزب بعد عام من تأسيسه، طور نظرته من «التضامن» السياسي والاقتصادي والثقافي إلى «الاتحاد» بين الأقطار العربية «فالاتحاد بين البلاد العربية أمر ضروري، يقتضيه التطور التاريخي ومستلزمات الضرورات المادية، بل وتفرضه طبيعة كل العالم القائم على التآزر»[٣٩]. وأملت الصحيفة أن يسفر هذا الاتحاد عن الوحدة العربية المنشودة[٤٠].

وبالاتجاه نفسه أعلن منهج حزب الشعب «التعاون مع سائر البلدان العربية، لضمان خدمة كل منها، ورفع الحواجز المصطنعة بينها، وتوحيد الصلات بين الهيئات الشعبية والديمقراطية في البلاد، وتعاونها في سبيل تحقيق قوة حقيقية للجامعة العربية، تمكنها من الدفاع عن استقلال البلاد العربية والمحافظة على مصالحها الحيوية، ودفع الأخطار الاستعمارية عنها، ومن ضمنها الخطر الصهيوني»[٤١].

وما جاء بمنهج حزب الأحرار في القضايا القومية، لا يختلف عما جاء في منهجي الحزبين السابقين، حيث دعا إلى تعاون الدول العربية لتحقيق أهداف الجامعة العربية، والعمل على دعم الأقطار العربية غير المستقلة لتحقيق استقلالها، كما دعا إلى التعاون التجاري والاقتصادي بين الأقطار العربية[٤٢]، فيما وسع حزب الإصلاح هذا التعاون ليشمل أيضاً الجانب الثقافي والعسكري، بحيث يؤدي إلى الوحدة العربية الكبرى[٤٣].

ودعا حزب الاتحاد الدستوري إلى: «توثيق روابط الإخاء والتفاهم بين الدول والشعوب العربية، وذلك بوضع وتشجيع المشروعات التي تستهدف

---

(٣٨) حزب الاتحاد الوطني، «منهج حزب الاتحاد الوطني،» (بغداد: ١٩٤٦)، ص ٣.

(٣٩) **السياسة**، ١٩٤٧/٥/٢٦.

(٤٠) **السياسة**، ١٩٤٧/٥/٢٧.

(٤١) حزب الشعب، «المنهج والنظام الداخلي لحزب الشعب،» (بغداد: ١٩٤٦)، ص ٤.

(٤٢) حزب الأحرار، «منهج حزب الأحرار،» (بغداد: ١٩٤٧)، ص ٣. اقتصر نشاط هذا الحزب على السعي لتحقيق مشروع «سوريا الكبرى»، واعتبر الوحدة بين العراق والأردن الركيزة الأساسية لتنفيذ المشروع، مما يؤكد موالاته للأسرة الهاشمية الحاكمة. انظر: **الأحرار**: ١٩٤٦/١١/٢٩؛ ١٩٤٧/٣/١٨؛ ١٩٤٧/٣/١٩، و١٩٤٧/٤/١١.

(٤٣) حزب الإصلاح، «منهج ونظام حزب الإصلاح،» (بغداد: ١٩٤٩)، ص ٣.

تعزيز وتوسيع مختلف الصلات بين الدول والشعوب، وتكفل تقدمها وازدهارها وسيرها متحدة لاستعادة مجد الأمة العربية، وإنزالها المنزلة اللائقة بين أمم العالم المتمدن»[٤٤].

ودعا إلى تدعيم الجامعة العربية وترسيخ أسسها لأنها: «أداة تحقيق وحدتنا»[٤٥]، و«صورة مصغرة لأمنية العرب الكبرى للوحدة العربية»[٤٦]. وأيد مشروع الضمان العربي كونه قوة على الدول العربية الاستفادة منه[٤٧]. وأيد مشروع الاتحاد مع سوريا[٤٨] ومشروع الاتحاد مع الأردن[٤٩]. ومشروع ناظم القدسي عام ١٩٥٢، وقالت جريدة الحزب إن صياغة هذا المشروع كانت من أفكار نوري السعيد[٥٠].

والواقع أن هذا الحزب لم يكن سوى تكتل للعناصر البرلمانية المحافظة المؤيدة لنوري السعيد للوقوف بوجه معارضيه في البرلمان.

وبالاتجاه ذاته، دعا منهج حزب الأمة الاشتراكي[٥١] إلى «تنظيم العلاقات بين العراق والدول العربية على أساس اتحاد سياسي يشملها جميعاً، على أن يبدأ بالدول التي ترغب في الانضمام إليه، ويرى الحزب أن جامعة الدول العربية يجب أن تكون وسيلة لتحقيق هذا القصد»[٥٢].

بينما دعا منهج حزب الجبهة الشعبية المتحدة إلى «استكمال سيادة العراق، واستقلاله وتحريره من كل نفوذ أجنبي، ضمن جامعة عربية مكينة البنيان، تعمل على الذود عن مصالح الشعوب العربية، وتحقيق ما تصبو إليه في الحرية

---

(٤٤) حزب الاتحاد الدستوري، «المنهج الأساسي والنظام الداخلي،» (بغداد: ١٩٤٩)، ص ٤.

(٤٥) **الاتحاد الدستوري،** ٢٣/١١/١٩٥٢.

(٤٦) **العهد،** ١٨/١/١٩٤٩.

(٤٧) **الاتحاد الدستوري،** ٢٥/٣/١٩٥١.

(٤٨) **الوحدة،** ٢٧/٨/١٩٥١.

(٤٩) **العهد،** ١٨/١/١٩٤٩.

(٥٠) **الاتحاد الدستوري،** ٢١/٥/١٩٥٢.

(٥١) شكل صالح جبر حزب الأمة الاشتراكي في ٢٤/٦/١٩٥١، الذي كان يمثل العناصر المحافظة والإقطاعية، وهو اقترب كثيراً من موقف حزب الاتحاد الدستوري من الوحدة أو الاتحاد العربي، وفي إيمانه بقيادة العائلة الهاشمية لأي مشروع وحدوي.

(٥٢) حزب الأمة الاشتراكي، «منهج حزب الأمة الاشتراكي ونظامه الداخلي،» (بغداد: ١٩٥١)، ص ٣.

والاستقلال والاتحاد، وعلى صيانة عروبة فلسطين، التي هي جزء من البلاد العربية»[٥٣].

يبدو أن الحزب قد عوَّل على الجامعة العربية، ودورها في العمل المشترك لتحقيق الحرية والاستقلال والاتحاد. واعتبرت جريدة الحزب الوحدة العربية «أمنية قومية، وأن النضال في سبيلها هو الأساس الذي يستند إليه كفاحها ضد الاستعمار الجاثم على الأرض العربية»[٥٤].

أما في سوريا، فقد حدد منهج الكتلة الوطنية[٥٥] مشروعها القومي بتحرير سوريا (الشام) واستكمال سيادتها، وتحقيق وحدتها، وللبنان الحق في تقرير مصيره ضمن حدوده القديمة، والعمل على تحقيق الاتحاد بين الأقطار العربية شرط أن لا يحول دون بلوغ كل قطر الأهداف الواجب تحقيقها[٥٦].

والحقيقة أن بعض المؤرخين يذهبون إلى إدراج حزب «الكتلة الوطنية» ضمن التيار القومي العربي في سوريا[٥٧]. لكننا لم نجد في منهجه ونشاطه ما يعزز هذا الرأي، سوى ما جاء بمنهجه المذكور أعلاه، وهو ليس كافياً لإدراجه ضمن التيار القومي، بل إن مشروعه القومي هذا يوضح بشكل جلي قطرية هذا الحزب، فهو يدعو إلى وحدة سوريا دون لبنان من جانب ويؤكد على الأهداف القطرية، ويوجد تعارضاً بين الأهداف القومية والأهداف الوطنية الخاصة بكل قطر. إضافة إلى أن هذا التكتل ما لبث أن انشق إلى مجموعتين قطريتين،[٥٨]، هما الحزب الوطني وحزب الأحرار، وهذا الأخير لم يدم طويلاً.

---

(٥٣) الجبهة الشعبية، «ميثاق الجبهة الشعبية ونظامها الداخلي،» (بغداد: ١٩٥١)، ص ٣.

(٥٤) **الجبهة الشعبية**، ١٩٥١/٧/٢٩.

(٥٥) كانت بداية نشأة الكتلة الوطنية في بيروت عندما عقد الوطنيون السوريون القدامى مؤتمراً لهم في ١٩ تشرين الأول/اكتوبر ١٩٢٧، لكنها لم تأخذ شكلها التنظيمي إلا في مؤتمر حمص، الذي عقد في ٤ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٣٢، الذي أقر قانونها الأساسي ومنهجها. لمزيد من التفاصيل، انظر: عبد الرحمن الكيالي، **المراحل في الانتداب الفرنسي وفي نضالنا الوطني من عام ١٩٢٦ ـ حتى نهاية عام ١٩٣٩**، ٤ ج (حلب: مطبعة الضاد، ١٩٥٨ ـ ١٩٦٠)، ج ١، ص ٥٩ ـ ٦٤.

(٥٦) لم يوضح المنهج الأهداف الواجب تحقيقها في كل قطر، ويبدو أنه يقصد الأهداف الوطنية. انظر: محمد حرب فرزات، **الحياة الحزبية في سوريا: دراسة تاريخية لنشوء الأحزاب السياسية وتطورها بين ١٩٠٨ ـ ١٩٥٥** (دمشق: دار الرواد، ١٩٥٥)، ص ١١٦.

(٥٧) في هذا الصدد، انظر: شبلي العيسمي، **حزب البعث العربي الاشتراكي: مرحلة الأربعينات التأسيسية، ١٩٤٠ ـ ١٩٤٩**، ط ٦ (بغداد: ١٩٨٦)، ص ١٧ ـ ١٩.

(٥٨) فرزات، المصدر نفسه، ص ١١٧.

فالحزب الوطني[٥٩] ثبّت سياسته القومية في منهجه على أساس:

١ ـ أن العرب في أنحاء وطنهم كافة أمة واحدة، وأن السوريين جزء منها، وسياسة الحزب تقوم على هذا الأساس.

٢ ـ يسعى الحزب إلى تحرير سائر أجزاء الوطن العربي، واستكمال سيادتها، ويتضامن في هذا السبيل مع مختلف المنظمات والمراجع القومية.

٣ ـ يعمل الحزب على تمتين الروابط السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والتشريعية وغيرها بين أجزاء الوطن العربي، توصلاً لتحقيق غاياته القومية على الوجه الصحيح. والحزب يعتبر جامعة الدول العربية مؤسسة قومية يعلق عليها آمالاً كبيرة في الأهداف القومية، ويسعى لتقويتها وتعزيزها.

٤ ـ يقاوم الحزب كل نزعة أو سياسة أو حركة مخالفة لأماني الأمة العربية، ويعتبر الصهيونية حركة عدائية خطرة على الكيان العربي، فيسعى بكل الوسائل لمناهضتها، ويعمل على صيانة عروبة فلسطين وتحريرها[٦٠].

أما حزب الشعب[٦١]، فقد أعلن أن سياسته القومية قائمة على أن العرب أمة واحدة وكيان واحد، ويعمل الحزب على:

أولاً: إقامة اتحاد بين سوريا والأقطار العربية الأخرى.

ثانياً: اتخاذ الجامعة العربية وسيلة للعمل على توحيد السياسة الخارجية والتمثيل الدبلوماسي والجيوش ومناهج التعليم والسياسة الجمركية والاقتصادية

---

(٥٩) في ربيع عام ١٩٤٧ شكلت مجموعة منشقة من الكتلة الوطنية الحزب الوطني، الذي كان معقله دمشق، وأبرز أعضائه شكري القوتلي، وفارس الخوري، ولطفي الحفار، وصبري العسلي.

(٦٠) «منهج الحزب الوطني الديمقراطي ونظامه الداخلي،» نقلاً عن: ساطع الحصري، **العروبة بين دعاتها ومعارضيها** (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٥٢)، ص ١٦٣.

(٦١) الحقيقة أن العناصر القيادية في حلب التي انشقت من الكتلة الوطنية عام ١٩٣٩ شكلت حزباً باسم حزب الأحرار، لم يدم طويلاً، وفي عام ١٩٤٨ شكلت هذه العناصر حزب الشعب وكان أبرزهم: رشدي الكيخيا، وناظم القدسي، ومصطفى برمدا. انظر: Paul Y. Hammond and Sidney S. Alexander, eds., *Political Dynamics in the Middle East*, The Middle East: Economic and Political Problems and Prospects (New York: American Elsevier Pub. Co., [1972]), p. 247.

وهذا الحزب ليس حزب الشعب، الذي تأسس في حزيران/يونيو ١٩٢٥، والذي ضم عبد الرحمن الشهبندر، وفارس الخوري، وحسن الحكيم، وجميل مردم، وإحسان الجابري وغيرهم، على أساس الوحدة السورية والسيادة القومية، وأغفل برنامجه الوحدة العربية مع ميل واضح للمصالحة مع سلطة الانتداب مقابل سماحها له بممارسة نشاطه السياسي في العلن. لمزيد من التفاصيل، انظر: ذوقان قرقوط، **تطور الحركة الوطنية في سورية، ١٩٢٠ ـ ١٩٣٩** (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٥)، ص ٥٠.

والنقد، وإلغاء جوازات السفر، ومقاومة النفوذ الأجنبي في أي جزء من أجزاء الوطن العربي.

ثالثاً: فلسطين جزء لا يتجزأ من الوطن العربي، والعمل على مقاومة الصهيونية[٦٢]. كما يعمل الحزب على تنظيم وتوجيه الرأي العام نحو الأهداف العربية المشتركة، وذلك بإيجاد الاتصال بين الأحزاب السياسية العاملة على تحقيق تلك الأهداف[٦٣].

وفي ٢٣ تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩٤٨ دعا الحزب إلى اتحاد سوريا والعراق كوسيلة وحيدة قادرة على مجابهة التهديد الإسرائيلي[٦٤].

ومن أجل أن نقارن بين منهجي الحزب الوطني وحزب الشعب، لا بد من معرفة أن حزب الشعب كان المعبر عن مصالح كبار الملاك الزراعيين والتجار في مناطق حلب والشمال والوسط من سوريا[٦٥]، لذا نجده دعا إلى رفع قيود التجارة مع العراق[٦٦]. ومن ثم دعا إلى الاتحاد بين هذين القطرين لتحقيق مصالح مؤسسيه أكثر من مواجهة التهديد الإسرائيلي، كما جاء في دعوته، هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن هذا الحزب شكل قوة معارضة بوجه الحزب الوطني الذي كان يحكم سوريا، آنذاك[٦٧]. بالمقابل فإن الحزب الوطني لم يكن يمثل سوريا، بل دمشق بأضيق صورها[٦٨].

وظهرت أحزاب إقليمية، منها:

الحزب القومي الاجتماعي السوري[٦٩]، الذي رفض وجود أمة عربية،

---

(٦٢) «المنهج والنظام الداخلي لحزب الشعب،» نقلاً عن: الحصري، المصدر نفسه، ص ١٦٤.

(٦٣) باتريك سيل، **الصراع على سورية: دراسة للسياسة العربية بعد الحرب، ١٩٤٥ ـ ١٩٥٨**، ترجمة سمير عبده ومحمود فلاحة (بيروت: دار الكلمة، ١٩٨٠)، ص ٥١.

(٦٤) شفيق عبد الرزاق السامرائي، **حزب البعث العربي الاشتراكي ودوره في السياسة العربية منذ نشأته حتى الانفصال** (بغداد: ١٩٨٠)، ص ٢٣.

(٦٥) انظر: سيل، المصدر نفسه، ص ٥٠.

(٦٦) السامرائي، المصدر نفسه، ص ٢٤.

(٦٧) سيل، المصدر نفسه، ص ٥١.

(٦٨) المصدر نفسه، ص ٤٨ ـ ٤٩.

(٦٩) تأسس هذا الحزب عام ١٩٣٢ على يد زعيمه أنطون سعادة، واستند هذا الحزب في بناء ايديولوجيته إلى أفكار سعادة المتأثرة بالفاشية والنازية. لمزيد من التفاصيل، انظر: أنطون سعادة، **نشوء الأمم** (بيروت: مطبعة الاتحاد، ١٩٣٨)، وكل مؤلفاته الأخرى؛ لبيب زويا، **الحزب القومي الاجتماعي: تحليل وتقييم**، ترجمة ومناقشة ونقد جوزيف شويري (بيروت: دار ابن خلدون، ١٩٧٣)، وعبد الله حنا، **الاتجاهات الفكرية في سورية ولبنان، ١٩٢٠ ـ ١٩٤٥** (دمشق: دار التقدم العربي، ١٩٧٣)، ص ٧٠ ـ ٧٣.

وكان مشروعه «القومي» هو توحيد سوريا، التي تتكون في نظره من الأرض الواقعة على امتداد جبال طوروس في الشمال الغربي، وجبال البختياري في الشمال الشرقي، إلى قناة السويس والبحر الأحمر، شاملة شبه جزيرة سيناء وخليج العقبة، ومن البحر المتوسط في الغرب، شاملة قبرص إلى حدود الصحراء العربية والخليج العربي في الشرق[٧٠].

ومشروعه «القومي» يدعو في مبادئه إلى:

١ ـ سوريا للسوريين، والسوريون أمة تامة.

٢ ـ القضية السورية، هي قضية الأمة السورية والوطن السوري.

٣ ـ القضية السورية، هي قضية قومية قائمة بنفسها مستقلة كل الاستقلال عن أية قضية أخرى.

٤ ـ الأمة السورية، هي وحدة الشعب السوري المتولدة من تاريخ طويل يرجع إلى ما قبل الزمن التاريخي الجلي.

٥ ـ الوطن السوري هو البيئة الطبيعية التي نشأت فيها الأمة السورية، وهي ذات حدود جغرافية تميزت من سواها.

٦ ـ الأمة السورية مجتمع واحد.

٧ ـ تستمد النهضة السورية القومية الاجتماعية روحها من مواهب الأمة السورية وتاريخها الثقافي السياسي القومي.

٨ ـ مصلحة سورية فوق كل مصلحة[٧١].

أما بالنسبة للأقطار العربية الأخرى، فهي في نظره، غريبة عن «سوريا الطبيعية»، ورفض الحزب حقيقة وجود أمة عربية واحدة[٧٢]، زاعماً أن اللغة ليست من مقومات القومية، بتأكيده أن «عالم اللغة العربية ليس أمة واحدة تماماً، كما أن عالم اللغة الاسبانية، التي تنتشر في أمريكا الجنوبية، لم يشكل

---

(٧٠) لم يكن العراق وقبرص ضمن الوطن السوري الذي تكلم عليه سعادة، وإنما أضيفا بعد عودته من المهجر، للمرة الثانية، عام ١٩٤٧. انظر: أنطون سعادة، **مبادئ الحزب السوري القومي الاجتماعي وغايته** (بيروت: [الحزب]، ١٩٤٩)، ص ٧.

(٧١) المصدر نفسه، ص ٧ ـ ٩، وسعيد تقي الدين، **تبلغوا وبلغوا** (بيروت: دار الجيل الجديد، [١٩٥٥])، ص ١.

(٧٢) سعادة، المصدر نفسه، ص ٧.

منها أمة واحدة، وكذلك اللغة الانكليزية، لم تكوّن من كندا والولايات المتحدة وبريطانيا أمة واحدة»[٧٣]. ومن أجل أن يستند إلى مقومات للأمة الواحدة غير اللغة، فقد استند إلى وحدة البيئة الجغرافية ووحدة الوطن، «فالأمة تجد أساسها في وحدة أرض معينة تتفاعل معها جماعة من الناس وتشتبك وتتحد ضمنها»[٧٤]، وحتى مقوماته هذه لا تفسر لنا دمج قبرص بسوريا، وجعل الأولى جزءاً من «الأمة السورية».

وفي تفسيره للعلاقة التاريخية بين العرب وسوريا، فقد اعتبر أن العرب غزاةٌ (فاتحون)، إذ يقول: «فما كادت سوريا تعود إلى إثبات شخصيتها ومزاياها في عهد الإمبراطورية الرومانية حتى جاء الفتح العربي، الذي اقتضى تغيير لغتها، ثم جاء فتح المغول، الذي نكب البلاد وهدم دمشق، ثم أعقبه الفتح التركي القاهر»[٧٥]. ويعزز رأيه، هذا، بالقول: «إن الفتح العربي وتغيير لغة قوم ودينهم لا يلغيان وجود الأمة المغلوبة... غيّر الفتح العربي اللغة السريانية في البلاد والدين في غالبية السوريين، ولكن الثقافة السورية هي التي سيطرت على اللغة العربية، وبقي المجتمع السوري هو هو»[٧٦].

إن محاولة سعادة تفسير التاريخ بهذه الطريقة، واعتباره العرب «فاتحين» لسوريا، لن يبعد حقيقة التكوين العربي لسوريا، الذي امتد إلى زمن الهجرات القديمة، التي رسخت عروبة الوطن العربي، وعندما حمل العرب لواء الإسلام، في القرن السابع الميلادي، قام العرب بتحرير أجزاء الوطن العربي المحتل من قبل الإمبراطوريتين البيزنطية والساسانية، «فالجيش العربي لم يخرج جيش مقاتلة فحسب، وإنما كان خروجاً بشرياً قومياً.. شكلوا مع عرب الأراضي المحتلة مادة أولية لتعميم المجتمع الجديد»[٧٧].

وبسبب تنامي قوة التيار القومي العربي والحركة القومية العربية، خاصة في المشرق العربي، منذ منتصف الثلاثينيات من هذا القرن، لم يجد الحزب

---

(٧٣) حزب البعث العربي الاشتراكي، مكتب الثقافة والإعلام، «الأحزاب في سوريا،» ([د.م.: د.ت.])، ص ٥، مطبوع على الآلة الكاتبة.

(٧٤) زويا، **الحزب القومي الاجتماعي: تحليل وتقييم**، ص ١٢٧.

(٧٥) أنطون سعادة، **في أول آذار ١٩٣٨** (بيروت: [د.ت.])، ص ١٩.

(٧٦) المصدر نفسه، ص ٣٨.

(٧٧) نزار عبد اللطيف الحديثي، **مجموعة محاضرات في التاريخ** ([بغداد]: جامعة بغداد، ١٩٧٧)، ص ٧٩.

القومي السوري بُدأ من الاعتراف بقوة القومية العربية، لكن اعترافه ظل مبتوراً، فقد دعا إلى إنشاء «جبهة عربية»، تؤلف بين «أمم العالم العربي»، وتقوم على أساس المصالح المشتركة في ما بينهم[٧٨]. وحتى لا يفهم الحزب على غير حقيقته استدرك سعادة يقول: «إن اشتراك أمم العالم العربي في طلب الحرية والاستقلال لا يولد وحدة قومية، بل يولد وحدة اتجاه سياسي تظل قائمة ما دام هناك حاجة إليها. فإذا تم التحرر السياسي عادت كل أمة من هذه الأمم إلى حاجاتها ومصالحها الناشئة عن وحدة حياتها»[٧٩].

وكان سعادة يستغل كل فرصة للهجوم على العروبة ونعتها بأسوأ النعوت، فما ان وقعت النكبة عام ١٩٤٨، حتى استغل ظروف الإحباط الذي أصاب العرب، من أجل الترويج لدعوته في «القومية السورية»، حيث يقول: «لم يخامرني قط شك في أن العروبة قضية خاسرة في سوريا، مضيعة لكل مجهود تقوم به الأمة السورية لحفظ كيانها ووطنها وتحقيق مطاليبها في الحياة. وقد جزمت، بعد درس نفسية العروبة، نفسية القومية العربية، في أنها مرض نفسي شوه العقل السوري والإدراك والمنطق»[٨٠].

ويمضي سعادة بسبب نزعته الإقليمية، فيقول: «وقد أنبأت الأمة السورية بأضرار تلك العقلية العربية الوهمية والاتكالية، وشرحت في كتاباتي واقع العالم العربي، الذي هو واقع أمم ومجتمعات متقاربة يسهل تعاونها، وتشكيل جبهة تعاونية منها، لا واقع أمة واحدة ومجتمع واحد»[٨١]. وتبعاً لذلك أصبحت الوحدة العربية في نظر سعادة وهماً يحذر منه «الأمة السورية»، إذ يقول: «حذرت الأمة السورية من عاقبة الاستسلام لوهم الوحدة العربية، ومبالغات الأربعين أو الخمسين مليون عربي المذرورين على شواطئ القارتين»[٨٢].

والواقع أن الحزب القومي الاجتماعي السوري ونظرته للقومية، وأفكار زعيمه أنطون سعادة، مثلت مع مجموعة أحزاب أخرى تياراً إقليمياً لم يستطع، بالرغم مما حاول، كسب قواعد له، لكنه فشل في النهاية، وأخذ يتراجع عن

---

(٧٨) سعادة، المصدر نفسه، ص ٢٣.

(٧٩) أنطون سعادة، **أعداء العرب! أعداء لبنان** (بيروت: الحزب السوري القومي الاجتماعي، ١٩٤٩)، ص ٢١.

(٨٠) المصدر نفسه، ص ١٠٩ ـ ١١٢.

(٨١) المصدر نفسه، ص ١١٢ ـ ١١٣.

(٨٢) المصدر نفسه، ص ١١٣.

بعض مواقفه تلك في محاولة للاستمرار في العمل السياسي[(٨٣)].

وفي الاتجاه ذاته تأسس، في لبنان، حزب الكتائب عام ١٩٣٦، بدعم من الدولة المنتدبة (فرنسا)، الذي يؤكد على وجود «أمة لبنانية»، ويرفض وجود أمة عربية[(٨٤)]. وحاول بيار الجميل (زعيم الحزب) عزل لبنان عن محيطه العربي، بالقول: «لسان لبنان عربي، وهو عربي الجوار والمصلحة، لكن اللبنانيين ليسوا من العرق العربي. إننا نؤمن بوجود قومية لبنانية مساوية للقومية العربية، وإن ارتباطنا الايديولوجي بالقومية اللبنانية هو مصدر صراعنا مع القوميين العرب. إننا نؤمن بأن العرق اللبناني موجود كغيره من الأعراق الموجودة في أوروبا. إننا مثل الإيطاليين والإنكليز. إن عرقنا يتمتع بالمميزات الأساسية، مما يجعله مساوياً للأعراق الأخرى»[(٨٥)].

أما مقومات «القومية اللبنانية» في نظر هذا الحزب، فهي:

١ ـ الأرض، التي تؤهل لبنان لأن يكون صلة الوصل بين قارات العالم الثلاث، وليلعب دور الوسيط في تبادل الأفكار المادية والروحانية بينها. وهو وسيط إيجابي لا يستلم ولا يسلم إلا بعد أن يطبع تلك الأفكار بطابع مميز[(٨٦)]. وهنا لا بد من القول إن حزب الكتائب وقع بخطأين: **الأول** أن الأرض اللبنانية جزء لا يتجزأ من الوطن العربي، وبشكل أخصّ من المشرق العربي، فلا توجد أية حواجز طبيعية تفصل الأرض اللبنانية عن الأرض العربية. أما الخطأ **الثاني**، فإن الحزب لم يميز بين الأرض وأهمية الموقع، فهو يتحدث عن أهمية الموقع للبنان، الذي هو جزء من الموقع الجغرافي للوطن العربي الذي يكوِّن صلة الوصل بين قارات العالم الثلاث، لذلك كان الوطن العربي وسيطاً إيجابياً لنقل الأفكار العالمية والتأثير بها مثلما يتأثر بها، كما كان صاحب حضارة تليدة أثرت وتأثرت بحضارات العالم.

---

(٨٣) لمزيد من التفاصيل، انظر: وليد نويهض، «أنطون سعادة وتطور الفكر القومي الاجتماعي،» **دراسات عربية** (بيروت)، السنة ٩، العدد ٥ (آذار/مارس ١٩٧٣)، ص ٣٨. ويجدر بالذكر أنه قد طرأ تطور إيجابي على موقف هذا الحزب من الوحدة العربية بعد عام ١٩٥٢، وهذه الفترة خارج بحثنا.

(٨٤) مكتب التوثيق والتأليف في دار العمل، **تاريخ حزب الكتائب اللبنانية**، ٢ ج (بيروت: دار العمل، ١٩٧٩)، ج ١: **تاريخ حزب الكتائب اللبنانية، ١٩٣٦ ـ ١٩٤٠**، ص ١٨٣.

(٨٥) راشد حميد، «الكتائب اللبنانية: تاريخها، عقيدتها، تنظيمها،» **شؤون فلسطينية** (بيروت)، العدد ٤٦ (حزيران/يونيو ١٩٧٥)، ص ٢٢٢.

(٨٦) حازم صاغية، «حزب الكتائب اللبناني،» **السفير**، ٢٧/٤/١٩٧٥.

٢ ـ اللغة: ليس للبنان لغة خاصة، كما يعتقد هذا الحزب، وقد تكلم، في العصور الأخيرة، اللغة العربية، ولم يقتصر عليها، وقد عرف الفينيقية واليونانية والسريانية واللاتينية. فالعربية، في نظر هذا الحزب، وسيلة تعريب فعالة بينه وبين جيرانه من دون أن تفرض التوحد بينهما.

٣ ـ الأصل: يرى حزب الكتائب أن للبناني خصائص بارزة تتمثل في طموحه اللامحدود، الذي يحمله على السفر مجازفاً يطلب المال والعلى. فاللبناني خلف الفينيقي، في هذه الأرض، كما أنه قد جمع ما ورثه عن الفينيقيين، إرث سائر الشعوب التي تعاقبت بعده من «غزاة» ولاجئين وأنصار. فلا يعقل أن يكون اللبناني، إذن، فينيقياً وفينيقياً فقط أو عربياً وعربياً فقط[٨٧].

وهنا يوقع الحزب نفسه في الخطأ والتناقض في طروحاته، فهو يقول مرة إن العرق اللبناني موجود ومتميز، ويقول ثانية إن اللبنانيين خليط من الأقوام التي تعاقبت على غزوه.

٤ ـ التاريخ: إن الصلة بين حاضر «الأمة اللبنانية» وماضيها وثيقة من خلال شتى الوقائع التي توالت عليها. فمنذ العهود الأولى استماتت هذه الرقعة في الحفاظ على كيانها[٨٨].

والواقع أن هذه «المقومات» التي تبناها حزب الكتائب، ومن قبله الحزب القومي الاجتماعي السوري، وغيره من الأحزاب الإقليمية والقطرية العنصرية، كانت تنطلق بالأساس من خطأ مبني على وجود «حواجز وفجوات في واقع التكوين العربي» لتجد من خلاله مبررات تستند إليها في إنكار عروبة تلك الأجزاء من الوطن العربي.

وهكذا نلاحظ أن الكتائب بسبب طبيعتها الطائفية الإقليمية، التي شجعها الاستعمار الفرنسي للوقوف بوجه تيار القومية العربية، قد قامت، خلال فترة ما قبل الاستقلال (١٩٤٣)، بدور خطير في تكريس التجزئة والفرقة، من خلال محاولة عزل لبنان عن محيطه العربي، ويبدو أنها تخلت تدريجياً، بعد عام ١٩٤٣ وحصول لبنان على استقلاله، عن واقعها الماروني الانعزالي المتطرف، وقبلت بتعدد الطوائف كظاهرة من ظواهر مفهوم «القومية اللبنانية»، التي بقيت

---

(٨٧) المصدر نفسه.

(٨٨) المصدر نفسه.

مفهوماً «مارونياً» خلقه ونشره بعض الموارنة لمقاومة التيار القومي العربي(٨٩).

استمر حزب الكتائب في معاداته للقومية العربية والوحدة العربية، فقد رفض الدعوة إلى الوحدة الاقتصادية بين سوريا ولبنان، التي دعت إليها سوريا مطلع الخمسينيات، حيث يعلق بيار الجميل على تلك الدعوة، بالقول: «ولدى لبنان من الإمكانات الهائلة التي تتيح له أن يصبح من أغنى بلدان العالم، شرط أن يعرف كيف يستغل ثروته، مائية كانت أو غير مائية. وطبيعي أن ليس بالإمكان تحقيق شيء قبل أن نقر ماذا نريد: وحدة؟ أم استقلال؟، وإني أتحدى أكبر اختصاصي في علم الاقتصاد أن يظهر ما إذا كانت الوحدة الاقتصادية تؤدي حتماً ـ عاجلاً أو آجلاً ـ إلى الوحدة السياسية، ولهذا السبب نرفض رفضاً قاطعاً كل ما يسمونه وحدة»(٩٠).

وفي الاتجاه ذاته، صورت جريدة **العمل**، الناطقة بلسان هذا الحزب، في عدة مقالات، نشرت عام ١٩٥١، الوحدة على أنها «دعوة للنوم في غرفة واحدة»، ولبنان حريص أن ينام في غرفة مستقلة، واعتبرت الجريدة الواقع الراهن المجزأ للعرب عملية حتمية أزلية، حيث أثارت مسألة «تعدد اللهجات» في الأقطار العربية، حيث تقول: «حدود كل لهجة، هي ذاتها حدود كل دولة. . اللهجة ليست حدثاً طارئاً عابراً، ولكنها الشاهد على ذهنية بل وعنصرية بيئية تاريخية وجغرافية. فلماذا تختلف اللغات (ولنسمها اللهجات) بين دولة ودولة في «البلاد العربية» وفي «الشعب العربي»؟ من جهتنا لم يتسنَّ لنا برهان قاطع بعد انتهاء اتفاقية سايكس ـ بيكو، التي قسمت اللهجات ووزعتها وباينت ما بينها»(٩١).

واقترب من نظرة الكتائب حزب الكتلة الوطنية(٩٢) الذي ذكر زعيمه إميل

---

(٨٩) غازي فيصل غدير الراوي، «موقف الأحزاب اللبنانية من الوحدة العربية من ١٩٤٦ ـ ١٩٥٨»، (رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية، المعهد العالي للدراسات القومية والاشتراكية، ١٩٨١)، ص ٣١ ـ ٣٢.

(٩٠) رغيد الصلح، **لبنان على طريق المستقبل**، المفكر العربي (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٣)، ص ١٦.

(٩١) **العمل** (لسان حال الكتائب)، نقلاً عن: الحصري، **العروبة بين دعاتها ومعارضيها**، ص ٦٢.

(٩٢) شكل اميل إده حزب الكتلة الوطنية عام ١٩٤٣، إثر هزيمته في الانتخابات النيابية اللبنانية، وانضمت الطبقة العليا للطائفة المارونية لهذا الحزب. لمزيد من التفاصيل، انظر: كمال سليمان الصليبي، **تاريخ لبنان الحديث** (بيروت: دار النهار، ١٩٦٧)، ص ٢١٦ ـ ٢٤٦؛ بشارة خليل الخوري، **حقائق لبنانية، من ١٠ آب سنة ١٨٩٠ إلى ١٨ أيلول ١٩٥٢**، ٣ ج (بيروت: منشورات أوراق لبنانية، [١٩٦١])، ص ٨٤ ـ ١٩٠، وحمدي الطاهري، **سياسة الحكم في لبنان** (القاهرة: ١٩٧٤)، ص ٢٩١ ـ ٢٩٦.

إدّه، أن «لا علاقة ولا صلة له بالشرق، وأنه وجميع الموارنة في تفكيرهم ولغتهم غربيون»[٩٣]. وجاءت مبادئ هذا الحزب تعبيراً عن هذا الاتجاه، وذلك بـ «تعزيز كيان لبنان والمحافظة على سيادته وشخصيته المتميزة»[٩٤]. كما «أن لبنان لجميع أبنائه، وأن جميع اللبنانيين أمة لبنانية واحدة، وأن قيام الدولة اللبنانية، ودعامة استقلالها وسيادتها مستمدان من إيماننا الصحيح القوي بكيان لبنان واستمرار لبنان ومستقبل لبنان، وهذا الإيمان ينزل الوطن في نفس المواطن منزلة القدسية»[٩٥]. و«أن لبنان، أمة لبنانية، ذات شخصية مستقلة، أما لبنان بصفته واقعاً في الشرق العربي، وداخلاً في الجامعة العربية، فهو دولة عربية ذات شخصية متميزة»[٩٦].

فالكتلة الوطنية تهدف إلى المحافظة على كيان لبنان واستقلاله عن الوطن العربي، لكن هذا الحزب بدأ، بعد قيام الكيان الصهيوني وبروز أطماعه التوسعية، يقر بضرورة التعاون بين لبنان والأقطار العربية من خلال رابطة الجوار والمصالح المتبادلة[٩٧].

وظهر تيار ماروني عرف بنظرته الإيجابية للعروبة. فقد ذكر حزب الاتحاد الدستوري[٩٨] «أن لبنان جزء من الشرق العربي، شئنا أو أبينا، له ميزاته الخاصة وامتيازاته الخاصة وتفوقه الخاص. وإذا أردنا أن نخلص له ونحافظ عليه فعلينا أن نبقيه في مداره الطبيعي، وأن نكمل رسالته الطليعية بين شقيقاته العربيات»[٩٩].

وللوقوف بوجه التيار الانعزالي وتأكيد دور العروبة والإسلام في بقاء لبنان، فقد شكلت أحزاب سياسية لبنانية عربية، منها حزب النجادة[١٠٠] الذي أوضح أن «لبنان قطر عربي مستقل، عضو في الجامعة العربية، والعرب أمة

---

(٩٣) الخوري، المصدر نفسه، ص ٨٤.

(٩٤) الطاهري، المصدر نفسه، ص ١٨٥.

(٩٥) النادي الثقافي العربي، **القوى السياسية في لبنان** (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٠)، ص ٤٧.

(٩٦) المصدر نفسه، ص ٥١.

(٩٧) المصدر نفسه، ص ٤٩ ـ ٥١.

(٩٨) تأسس هذا الحزب عام ١٩٣٤ برئاسة بشارة الخوري. لمزيد من التفاصيل، انظر: Nicola A. Ziadeh, *Syria and Lebanon* (Beirut: Librairie du Liban, [1968]), p. 195.

(٩٩) النادي الثقافي العربي، المصدر نفسه، ص ١٢١.

(١٠٠) تأسس هذا الحزب عام ١٩٣٦، بتشجيع من المجلس الاستشاري الإسلامي في لبنان. لمزيد من التفاصيل، انظر: الصليبي، **تاريخ لبنان الحديث**، ص ٢٥٦.

واحدة، والقومية العربية هي المحتوى الثقافي والأخلاقي والروحي والعلمي لتراث العرب الحضاري، على امتداد القرون حتى اليوم، وهي فوق كل عصبية قطرية أو عنصرية، إذ انها ذات طابع إنساني خالص»[١٠١]. ورفع الحزب شعار «بلاد العرب للعرب»[١٠٢]، وطريق الوحدة يقوم أساساً على استقلال كل بلد بإدارة شؤونه الداخلية، ثم توحيد السياسة الخارجية والدفاع وبرامج التعليم، ووضع سياسة اقتصادية موحدة[١٠٣].

وعلى غرار حزب النجادة تأسس حزب الهيئة الوطنية[١٠٤]، وقدم نفسه على أنه «حزب لبناني عربي سياسي اجتماعي، يحرص على كيان لبنان واستقلاله وسيادته ضمن حدوده، ويؤمن بعروبته، ويرى أن طابعه الخاص، ضمن المجموعة العربية، لا يلزمه بالانكماش والانعزال، بل يحتم عليه دوراً طليعياً وسعياً دائباً وراء التفاهم العربي، تحقيقاً لتعاون غير محدود، وذلك تجاوباً مع المصلحة اللبنانية والشعور الوطني»[١٠٥].

ورفض الحزب الدعوات التي تشكك بعروبة لبنان، بقوله: «ان لبنان عربي القلب والوجه واللسان، فتاريخه جزء من تاريخ الأمة العربية، وطبيعته الجغرافية مرتبطة بمصالح إخوانه العرب، لذلك ستذهب سُدىً كل المخططات الاستعمارية الهادفة إلى خلق قومية لبنانية مصطنعة مستقلة عن القومية العربية بقصد سلخ لبنان عن المجموعة العربية، وزجه في أتون الانعزال»[١٠٦].

ويعترف الحزب، كسائر الأحزاب القطرية اللبنانية، بأن كيان لبنان واقع نهائي، فالهيئة الوطنية «تؤمن بالتعاون العربي اللامحدود، ونحن كيانيون في الفترة الحاضرة، لأننا واقعيون»[١٠٧].

وأسس حزب آخر هو «النداء القومي» عام ١٩٤٣ دعا في أول أهدافه

---

(١٠١) الطاهري، **سياسة الحكم في لبنان**، ص ٢٦٠.

(١٠٢) المصدر نفسه.

(١٠٣) يوسف خوري، معد، **المشاريع الوحدوية العربية، ١٩١٣ - ١٩٨٧: دراسة توثيقية** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٨)، ص ٥٨٦، وسامي ذبيان، **الحركة الوطنية اللبنانية: الماضي والحاضر والمستقبل من منظور استراتيجي** (بيروت: دار المسيرة، ١٩٧٧)، ص ٣٢٥.

(١٠٤) تأسس هذا الحزب عام ١٩٥٠، ومثل البرجوازية المسلمة، وانحصر نشاطه في صفوف الطبقة الوسطى. لمزيد من التفاصيل، انظر: النادي الثقافي العربي، **القوى السياسية في لبنان**، ص ٢٨٥.

(١٠٥) المصدر نفسه.

(١٠٦) المصدر نفسه، ص ٢٨٦.

(١٠٧) المصدر نفسه.

إلى «إيضاح الفكرة العربية ونشرها داخل البلاد اللبنانية، بحيث تصبح قاعدة لسياسة الدولة»[١٠٨]. كما تأسس الحزب التقدمي الاشتراكي عام ١٩٤٩، وكان يؤمن بلبنان وباستقلاله، وشرط عروبة لبنان ببقاء كيانه واستقلاله[١٠٩]. فظل الحزب قطرياً في فكره ونشاطه، فهو يؤمن بأن الجامعة العربية هي أفضل ما يمكن أن يقوم عليه العمل العربي والقومي، وقد أوضح زعيمه، كمال جنبلاط، ذلك بقوله: «لذا كنا ولا نزال ـ مع ترحيبنا بقيام كل تعاون أو ارتباط عربي جديد بين الدول العربية ـ نؤثر بقاء الارتباط القديم وتدعيمه، بالعودة بشكل صريح إلى الجامعة العربية وإلى التضامن العربي النظري والفعلي، وإقرار عدم التدخل في الشؤون الداخلية»[١١٠].

وفي خضم التطورات السياسية التي شهدتها فلسطين، ظهرت أحزاب وتكتلات سياسية انشقت عن الحركة القومية والوطنية، وانحرفت عن التيار القومي الداعي إلى الاستقلال وتحقيق الوحدة العربية، فكانت قطرية فكراً وسلوكاً[١١١]، وكان أبرزها الجمعيات الإسلامية ـ المسيحية[١١٢]. وقد حددت هذه الجمعيات غاياتها السياسية، في السعي «للاستقلال والاتحاد العربي والدفاع عن حقوق العرب[١١٣] وأماكنهم المقدسة من الوجهات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وبذل الجهود لسلامة العرب بطرق سلمية مشروعة، والعمل على إنهاض العرب من وجهة معنوية ومادية»[١١٤].

---

(١٠٨) باسم الجسر، **ميثاق ١٩٤٣، لماذا كان وهل سقط؟** (بيروت: دار النهار، ١٩٧٨)، ص ٧٥، والطاهري، **سياسة الحكم في لبنان**، ص ٢٨٩.

(١٠٩) لمزيد من التفاصيل، انظر: كمال جنبلاط، **في مجرى السياسة اللبنانية: أوضاع وتخطيط** (بيروت: دار الطليعة، ١٩٥٨)، ص ٨٦.

(١١٠) المصدر نفسه، ص ١٥٤.

(١١١) محمد أحمد خلف الله، **فلسطين والانتداب البريطاني، ١٩٢٢ ـ ١٩٣٩**، سلسلة كتب فلسطينية؛ ٥٣ (بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، ١٩٧٤)، ص ٢٢٧ ـ ٢٣١.

(١١٢) تأسست أول جمعية في ٨ آذار/مارس ١٩١٨، ووضعت منهجها ونظامها في القدس في كانون الثاني/يناير ١٩١٩، وصادقت عليه السلطة العسكرية البريطانية، وتعتبر من أنشط الجمعيات الإسلامية ـ المسيحية، التي بلغ عددها خمس عشرة جمعية في كل أنحاء فلسطين، والتي نشطت في تقديم المذكرات إلى سلطة الانتداب، وانحصرت أهدافها في: إنشاء الحكم الذاتي، الوقوف ضد إقامة وطن قومي لليهود، وضد الهجرة الصهيونية إلى فلسطين. لمزيد من التفاصيل، انظر: الحوت، **القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين، ١٩١٧ ـ ١٩٤٨**، ص ٨١.

(١١٣) يقصد بكلمة «العرب» أينما وجدت في منهج هذه الجمعيات، عرب فلسطين فقط.

(١١٤) **الجامعة العربية** (القدس)، ٢/٩/١٩٣١، نقلاً عن: الحوت، المصدر نفسه، ص ٨١.

يؤخذ على هذه الجمعيات مأخذان، هما: أن الحاكم الإداري البريطاني لمنطقة نابلس (بيلي) هو الذي حدد غايات هذه الجمعيات، وأن الإنكليز يشجعون هذه الجمعيات، بحجة ظاهرية، هي أنهم من الكارهين لليهود[115]. لكن الحقيقة، هي اتخاذ هذه الجمعيات مجالاً لامتصاص نقمة العرب من جهة، واعتبارها إحدى ظواهر «الديمقراطية» في البلاد، وشق الحركة الوطنية والقومية وإضعافها، من خلال خلق مثل هذه المؤسسات السياسية من جهة أخرى.

أما الحزب الحر الفلسطيني في يافا (١٩٢٧) فقد اختصرت أهدافه السياسية في السعي لاستقلال فلسطين التام «بتحقيق الأماني الوطنية والسيادة القومية، والدفاع عن الحرية الشخصية بأنواعها، والسير بالبلاد نحو وحدة قومية اجتماعية»[116]. وعلى الصعيد القومي كانت أبرز أهدافه إسقاط مطلب الوحدة العربية، بل أصر على عدم وجود أية صلة أو اشتراك بينه وبين الأحزاب السياسية في الأقطار العربية الأخرى، كما لم يرد صراحة، في دستوره أو بياناته، إسقاط وعد بلفور[117]. وعلى الصعيد العملي كان قادة الحزب يتعاونون مع السلطة الانتدابية، لذلك لم يعمر الحزب طويلاً[118].

أما حزب الإصلاح العربي الفلسطيني الذي تأسس عام ١٩٣٥، فعلى الرغم من السمة القطرية فيه، واهتمامه بقضيته الوطنية، فقد ركز على أهمية العلاقات مع الدول العربية، ومن أهدافه أن تصبح فلسطين عضواً في دولة عربية فدرالية[119].

واتخذ حزب الكتلة الوطنية الذي تأسس عام ١٩٣٥ أيضاً، الموقف ذاته، فأكد على السعي لاستقلال فلسطين السياسي التام، والمحافظة على عروبتها بجميع الطرق السياسية[120].

وفي شرق الأردن، فإن أبرز الأحزاب القطرية كانت: حزب الشعب

---

(١١٥) المصدر نفسه.

(١١٦) «الحزب الحر الفلسطيني: دستوره ونظامه الداخلي،» (١٩٢٧)، نقلاً عن: منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، **وثائق الحركة الوطنية** (بيروت: [د.ت.])، ص ٤٧، وثائق محفوظة.

(١١٧) الحوت، المصدر نفسه، ص ١٩٢ ـ ١٩٥.

(١١٨) المصدر نفسه، ص ١٩٥.

(١١٩) عبد الوهاب الكيالي، **تاريخ فلسطين الحديث** (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٠)، ص ٢١٤.

(١٢٠) منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، **وثائق الحركة الوطنية**، ص ٢٣.

وهو أول حزب قطري تأسس هناك[١٢١]، وجاء في أهدافه: تأكيد وحدة التراب العربي، والاعتراف بقيادة الهاشميين للعرب[١٢٢]، لذا دعا إلى استقلال الأردن، وإعادة توحيد سوريا الكبرى[١٢٣].

أما حزب التضامن الأردني[١٢٤]، فلم يكن له برنامج واضح، وكانت تغلب عليه النظرة الإقليمية الانعزالية. فقد كان يهدف منذ تأسيسه إلى إحلال الأردنيين محل العرب (السوريين والفلسطينيين) في الوظائف الحكومية، كما عارض منح الجنسية الأردنية لأي شخص لم يقم في الأردن قبل عام ١٩٢٢. وكان شعاره «الأردن للأردنيين»، وكان الهدف من هذا الشعار هو الحد من نشاط ونفوذ المواطنين العرب، الذين تولوا إدارة البلاد في بداية تأسيس الإمارة، والذين أطلق عليهم اسم «الطارئين»[١٢٥]، إضافة إلى النزعة العشائرية التي كان يتصف بها قادة الحزب ومؤسسوه، والتأثيرات الأجنبية (البريطانية) التي كانت واضحة في توجهات الحزب[١٢٦]. أما الحزب العربي الأردني، فلم يرد في برنامجه عن العمل القومي سوى: العمل بإخلاص ضمن إطار ميثاق الجامعة العربية والولاء المخلص له[١٢٧].

---

(١٢١) أعلن عن تأسيس حزب الشعب رسمياً في آذار/مارس ١٩٢٧، وهو أول حزب يؤسسه سكان الأردن فقط، من دون مشاركة من العرب من غير الأردنيين، وكانت الصفة الغالبة على أعضائه هي كونهم شيوخ عشائر وكبار التجار وعدداً من الأعيان ووجهاء البلد، ويبدو أنه كان موالياً للأسرة الهاشمية. لمزيد من التفاصيل، انظر: عبد الله نقرش، **التجربة الحزبية في الأردن** (عمان: ١٩٩١)، ص ٣٥٠ ـ ٣٥٥.

(١٢٢) رناد الخطيب عياد، **التيارات السياسية في الأردن ونص الميثاق الوطني الأردني** (عمان: المؤلفة، ١٩٩١)، ص ٣٠.

(١٢٣) أمين عواد مهنا بني حسن، «تقييم الأحزاب والتنظيمات السياسية في الأردن،» **مجلة مؤتة**، العدد ٤ (١٩٩٢)، ص ٦٩، نقلاً عن: خليل حنش سوادي الحمداني، «الأحزاب السياسية في الأردن: دراسة تاريخية للفترة ١٩٢٨ ـ ١٩٥٧،» (رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية التربية ـ ابن رشد، ١٩٩٤)، ص ٥٢.

(١٢٤) تأسس هذا الحزب في آذار/مارس ١٩٣٣. انظر: علي محافظة، **تاريخ الأردن المعاصر: عهد الإمارة، ١٩٢١ ـ ١٩٤٦**، ط ٢ (عمان: مركز الكتب الأردني، ١٩٨٩)، ص ٨١.

(١٢٥) عياد، **التيارات السياسية في الأردن ونص الميثاق الوطني الأردني**، ص ٣١ ـ ٣٢.

(١٢٦) المصدر نفسه، ص ٣٧ ـ ٣٨.

(١٢٧) تأسس هذا الحزب في حزيران/يونيو ١٩٤٦ برئاسة الدكتور صبحي أبو غنيمة، المعروف بدوره الوطني ومساندة القضية الفلسطينية، ورفضه لوعد بلفور، لكن ملاحقة الحكومة لأعضاء الحزب واعتقالهم أضعف دوره، وانتهى رسمياً عام ١٩٤٧. لمزيد من التفاصيل، انظر: المصدر نفسه، ص ٣٤.

أما في مصر، فإن في مقدمة الأحزاب القطرية هو حزب الوفد، الذي استخلص زعيمه سعد زغلول بأن فكرة الوحدة العربية معادلة صعبة وفاشلة، فكان يردد دائماً أن «صفراً زائد صفر يساوي صفراً، فكيف نقيم وحدة عربية وبلادنا ما زالت محتلة، فلا بد من الاستقلال أولاً ثم الالتفات والاهتمام، بعد ذلك، بما هو خارج حدودنا»(١٢٨).

وعلى الرغم من تركيزه على استقلال مصر أولاً، فإنه لم يتصور استقلال مصر من دون السودان. ففي حديث أجرته معه صحيفة المانية، في حزيران/يونيو ١٩٢٤، قال: «لا يمكن القول ان مصر حرة من دون السودان. . . ذلك أن امتلاك السودان معناه حكم مصر. . . إن لانكلترا بالسودان وسيلة للضغط تستطيع بها أن تخنق كل رأي سياسي يدلي به الشعب المصري»(١٢٩).

بيد أن موقف الوفد، منذ بداية الثلاثينيات من القرن العشرين، بدأ يتغير لصالح القضايا العربية. ففي عام ١٩٣٠، ألقى سكرتير عام الوفد مكرم عبيد خطبة خلال زيارته إلى فلسطين، جاء فيها(١٣٠): «لا خلاص للشرق إلا بالاتحاد والتعاون والتعاضد، ولا تحسبوا أن الوفد ورجاله من مجددي الفكرة الفرعونية، فمصر عربية تربطها والبلاد الشقيقة روابط الدين والقومية واللغة والجوار، لهذا فإنني هنا فلسطيني، كما أن الفلسطيني في مصر، مصري، وكلنا أبناء بلد واحد وعشيرة واحدة»(١٣١). وكتب عبد الرحمن عزام، أحد قادة الحزب، عام ١٩٣٢، مقالاً بعنوان: «العرب أمة المستقبل»، طالب فيه العرب،

---

(١٢٨) عايدة سليمة، **مصر والقضية الفلسطينية** (القاهرة؛ باريس: ١٩٨٦)، ص ٢٤. وقد تأسس هذا الحزب في أيلول/سبتمبر ١٩١٨ في القاهرة. لمزيد من التفاصيل عن حزب الوفد ومسيرته وسياسته، انظر: جلال يحيى وخالد نعيم، **الوفد المصري، ١٩١٩ ـ ١٩٥٢** (الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، ١٩٨٤).

(١٢٩) نقلاً عن: طارق البشري، «مصر في إطار الحركة العربية،» **المستقبل العربي**، السنة ١، العدد ٢ (تموز/يوليو ١٩٧٨)، ص ٧٩.

(١٣٠) عواطف عبد الرحمن، **الصحافة الصهيونية في مصر، ١٨٩٧ ـ ١٩٥٤: دراسة تحليلية** (القاهرة: دار الثقافة الجديدة، [١٩٧٧؟])، ص ٢٤.

(١٣١) اقترن موقف عبيد هذا بمواقف وفدية عديدة استجابت للمشاعر الإسلامية والقومية، خاصة إزاء ما كان يحدث في فلسطين في أوائل الثلاثينيات، فقد حضر ممثلون عن الوفد المؤتمر الإسلامي العام الذي عقد في القدس عام ١٩٣١، كما اشترك في المؤتمر العربي الذي عقد بعده، وتبنى في المؤتمر الأول وجهة النظر الدينية الإسلامية، فيما تبنى في المؤتمر الثاني وجهة النظر العربية. لمزيد من التفاصيل، انظر: طارق البشري، **الحركة السياسية في مصر، ١٩٤٥ ـ ١٩٥٢** (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢)، ص ٢٤١ ـ ٢٤٣.

بالعمل بكل ما لديهم من قوة، من أجل تحقيق الوحدة بينهم ونيل استقلالهم السياسي. وشدد على عوامل الوحدة التي تجمعهم من ماضٍ مجيد ودين ولغة مشتركة وثروات دفينة غنية ومزايا عظيمة كالذكاء والشجاعة والإقدام، وأكد أن تجزئة العرب هي ثمرة الجهل والاحتلال الأجنبي(١٣٢).

لقد أسهمت التطورات السياسية في الوطن العربي، وبخاصة القضية الفلسطينية وثورة الشيخ عز الدين القسام في فلسطين عام ١٩٣٥، في دفع الوفد إلى تطوير موقفه من القضايا القومية والوحدة العربية. وما يعزز ذلك تصريحات مصطفى النحاس، أمين عام الحزب، في العاشر من تشرين الثاني/ نوفمبر عام ١٩٣٨، التي جاء فيها: «إن على حدود مصر الشرقية شعباً باسلاً أبياً يستشهد في الدفاع عن ذماره والذود عن دياره، هو شعب فلسطين الشقيق، إخواننا في الجنس والدين، غرر بهم الإنكليز بالوعود الكاذبة في الحرب العظمى، ثم أخلفوهم ما وعدوا، وباعوهم للصهيونية، لتتخذ من بلادهم وطناً قومياً وهم كارهون، بل لم يتورعوا في التنكيل بهم في انتهاك حرمة الأماكن المقدسة، في غير مبالاة بشعور المسلمين(١٣٣). ودعا النحاس إلى أن يتولى شعب فلسطين وحده حق تقرير مصيره، كما دعا الأقطار العربية إلى تكوين جبهة متحدة لمناهضة الاستعمار(١٣٤).

في حين دافع مكرم عبيد عن عروبة مصر، التي تجد أساساً لها في الجهاد من أجل الحرية، وفي ما يجمع بينها وبين الأقطار العربية من روابط اللغة والتقاليد والخصائص الاجتماعية الأساسية، وأكد أن الوحدة العربية موجودة، لكنها في حاجة إلى تنظيم، والغرض من التنظيم إيجاد جبهة تناهض الاستعمار وتحفظ القوميات، وتوفر الرخاء، وتنمي الموارد الاقتصادية، وتشجع الإنتاج المحلي، وتزيد المنافع وتنسيق المعاملات. وطالب بأن تصير البلاد العربية «جامعة وطنية واحدة»، أو وطناً كبيراً تتفرع منه عدة أوطان، لكل منها شخصيته، لكنه في خصائصه القومية العامة، متحد متصل اتصالاً قوياً بالوطن الأكبر(١٣٥).

إن ما كتبه عبيد، بشكل خاص، يمثل تطوراً في تفكير الوفد ومواقفه

---

(١٣٢) عبد الرحمن عزام، «العرب أمة المستقبل،» **العرب** (القدس) (٧ آب/أغسطس ١٩٣٢).

(١٣٣) نقلاً عن: البشري، «مصر في إطار الحركة العربية،» ص ٨٣.

(١٣٤) المصدر نفسه.

(١٣٥) مكرم عبيد، «المصريون عرب،» **الهلال** (القاهرة) (نيسان/ابريل ١٩٣٩)، ص ٣٨.

من النزعة القطرية الخالصة من أي أثر للنزعة القومية أو الإسلامية عام ١٩١٨، إلى أن يصبح تحت ضغط الحركة الوطنية في مصر، والقضية الفلسطينية، وتأثير الحركة القومية العربية في الأقطار العربية الأخرى، خاصة المشرق العربي، ودعوات المشاريع الوحدوية العربية، ذا منحى عربي إلى درجة أن سكرتير عام الحزب اعتبر الخطر الصهيوني في فلسطين خطراً على مصر ذاتها.

وعلى غرار الوفد انتهج حزب الأحرار الدستوري نهجاً قطرياً[١٣٦]. ولم يبد طوال العشرينيات أي اهتمام بالقضايا العربية أو تعاطف معها، بل أظهر عكس ذلك[١٣٧]. لكن الحزب بدأ ينحو منحى لصالح القضايا العربية منذ ثورة عام ١٩٣٦ في فلسطين، وعكست ذلك رسالة زعيم هذا الحزب، في الثاني من أيلول/سبتمبر ١٩٣٦، إلى رئيس اللجنة العربية، محمد أمين الحسيني، التي أعلن فيها تضامن أبناء مصر ومشاركتهم أبناء فلسطين في رفض تجزئة وتمزيق فلسطين، كما أعلن، باسم أبناء مصر الذين يؤيدون الفكرة العربية والإسلامية، مؤازرة الحق الفلسطيني العادل[١٣٨]. كما أبدى الحزب تأييده لإنشاء الجامعة العربية، التي اعتبرها وسيلة للوقوف بوجه الخطر الصهيوني[١٣٩].

أما المشروع القومي لحزب مصر الفتاة[١٤٠]، فقد نص برنامجه على أن

---

(١٣٦) تأسس حزب الأحرار الدستوري في ٢٥ تشرين الأول/اكتوبر ١٩٢٠، وقد مثل البرجوازية المصرية الكبيرة. لمزيد من التفاصيل، انظر: حزب البعث العربي الاشتراكي، لجنة تاريخ الحزب، «أضواء على نضال حزب البعث العربي الاشتراكي،» (بغداد: [د.ت.])، ج ١، ص ١١٦، مطبوع على الآلة الكاتبة؛ علي الدين هلال، **السياسة والحكم في مصر: العهد البرلماني، ١٩٢٣ ـ ١٩٥٢** (القاهرة: مكتبة نهضة الشرق، ١٩٧٧)، ص ١٩٣ ـ ١٩٤، وأحمد عبد الرحيم مصطفى، **تاريخ مصر السياسي من الاحتلال إلى المعاهدة**، المكتبة التاريخية (الإسكندرية: دار المعارف، ١٩٦٧)، ص ١٤٠ ـ ١٤٤.

(١٣٧) فقد وقفت حكومة الأحرار الدستوريين ضد ثورة البراق عام ١٩٢٩ في فلسطين، واستنكرت صحيفة الحزب **السياسة** مقاومة الشعب الفلسطيني ضد الاستعمار البريطاني وضد الاعتداءات الصهيونية (عنف). لمزيد من التفاصيل، انظر: سليمة، **مصر والقضية الفلسطينية**، ص ٩١، وأنيس صايغ، **الفكرة العربية في مصر** (بيروت: هيكل الغريب، ١٩٥٩)، ص ٢٤٢ ـ ٢٤٦.

(١٣٨) سليمة، المصدر نفسه، ص ٩١.

(١٣٩) المصدر نفسه، ص ٩٢.

(١٤٠) تأسس حزب مصر الفتاة، في مصر عام ١٩٣٣ على يد زعيمه أحمد حسين، وفي عام ١٩٤٠ غير اسمه إلى الحزب الوطني الإسلامي. ويرى البعض أن تغيير الحزب لاسمه كان يهدف منه طرح نفسه كمنافس لحركة الإخوان المسلمين في الزعامة الجماهيرية في مصر، وفي عام ١٩٤٨ غير اسمه ثانية إلى حزب مصر الاشتراكي، واتخذ في التغيير الأول شعار «الله، الوطن، الملك»، فيما اتخذ في التغيير الثاني شعار «الله، الشعب»، وهذا يؤكد أن التطورات السياسية والفكرية التي مرت بالوطن العربي ساهمت في تطوير أفكار هذا الحزب، وخاصة نحو القضايا القومية العربية. لمزيد من التفاصيل، انظر: عاصم أحمد الدسوقي، **مصر في الحرب العالمية الثانية، ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥** (القاهرة: ١٩٨١)، ص ٢٠١ ـ ٢٠٧.

«تصبح مصر فوق الجميع، دولة شامخة، تتألف من مصر والسودان وتحالف الدول العربية وتتزعم الإسلام»[١٤١]. لكنه طور موقفه فأعلن عام ١٩٣٩ أن الأمة العربية أمة واحدة[١٤٢]. وجاء في برنامجه عام ١٩٤٠ «تحرير مصر والسودان وتحقيق الوحدة العربية»[١٤٣]. وهذه إشارة صريحة للوحدة العربية ترد في برنامج الحزب، وبذلك يكون حزب مصر الفتاة أول حزب سياسي في مصر يشير إلى الفكرة العربية والوحدة العربية في ذلك التاريخ[١٤٤]. ويتم تحقيق الوحدة العربية في ضوء هذا البرنامج بتوحيد الأمم العربية وتحريرها من كل نفوذ أو سيطرة أجنبية[١٤٥].

كما حدد البرنامج الأسس التي تقوم عليها الوحدة العربية بقوله: «لكي تتحقق الوحدة العربية لا بد من الوصول إليها في خطوات تتم بالاتفاق مع الدول العربية الأخرى في ما يلي:

أولاً: مكافحة الاستعمار في جميع صوره لأي قسم من أقسام البلاد العربية.

ثانياً: تخفيض الحواجز الجمركية بين البلاد العربية وإلغاء التأشيرات على جوازات السفر.

ثالثاً: تقرير سياسة التفضيل لمنتجات الدول العربية، فتخفض الضرائب الجمركية إلى أدنى حد ثم تلغى هذه الحواجز بصفة نهائية.

رابعاً: توحيد مناهج التعليم الأساسية.

خامساً: توحيد القوانين الأساسية المستمدة من الشريعة الإسلامية في جميع البلاد العربية.

سادساً: الارتباط مع الدول العربية في معاهدات دفاعية، يكون من أركانها تبادل المعلومات والبيانات العسكرية والاتفاق على السياسة الخارجية وتوحيدها[١٤٦].

---

(١٤١) «برنامج مصر الفتاة لعام ١٩٣٣،» المادة ٩.

(١٤٢) نقلاً عن: البشري، «مصر في إطار الحركة العربية،» ص ٩٨.

(١٤٣) المصدر نفسه، ص ٩١ ـ ٩٣.

(١٤٤) المصدر نفسه، ص ٩٨، والدسوقي، **مصر في الحرب العالمية الثانية، ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥**، ص ٢٥٣.

(١٤٥) البشري، المصدر نفسه، ص ٩٨.

(١٤٦) الدسوقي، المصدر نفسه، ص ١٩١.

لكننا يجب أن لا نفهم أن «مصر الفتاة» قد تخلى عن فكرة «القومية المصرية» كمبدأ أساسي من مبادئها، إلا أن المبادئ العشرة التي أصبحت مبادئ الحزب الوطني الإسلامي عام ١٩٤١ تعبر عن ارتباط الحزب المتزايد بفكرة العروبة والارتباط الأبدي مع العالم الإسلامي. فالمبدأ الثامن منها يقول: «بلادك هي مصر والسودان لا ينفصلان ولا يتجزآن ووطنك هو جميع الأقطار العربية والإسلامية»[١٤٧].

أما بقية المبادى فلا تختلف كثيراً عما جاء في برنامج ١٩٣٣، فجاء المبدأ العاشر منها يبلور الأفكار نفسها «ولتكن غايتك أن تصبح مصر دولة مرهوبة الجانب، تتألف من مصر والسودان وتؤلف مع الدول العربية كتلة متحدة تحرر الوطن الإسلامي وتعيد مجد الإسلام، وترفع لواءه في أنحاء العالمين»[١٤٨]. وهذا يعني أن الوحدة العربية تأتي في المقام الثاني في ايديولوجية هذا الحزب، حيث تسبقها وحدة مصر والسودان كمرحلة أولى، ثم تحالف هذه الوحدة مع الدول العربية كمرحلة ثانية، وزعامة العالم الإسلامي كمرحلة ثالثة، وهذا ما نص عليه في غاية الحزب، وهي:

أولاً: تحرير مصر والسودان تحريراً كاملاً ونهائياً من كل مساس بسيادتهما وتدعيم هذه السيادة بإيجاد قوة حربية كافية في البر والبحر والجو.

ثانياً: تحقيق الوحدة العربية بين الدول العربية بتوحيد سياستها الخارجية ودفاعها الوطني وثقافتها العامة وتخفيض الحواجز الجمركية في ما بينها ثم إلغائها نهائياً.

ثالثاً: مكافحة استعمار الأمم الإسلامية في أي جزء من أجزاء العالم وتحرير البلاد الإسلامية بصفة حاسمة.

رابعاً: تحقيق الجامعة الإسلامية الروحية وإحياء مجد الإسلام ونشر رسالته في أرجاء العالم[١٤٩].

أما برنامج هذا الحزب في عام ١٩٤٨ فتضمَّن «الإيمان بالله وعبادته عن طريق خدمة الشعب ووحدة مصر والسودان، وتوحيد البلاد العربية»[١٥٠]،

---

(١٤٧) **مصر الفتاة** (القاهرة) (٣ نيسان/ابريل ١٩٤١).

(١٤٨) المصدر نفسه.

(١٤٩) **مصر الفتاة**، العدد ١٧ (آذار/مارس ١٩٤٠).

(١٥٠) البشري، «مصر في إطار الحركة العربية،» ص ٩٨.

ويعمل على توحيد الشعوب العربية كلها في ظل دولة واحدة هي «الولايات المتحدة العربية»، حيث يحتفظ كل عربي في ولايته بشخصيته وطابعه واستقلاله بشؤونه الداخلية مع تنظيم الإنتاج والتوزيع في الدولة العربية الواحدة بما يطابق النظم الاشتراكية، مع تأليف جيش واحد يقف ضد عدوان الدول الأخرى عليها، وضد محاولات استغلال هذه الدول للعرب والتحكم فيهم[١٥١].

يقول د. طارق البشري إن حزب مصر الفتاة عرف باتجاه عربي واضح منذ تكوينه، وأنه لم يلحظ في تاريخه قط أن وضع المصرية في تعارض وامتناع مع العروبة[١٥٢]. والحقيقة أنه يمكن القول ان التطورات السياسية والفكرية القومية، التي عمت الوطن العربي في الثلاثينيات والأربعينيات، أسهمت إيجابياً في تطوير نظرة هذا الحزب نحو القضايا القومية والوحدة العربية. ويبدو أنه جعل من الوحدة العربية مرحلة للوصول إلى الجامعة الإسلامية، وهذه الأخيرة ترمي في نظره إلى «تكوين عصبة أمم شرقية تخيف السلطة الإنكليزية واخواتها جميعاً»[١٥٣]. لكن هذا الحزب أخذ يتجه، منذ أوائل الخمسينيات نحو الأفكار الاشتراكية.

أما حزب الكتلة الوفدية، فيعتبر موقفه امتداداً لموقف حزب الوفد[١٥٤]. فقد أوضح مكرم عبيد (أمينه العام) نظرته الإيجابية نحو العروبة، بالقول: «إذا ضاقت بنا حدود وطننا، فإن لنا وطناً أكبر يجمعنا، مصريين كنا أو سوريين أو لبنانيين»[١٥٥]، وأكد ضرورة الاحتفاظ بعروبة فلسطين، وربط بين القضية المصرية والقضية الفلسطينية، فقد رأى أن قضية المصريين هي قضية «كرامة أو لا كرامة»، والقضية الفلسطينية، هي قضية «وطن أو لا وطن»[١٥٦].

أما جماعة «الأنصار»، فقد اهتمت بالفكرة العربية، وحددت أهدافها في: تحرير العقلية العربية من استعباد الثقافة الوثنية، وتوطيد الفكرة العربية وإنهاض

---

(١٥١) أحمد حسين، **الأرض الطيبة: رسالة في الوطنية** (القاهرة: المطبعة العالمية، ١٩٥١)، ص ١٧٧، نقلاً عن: البشري، **الحركة السياسية في مصر، ١٩٤٥ ـ ١٩٥٢**، ص ٣٩١.

(١٥٢) البشري، «مصر في إطار الحركة العربية،» ص ٩٦.

(١٥٣) هلال، **السياسة والحكم في مصر: العهد البرلماني، ١٩٢٣ ـ ١٩٥٢**، ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩.

(١٥٤) يمثل حزب الكتلة الوفدية انشقاقاً عن حزب الوفد قاده مكرم عبيد عام ١٩٤٢. انظر: المصدر نفسه، ص ١٩٨ ـ ١٩٩.

(١٥٥) جاء حديث مكرم عبيد، هذا، حين استقباله زعماء الحركة الوطنية الفلسطينية في القاهرة، عام ١٩٤٥. انظر: المصدر نفسه، ص ٢١٠ ـ ٢١١.

(١٥٦) المصدر نفسه، ص ٢١١.

الثقافة الإسلامية، والحملة على الفرعونية وبيان أن مصر عربية إسلامية. وقد جعلت هذه الجماعة من مجلة **الأنصار** منبراً تدعو عبره إلى أهدافها بما تطرحه من قضايا حول مستقبل الإنسان العربي وحريته ومكانته الحضارية. ثم أسهم أحد أعضاء الجماعة (أحمد صبري رئيس تحرير **الأنصار**) إسهاماً كبيراً في نموها الفكري عندما نشر كتاب **قناع الفرعونية** في عام ١٩٤٣ وكتاب **ضوء في تاريخ التوحيد** في عام ١٩٤٥. والمحور الأساسي في فكر هذه الجماعة هو أن البيئة العربية هي بيئة صحراوية لها بصماتها الأبدية على الإنسان العربي الذي عاش في كنفها، حتى ان الجماعة حاولت تطبيق الفكرة فنزحت بعض أسرها إلى مناطق صحراوية جنوب الطور في سيناء(١٥٧).

ثانياً: الوحدة في برامج ومواقف الأحزاب والتيارات السياسية الأممية

١ ـ موقف الأحزاب الشيوعية من الوحدة

لإعطاء صورة واضحة عن موقف الأحزاب الشيوعية في المشرق العربي من القومية والوحدة العربية، لا بد من الرجوع إلى موقف الفكر الماركسي ـ اللينيني من القضية القومية، كونه يشكل الأساس الفكري للأحزاب الشيوعية في الوطن العربي.

فماركس يفرق بين القومية الطبيعية والقومية البرجوازية، ويعني بالقومية الطبيعية التواصل الذي يحدد الفروق بين مختلف الأمم. أما القومية البرجوازية فتنشأ مع فكرة الدولة القومية، التي قامت على أشلاء النظام الإقطاعي، فلم يعرف النظام الإقطاعي فكرة القومية، فهي وجدت مع شروط النظام الرأسمالي(١٥٨). وان التطور الرأسمالي يحول الفكر إلى فكر عالمي من خلال الظروف الموضوعية والمادية التي تحيط به. لذلك فهو يرى أن القومية ما هي إلا تعبير عن التعويض النفسي لدى الدول الرأسمالية الأقل تطوراً من الدول الأخرى. وتتحول هذه القومية إلى قومية توسعية عدوانية، كما هو الحال مع

---

(١٥٧) انظر: الدسوقي، **مصر في الحرب العالمية الثانية، ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥**، ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥.

(١٥٨) بسام طيبي، «القضية القومية في الفكر الماركسي من ماركس حتى الأممية الثانية،» **دراسات عربية**، السنة ٥، العدد ١ (تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٦٨)، ص ٣٥، والياس فرح، **تطور الايديولوجية العربية الثورية**، ٢ ج، ط ٧ (بغداد: مطبعة جامعة بغداد، ١٩٧٩)، ج ١: **الفكر القومي**، ص ٤٢.

«القومية الألمانية»[١٥٩]، وربما حالة «القومية الألمانية» جعلت ماركس يقف موقفاً مناوئاً من القومية، وربطه بين القومية والبرجوازية.

أما إنغلز فيشير إلى أن تحرر «البروليتاريا لا يمكن أن يكون إلا حدثاً أممياً، أما الرغبة في جعله حدثاً مقصوراً على الفرنسيين فيعني جعله أمراً محالاً»[١٦٠]. مع ذلك فإن إنغلز يفرق بين «الأمم التاريخية الكبرى» و«الأمم اللاتاريخية الصغيرة»، ويقول: إن مبدأ القوميات «ليس في الحقيقة إلا اختراعاً تم في شرق أوروبا، حيث صب خلال ألوف السنين فيضان الغزو الآسيوي»[١٦١]. ورأى ماركس وإنغلز حتمية قيام «عالم غير قومي» في المستقبل البعيد، لكن عبر مرحلة القوميات. لهذا دعم الإثنان كفاح إيرلندا في سبيل التحرر، ومع ذلك بقيت المسألة القومية بالنسبة لهما مسألة ثانوية[١٦٢].

أما لينين فقد استند في تحليله للدولة القومية إلى تحليل ماركس، فهي «شيء غير عادي، بل نموذجي بالنسبة إلى الفترة الرأسمالية»[١٦٣]. لكن لينين يميز بين قومية الأمم الظالمة والنزعة القومية للأمم المظلومة، بين قومية الأمم الأوروبية الاستعمارية وقومية الشعوب المكافحة ضد الاستعمار، داعياً إلى شجب الأولى وتأييد الثانية[١٦٤].

في حين اعتبر ستالين القومية مرادفة لنشوء الرأسمالية بقوله «نشأت الأمم بنشوء الرأسمالية، لم يكن هناك أمم»[١٦٥]. وهو يلغي وجود الأمة قبل مرحلة الرأسمالية[١٦٦]، لذا فإن نظرة ستالين هذه تبدو نظرة سطحية تخالف أبسط مراحل التطور التاريخي العالمي.

---

(١٥٩) طيبي، المصدر نفسه، ص ٣٦.

(١٦٠) كارل ماركس وفريدريك انجلز، **مختارات**، ٣ ج (موسكو: دار التقدم، ١٩٦٨ ـ ١٩٧٠)، ج ١، ص ٧٥.

(١٦١) طيبي، المصدر نفسه، ص ٣٨.

(١٦٢) الياس مرقص، **الماركسية في عصرنا**، سلسلة السياسة والمجتمع (بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٥)، ص ١٦٣، وناجي علوش، «الحركة الشيوعية في الوطن العربي،» **دراسات عربية**، السنة ٢، العدد ٣ (كانون الثاني/يناير ١٩٦٥)، ص ٦٣ ـ ٨٦.

(١٦٣) طيبي، المصدر نفسه، ص ١٦٨.

(١٦٤) مرقص، المصدر نفسه، ص ١٦٨.

(١٦٥) **القومية والقومية العربية**، سلسلة الثقافة الثورية؛ ٨ (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، [١٩٧٩])، ص ٤٢ ـ ٤٣.

(١٦٦) جوزيف ستالين، **الماركسية وقضايا علم اللغة** (دمشق: ١٩٥٠)، ص ٦ ـ ٧.

يبدو مما تقدم أنه لم يكن هناك موقف موحد للفكر الماركسي ـ اللينيني تجاه القومية، فبينما يربط ماركس بين القومية والرأسمالية، وبتطور الأخيرة تصبح القومية عنصرية وتوسعية، نجد لينين يميز بين أمم ظالمة وأمم مظلومة، في حين يلغي ستالين وجود الأمة قبل مرحلة الرأسمالية. تلك مواقف الماركسية وقيادة الكومنترن من القومية، وقد انسحبت على مواقف الأحزاب الشيوعية المحلية في الوطن العربي من جهة، ومن جهة أخرى إن موقف هذه الأحزاب يعتمد كذلك على مدى استيعابها لمعطيات الواقع العربي ومدى قدرتها على استيعاب حركة الجماهير العربية.

هاتان المسألتان جعلتا مواقف الأحزاب الشيوعية غير موحدة تجاه القومية العربية والوحدة العربية؛ فمنذ بداية تأسيس هذه الأحزاب في المشرق العربي، وخلال فترة العشرينيات وأوائل الثلاثينيات من القرن العشرين، ركزت هذه الأحزاب بشكل خاص على استيعاب أعضائها للنظرية الماركسية ـ اللينينية.

وإزاء تنامي التيار القومي العربي، عقد مندوبون عن هذه الأحزاب مؤتمراً في خريف عام ١٩٣٥، من أجل تحديد موقف تجاه الوحدة العربية، وقد توصل المؤتمر إلى أن شعار الوحدة العربية «غير عملي لما بين الأقطار العربية من فروق في التطور وشكل الحكم والظروف الداخلية الخاصة... لذا ارتأى المندوبون عدم الأخذ بشعار الوحدة العربية، واستبداله بشعار عملي ممكن التطبيق... ويكون هذا بالاتحاد الاختياري بين الأقطار العربية المستقلة، وأن لا يمس ذلك الاتحاد شكل الحكم السياسي الذي اختاره ويختاره كل قطر على حدة»[(١٦٧)].

لقد أقر الحزب الشيوعي المصري نظرياً بالقومية العربية والوحدة العربية، حيث أوضح في إحدى دراساته[(١٦٨)]:

١ ـ أن الأمة العربية أمة واحدة، وأن نشوء القومية العربية يختلف عن نشوء القوميات الأوروبية في القرن التاسع عشر.

٢ ـ أن الحركة العربية في جوهرها حركة شعبية نضالية معادية

---

(١٦٧) الحزب الشيوعي العراقي، **وثائق الحزب الشيوعي العراقي: الأعمال الكاملة للرفيق فهد،** منشورات طريق الشعب (بغداد: مطبعة الشعب، ١٩٧٢)، ص ٣٢٦.

(١٦٨) الياس مرقص، **تاريخ الأحزاب الشيوعية في الوطن العربي** (بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٤)، ص ٢٥١.

للاستعمار، فالاستعمار هو الذي أقام الحدود والحواجز في وجه هذه القومية فمزق وحدتها وسعى لطمس معالمها وعرقلة نموها، ولهذا كانت معركة التوحيد معركة في جوهرها معادية للاستعمار.

لكن، على الرغم من إقراره هذا الأمر، نجده في دراسة أخرى يصم الحركة القومية العربية بالرجعية والنازية، ويعلن تأييده لتقسيم فلسطين، واعترافه بأن اليهود يشكلون أمة[(١٦٩)]. ولذلك نجد هنري كورييل[(١٧٠)] و«حدتو»، الحزب الشيوعي المصري، تنسجم مواقفهما مع موقف ستالين في المسألة القومية.

أما الحزب الشيوعي في سوريا ولبنان، فقد نفى وجود الأمة العربية الواحدة، مستنداً إلى نظرية ستالين في قضية نشوء الأمم. فقد ذكر خالد بكداش سكرتير عام هذا الحزب، عام ١٩٣٩، أنه لا توجد أمة عربية، حيث «نشأة الأمم بنشوء الرأسمالية. قبل نشوء الرأسمالية لم تكن هناك أمم، فالأمة العربية لم توجد بعد، لأنه لم تنشأ الرأسمالية في الوطن العربي»[(١٧١)].

ويرفض بكداش اعتبار الأرض الواحدة واللغة من مقومات القومية، «فالوضع الجغرافي الذي يفصل بين سوريا والجزائر، وبين العراق ومصر، سيظل فاصلاً بينها، وقد أثّر ويؤثر في تطور كلا القطرين، وفي ثقافة كل منهما، وفي حياته الاقتصادية وعقليته وبنيانه النفسي»[(١٧٢)]. أما بالنسبة للغة العربية، فهي ليست كافية لتكوين أمة، إذ يقول بكداش: «لو كانت اللغة كافية لتأليف أمة لأصبح الإنكليز وأمريكيو الشمال أمة واحدة، بالرغم من المحيط الأطلنطي الواسع الذي يفصل بينهما»[(١٧٣)]. وبهذا يصل بكداش إلى أن العرب

---

(١٦٩) لمزيد من التفاصيل، انظر: المصدر نفسه، ص ٢١ ـ ٤٠؛ رفعت السعيد، **اليسار المصري، ١٩٢٥ ـ ١٩٤٠** (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٢)، ص ٢٤١ ـ ٢٦٠؛ عبد القادر ياسين، **القضية الفلسطينية في فكر اليسار المصري** (بيروت: دار ابن خلدون، ١٩٨١)، ص ٤٦ ـ ١٠٠؛ هنري كورييل، **أوراق هنري كورييل والحركة الشيوعية المصرية**، دراسة رؤوف عباس؛ ترجمة عزة رياض (القاهرة: ١٩٨٨)، ص ١٢٣ ـ ١٦٠.

(١٧٠) هنري كورييل، مؤسس الحركة المصرية للتحرر الوطني التي اتحدت مع اسكرا، أي الجماعات الماركسية، مكونة معها الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني (حدتو)، أكبر التنظيمات الماركسية في مصر بعد الحرب العالمية الثانية. لمزيد من التفاصيل، انظر: مرقص، المصدر نفسه، ص ١٥١ ـ ١٦٠.

(١٧١) خالد بكداش، **طريق الاستقلال والديمقراطية والوحدة** (بيروت: ١٩٣٩)، ص ٣١.

(١٧٢) مرقص، المصدر نفسه، ص ١٣٤.

(١٧٣) المصدر نفسه.

لا يمكن أن يكوِّنوا أمة واحدة وقومية واحدة. وإنما يمتلك كل قطر خصائص قومية مستقلة، حيث يقول بكداش: «فأمتنا في سوريا العربية، مثلاً، لا تزال في طريق التطور والتكوين، أي في طريق استتمام العلائم التي تميز الأمة»(١٧٤).

ولتعزيز ذلك بالفعل الملموس، عقد الحزب الشيوعي اللبناني ـ السوري مؤتمره الأول خلال الفترة (من ٣١ كانون الأول/ديسمبر ١٩٤٣ إلى ١٢ كانون الثاني/يناير ١٩٤٤) ليقر تقسيم الحزب إلى حزبين مستقلين، واحد سوري والآخر لبناني(١٧٥). وتأكيداً على معاداة هذين الحزبين للأمة العربية والوحدة العربية، نجدهما يقران، في عام ١٩٥١، بأن اليهود أمة لها حق الحياة في فلسطين، ويعترفان بقرار تقسيم فلسطين، ويحملان بشدة على الاتجاه القومي العربي، وينعتانه بشتى النعوت(١٧٦).

وسار في الاتجاه ذاته للحزب الشيوعي المصري الحزب الشيوعي العراقي. فبعد فشل انتفاضة العراق عام ١٩٤١ هاجم فهد، السكرتير العام للحزب المذكور، الحركة القومية وقادتها وأتهمهم بأنهم نازيون، وان الوحدة العربية التي يريدون تحقيقها عنصرية فاشية، حيث يقول: «إن الوحدة العربية بعد أن كانت هدفاً قريباً يسعى العرب إلى تحقيقه، أصبحت نظرية يتنافس عليها مثقفو العرب في أوطانهم»(١٧٧)، وأضاف: «لقد بنى القوميون وحدتهم العربية على أسس روزنبرغية»(١٧٨)، «وشيدوا في مخيلتهم امبراطورية واسعة وأحاطوها بسور عال لكيلا يدخل ما يدنسها، ثم أغلقوا أبوابها وسلموا مفاتيحها إلى هتلر وموسليني»(١٧٩).

ومن هذا المنطلق شن الشيوعيون هجوماً على القوميين في العراق ووسموا الحركة القومية بالنازية، وقادتها بـ «جواسيس المحور»، وحرضوا بريطانيا

---

(١٧٤) نقلاً عن: الحكم دروزة، **الشيوعية المحلية ومعركة العرب القومية** (بيروت: دار الفجر الجديد، ١٩٦١)، ص ١٣٦ ـ ١٣٧.

(١٧٥) انظر: المصدر نفسه، ص ١٤٨ ـ ١٤٩.

(١٧٦) المصدر نفسه، ص ١٤٩.

(١٧٧) سمير عبد الكريم، **أضواء على الحركة الشيوعية في العراق، ١٩٣٤ ـ ١٩٥٨**، قدم له صلاح محمد، ٥ ج (بيروت: دار المرصاد، [د.ت.])، ج ١، ص ٩٦.

(١٧٨) نسبة إلى روزنبرغ فيلسوف النازية الألمانية.

(١٧٩) **الشرارة**، العدد ١ (١٩٤٠)، نقلاً عن: المصدر نفسه، ص ٩٧.

والوصي على العرش (عبد الإله) ونوري السعيد ضد قادة انتفاضة أيار/مايو ١٩٤١ القومية التحررية، وكتبت جريدة **الشرارة** تقول: «ما جرته أعمال هذه الرجعية الفاشستية التجسسية على البلاد من المآسي والويلات فحدث عنه ولا حرج، فمن تمزق قوى الأمة، إلى الخروج على الدستور إلى حوادث عصيان عسكرية ورطت الجيش، في أغلبه، حتى كان ما كان من أمر يونس السبعاوي وعصابته»[١٨٠].

وفي عام ١٩٤٤، وإزاء تنامي وتصاعد الحركة القومية العربية، عقد الحزب الشيوعي العراقي مؤتمراً أقر فيه ميثاقه، الذي جاء فيه: «يناضل الحزب في سبيل التقارب السياسي بين الشعوب العربية، وبين أحزابها والأقطار العربية المستعمَرة والمحمية، وإيجاد علاقات بين منظمات العمال والمثقفين والطلاب في الأقطار العربية، وزيادة التعاون الاقتصادي بينها ورفع الحواجز الجمركية وتسهيل وسائط النقل والتبادل التجاري»[١٨١]. ودعا إلى تقوية العلاقات العربية والعمل لتدعيم وتركيز التعاون الأخوي بين العراق و«الشعوب العربية» في سبيل تحررها الوطني، وتوثيق الصلات في كل المجالات[١٨٢].

في ضوء ما تقدم يمكننا القول إن الأحزاب الشيوعية في الوطن العربي كانت أسيرة تنازع بين الأممية والقومية، والميل نحو الأممية والمصالح السوفياتية على حساب القومية العربية وحركتها. كما أن تركيب تلك الأحزاب وقيادتها، التي تكونت في أغلبها من أفراد من الأقليات، حالت دون تحقيق الاندماج الضروري بين الحركة الوطنية والثورة الاجتماعية، وبين العقيدة القومية والعقيدة الاشتراكية العلمية، ولم يدرسوا حركة واقع المجتمع العربي والتحديات التي تواجهه بشكل علمي وعملي، بل كانت دراستهم تعتمد التحليلات والمنطلقات الماركسية ـ اللينينية من دون الالتفات إلى التناقض بين هذا الواقع وتلك المنطلقات، بل عملوا على إيجاد كل التبريرات التي تجعل حركة الواقع العربي منسجمة مع التفسيرات الماركسية ـ اللينينية. لذلك لم تهتم تلك الأحزاب بمشكلات العرب القومية الكبرى. وإذا اضطروا إلى أن يتحدثوا عنها في نشراتهم أو صحفهم وأدبياتهم، فلم يكن ذلك إلا بمقدار ما يؤدي إلى حصولهم

---

(١٨٠) المصدر نفسه، ص ٩٨.

(١٨١) الحزب الشيوعي العراقي، «الميثاق الوطني والنظام الداخلي للحزب الشيوعي العراقي،» (بغداد: ١٩٤٥)، ص ٧.

(١٨٢) المصدر نفسه، ص ٩.

على مكاسب حزبية خاصة، أو مجاراة القوى والأحزاب القومية والتقدمية أو محاباة المشاعر القومية العربية(١٨٣)، متجاهلين نضال الجماهير العربية ضد الاستعمار والامبريالية، وأهمية ذلك النضال من أجل بناء الاشتراكية على أرضية قومية(١٨٤). وحاول الشيوعيون تبرير ذلك، بالقول: «النقص البارز لدى حزبنا، في هذا الصدد، هو أنه أقل الأحزاب دعاية له، في القضايا القومية، حتى تكوّن لدى البعض الشعور بتقصير حزبنا في النضال من أجل القومية العربية»(١٨٥). وفي بعض الأحيان وقفوا ضد طموحات وآمال الجماهير العربية في نضالها من أجل تحقيق الوحدة العربية.

وهكذا فقدت الأحزاب الشيوعية في الوطن العربي الكثير من جماهيرها، وانكمشت على نفسها، ودخلت في صراعات وانقسامات داخلية.

٢ ـ موقف التنظيمات الإسلامية السياسية من الوحدة

كان الدين الإسلامي في مصر كما في الشمال العربي الافريقي ظاهرة بارزة بسبب عظم التحديات الخارجية الأوروبية، فأصبح الإسلام مرادفاً للعروبة. فالإسلام في هذه الأقطار، لم يقتصر على توحيدها (عقائدياً) وإنما أكسبها طابع «العروبة» لا بالمعنى العرقي، وإنما بالمعنى الثقافي، لذا أصبح الدين الإسلامي ظاهرة، في هذه الأقطار، غطت على ما عداها(١٨٦).

وأصبحت القاهرة مركزاً لنشاط الجماعات الإسلامية، وأصبح الأزهر جسراً يعمق باستمرار هذه الصلة، ويؤكد، من دون انقطاع، أهمية مصر الدينية في الوطن العربي والعالم الإسلامي(١٨٧). واكتسب الأزهر أهمية ودوراً بارزين،

---

(١٨٣) ميشيل عفلق، **في سبيل البعث**، ط ٢ (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٨)، ص ٤٩ ـ ٥١.

(١٨٤) حزب البعث العربي الاشتراكي، **نضال البعث**، ١١ ج (بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٣ ـ ١٩٧٤)، ج ١، ص ١٤.

(١٨٥) نقلاً عن: عبد الكريم، **أضواء على الحركة الشيوعية في العراق، ١٩٣٤ ـ ١٩٥٨**، ص ١٦٩.

(١٨٦) لمزيد من التفاصيل، انظر: خيرية عبد الصاحب وادي، **الفكر القومي العربي في المغرب العربي** (بغداد: [د. ن.]، ١٩٨٢)، ص ٩ ـ ١٥٦؛ محمد عابد الجابري، «حول الحوار القومي ـ الديني،» **المستقبل العربي**، السنة ١٢، العدد ١٣٠ (كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٩)، ص ٣٧ ـ ٤٢، وطارق البشري، «العروبة والإسلام،» **المستقبل العربي**، السنة ١٢، العدد ١٣٠ (كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٩)، ص ٦ ـ ٧.

(١٨٧) محمد أنيس ومحمد رجب حراز، **ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وأصولها التاريخية** (القاهرة: ١٩٦٥)، ص ١٢.

وأصبح معقلاً للثورة والثوار، لكن ذلك لم يمنع من أن يكون بؤرة للثورة المضادة، بسبب تأثير الشرائح المحافظة ذات الغنى والثراء، أو تلك التي وجدت في الأوضاع الجديدة، التي هيأها الاحتلال «فرصة مؤاتية لكسب النفوذ الشخصي وجمع المال واقتناء الثروة»[١٨٨]. كل ذلك يفسر لنا ظهور التنظيمات السياسية ذات الاتجاه الديني في مصر بشكل مبكر[١٨٩]، وانتقال البعض منها إلى الأقطار العربية، ولا سيما أقطار المشرق العربي.

فجمعية الرابطة الشرقية، التي تأسست عام ١٩٢١[١٩٠]، هدفت إلى نشر المعارف والآراء والفنون الشرقية وتوثيق روابط التعاون والتضامن بين أمم الشرق على اختلاف أجناسها وأديانها[١٩١].

عنيت الجمعية باللغة العربية، فاتخذت مشروعاً لعقد مؤتمر عربي دوري ينتقل بين حواضر الأقطار العربية، يحضره مندوبون من أقطارها، ويبحث في وسائل ترقية اللغة العربية، لتصبح قادرة على استيعاب ما استحدث من مقتنيات الحياة المعاصرة. وقد رحبت بالمشروع الأقطار العربية، خاصة مصر وسوريا[١٩٢]. كما وقف قادة الجمعية بوجه دعاة العامية الذين يهدفون، ومن ورائهم الاستعمار، إلى تحطيم اللغة العربية، ودعوا إلى الاهتمام باللغة العربية وتطويرها، وباستخراج كنوز تراثها القديم الغزير، وصقلها مما علاها من غبار العصور، مؤكدين أن اللغة العربية دعامة قوية في صرح الوحدة القومية[١٩٣]،

---

(١٨٨) المصدر نفسه.

(١٨٩) يقدر عدد الجمعيات الدينية، خلال فترة بحثنا، بخمسة وثلاثين جمعية جعلت من «الوحدة الإسلامية»، و«الشرقية» محوراً لنشاطها، وتبنت الزعامة المصرية للعالم الإسلامي. لمزيد من التفاصيل، انظر: أحمد عبد المعطي حجازي، **عروبة مصر** (بيروت: دار الآداب، ١٩٧٩)، ص ٧٩ ـ ٨١.

(١٩٠) على يد عبد الحميد البكري، والشيخ محمد بخيت، ومحمد رضا رشيد، وأحمد زكي، والشيخ محمد الغنيمي القفتازاني وغيرهم. واستطاعت هذه الجمعية أن تنشئ لها فروعاً في كثير من مدن فلسطين بالإضافة إلى فروعها في دمشق وبغداد والبصرة. انظر: عبد العظيم رمضان، **تطور الحركة الوطنية في مصر من سنة ١٩٣٧ ـ ١٩٤٨** (بيروت: الوطن العربي، ١٩٧٣)، ج ٢، ص ٣٣٦ ـ ٣٣٧.

(١٩١) أحمد شفيق، «جمعية الرابطة الشرقية: ماضيها وحاضرها ومستقبلها،» **الرابطة الشرقية**، السنة ١، العدد ١ (آب/أغسطس ١٩٢٨)، وسليم عبد الرزاق الخطاب، «القومية العربية فكراً وممارسة في تجربة ٢٣ تموز/يوليو، مصر ١٩٥٢ ـ ١٩٧٠،» (رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية القانون والسياسة، ١٩٨٥)، ص ٦٧.

(١٩٢) **الرابطة الشرقية**، السنة ١، العدد ٥١ (نيسان/ابريل ١٩٢٩).

(١٩٣) **الرابطة الشرقية**، العدد ٨ (تموز/يوليو ١٩٢٩).

فمثلما اتجهت الجمعية نحو الشرقية والوحدة الإسلامية، اتجهت بنشاطها نحو القضايا العربية[١٩٤].

أما جمعية الشبان المسلمين[١٩٥] فقد دافعت عن القضايا العربية. فخلال عامي ١٩٢٩ و١٩٣٠ دافعت عن حق العرب في حائط المبكى، وانتقدت سياسة فرنسا في محاولاتها محو عروبة مراكش، من خلال سياستها الاستعمارية لإحياء الثقافة البربرية، كما نشطت في جمع الأموال لمعونة شهداء الثورة الوطنية في ليبيا. وفي عام ١٩٣٦ دعت الجمعية إلى توجيه الثقافة المصرية توجيهاً شرقياً إسلامياً وعربياً[١٩٦]. وعند قيام الحرب بين السعودية واليمن عام ١٩٣٤ عقدت الجمعية مؤتمراً في القاهرة دعت فيه إلى وقف القتال، كما أرسلت البعثات الطبية إلى البلدين لإسعاف الجرحى[١٩٧].

واعتبرت الجمعية الوحدة العربية السبيل لتحقيق الوحدة الإسلامية[١٩٨]، لذلك دعت عام ١٩٣٣ لتحقيقها[١٩٩].

أما جماعة الاخوان المسلمين[٢٠٠] فقد أكد نظامها الأساسي تأييدها للوحدة العربية تأييداً كاملاً والسير لتحقيق الجامعة الإسلامية سيراً حثيثاً، ومناصرة التعاون العالمي مناصرة هادفة، في ظل مثل عليا فاضلة تصون الحريات وتحفظ الحقوق![٢٠١].

---

(١٩٤) نبيه بيومي عبد الله، **تطور فكرة القومية العربية في مصر** (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥)، ص ١٧٥.

(١٩٥) تأسست جمعية الشبان المسلمين على يد عبد الحميد سعيد ومحب الدين الخطيب عام ١٩٢٧، وركزت نشاطها في الجوانب الدينية والاجتماعية والرياضية، وأنشأت لها فروعاً في بعض الأقطار العربية. انظر: محمد محمد حسين، **الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر** (القاهرة: ١٩٦٩)، ج ٣، ص ١١٥.

(١٩٦) المصدر نفسه.

(١٩٧) عبد المنعم خلاف، **مع القومية العربية في ربع قرن** (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٥٨)، ص ٦٩.

(١٩٨) مارلين نصر، **التصور القومي العربي في فكر جمال عبد الناصر، ١٩٥٢ ـ ١٩٧٠: دراسة في علم المفردات والدلالة** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨١)، ص ٨١.

(١٩٩) خلاف، المصدر نفسه، ص ٦٩، وعواطف عبد الرحمن، **مصر وفلسطين**، سلسلة عالم المعرفة؛ ٢٦ (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٠)، ص ٨٤.

(٢٠٠) تأسست جماعة الاخوان المسلمين على يد المرشد حسن البنا، في مصر عام ١٩٢٨، واستطاعت في أوائل الثلاثينيات أن تجد لها فروعاً في سوريا والعراق لتنتشر في ما بعد في الأقطار العربية الأخرى. لمزيد من التفاصيل، انظر: زكريا سليمان بيومي، **الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية في الحياة السياسية المصرية، ١٩٢٨ ـ ١٩٤٨** (القاهرة: ١٩٧٩)، ص ٤٩ ـ ٧٦.

(٢٠١) المادة الثانية من الباب الثاني من النظام الأساسي للاخوان المسلمين، الذي أقرته الجمعية =

وهاجم حسن البنا ما كان يطرح بديلاً ونقيضاً للعروبة والإسلام، وهو «القومية المصرية»، فهذه الأخيرة «مبدأ خطير لا ينتج إلا من الشرور والآثام والحروب والتخاصم والتنافس والتزاحم»(٢٠٢). وهي خطأ «فلأن تمسكنا بالقومية العربية يجعلنا أمة تمتد حدودها من الخليج إلى المحيط، بل أبعد من ذلك، ويبلغ عددها اضعاف الملايين المحصورة في وادي النيل، فأي مصري يكره أن تشاطره هذه الشعوب، التي تظللها العربية، شعوره وآماله وأفراحه وآلامه؟ إن من يحاول سلخ قطر عربي من الجسم العام للأمة العربية، يعين الخصوم الغاصبين على خفض شوكة وطنه وإضعاف قوة بلاده ويصوِّب معهم الرصاصة إلى مقتل هذه الأوطان المتحدة في قوميتها ولغتها ودينها وآدابها ومشاعرها ومطامحها»(٢٠٣).

وبيَّن البنا الصلة بين العروبة والإسلام وأهمية الوحدة العربية وواجب تحقيقها، إذ يقول: «الإسلام نشأ عربياً ووصل إلى الأمم عن طريق العرب، وجاء كتابه الكريم بلسان عربي مبين، وتوحدت الأمم باسمه على هذا اللسان، يوم كان المسلمون مسلمين. وقد جاء في الأثر: إذا ذل العرب ذل الإسلام. وقد تحقق هذا المعنى حين زال سلطان العرب السياسي، وانتقل الأمر من أيديهم إلى غيرهم من الأعاجم والديلم ومن إليهم، فالعرب هم عصبة الإسلام وحراسه»(٢٠٤). أما تحقيق الوحدة العربية، ففي نظر حسن البنّا «أمر لا بد منه لإعادة مجد الإسلام وإقامة دولته وإعزاز سلطانه، ومن هنا وجب على كل مسلم أن يعمل لإحياء الوحدة العربية وتأييدها ومناصرتها. وهذا هو موقف الإخوان المسلمين من الوحدة العربية»(٢٠٥). وقد أكد البنا هذا الموقف أكثر من مرة حيث يقول: «هذا الوطن العربي الممتد من الخليج إلى طنجة، على سعة أقطاره وانفساح مداه، وحدة جغرافية لا تفصل بينها حواجز طبيعية»، وهذا الوطن يشكل «وحدة روحية بسريان الإسلام في عنق أبنائه جميعاً، فالمسلمون

= العمومية للاخوان المسلمين عام ١٩٤٥، نقلاً عن: اسحق موسى الحسيني، **الاخوان المسلمون: كبرى الحركات الإسلامية الحديثة** (بيروت: دار بيروت، ١٩٥٢)، ص ٦٩.

(٢٠٢) حسن البنا، **الاخوان المسلمون تحت راية القرآن** (بيروت: [د.ت.])، ص ٢٦.

(٢٠٣) نقلاً عن: محمد عمارة، **الصحوة الإسلامية والتحدي الحضاري** (القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٨٥)، ص ١١٥.

(٢٠٤) حسن البنا، **مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا** (الإسكندرية: دار الدعوة، ١٩٩٠)، ص ١٧٦.

(٢٠٥) المصدر نفسه.

منهم يقدسون الإسلام كعقيدة ودين، وغير المسلمين يعتزون به كشريعة قومية عادلة.. وهو وحدة لغوية بسريان لغة العرب في أبنائه. تقدسها المحاريب في الصلوات، ويخلدها كتاب الله وآياته البينات.. وهو وحدة فكرية ثقافية، لأنه منبع الفيض الروحي في العالم كله، ومصدر الفلسفات ومهبط الوحي ومهد الشرائع والديانات.. وهو وحدة اجتماعية تتشابه العادات والتقاليد فيه تشابهاً يكاد يكون تاماً في شعوبه وسكانه. وتوالت بين أبناء هذا الوطن، بعد هذا كله، المصالح العملية المشتركة. ولا شك في أن كل شعب من شعوبه يدرك الفوائد العظيمة الجليلة التي تعود عليه بعودته إلى الوحدة، وعودتها إليه، وبخاصة في هذا الزمن الذي لا تعيش فيه إلا الأمم المجتمعة والشعوب الموحدة المتكتلة»[٢٠٦].

وأكد المؤتمر الخامس للجماعة الذي عقد عام ١٩٣٧: «ان العرب عصبة الإسلام،... ومن هنا كانت وحدة العرب أمراً لا بد منه، لإعادة مجد الإسلام، وإقامة دولته، وإعزاز سلطانه، ومن هنا وجب على كل مسلم أن يعمل لإحياء الوحدة العربية وتأييدها ومناصرتها، وهذا هو موقف الاخوان المسلمين من الوحدة العربية»[٢٠٧].

وحينما طُرح موضوع إنشاء الجامعة العربية عام ١٩٤٣ للمناقشة، أيد الاخوان المسلمون فكرة الوحدة وتكوين الجامعة العربية، على أساس أنها خطوة نحو تحقيق الوحدة الإسلامية، ولخص البنا موقف الاخوان المسلمين، هذا، بالقول: «إنهم لا يرون بأساً بأن يعمل كل إنسان لوطنه، وأن يقدمه على سواه، وهم بعد ذلك يؤيدون الوحدة العربية باعتبارها الحلقة الثانية في النهوض، ثم يعملون للجامعة الإسلامية باعتبارها النسيج الكامل للوطن الإسلامي العام»[٢٠٨]. وطبيعي أن لا تعارض بين هذه الوحدات التي دعا إليها وهي «الوطنية» و«القومية» وأخيراً «الدائرة الإسلامية» أو «الوحدة الإسلامية». وهو ما أكده المؤتمر الخامس للجامعة، بالقول: «وأنا في غنى بعد هذا البيان، عن أن أقول إنه لا تعارض بين هذه الوحدات بهذا الاعتبار،

---

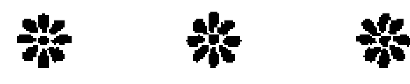
(٢٠٦) **الاخوان المسلمون** (ذو القعدة ١٣٦٢هـ)، نقلاً عن: علي محافظة، **موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية، ١٩١٩ ـ ١٩٤٥**، مواقف الدول الكبرى من الوحدة العربية؛ ١ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٥)، ص ١٤٨.

(٢٠٧) البنا، **مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا**، ص ١٩٦.

(٢٠٨) المصدر نفسه، ص ١٧٨.

وإن كلاً منها يشد أزر الأخرى ويحقق الغاية منها»[٢٠٩].

وعلى رغم التأييد للقومية العربية والتأكيد على أهمية الوحدة العربية والعمل على تحقيقها، إلا أنهما يظلان في نظر الاخوان المسلمين خطوة أو مرحلة نحو انتماء أشمل هو «الجامعة الإسلامية» التي هي في نظرهم، تشكل تفوقاً ورجحاناً على الوحدة العربية «من حيث النص القرآني، ومن حيث السعة والامتداد، إذ تنحصر الوحدة العربية في أربعين مليوناً، بينما تتعدى «الجامعة الإسلامية» قرابة السبعين مليوناً، مما يمكن أهلها في الأرض قوة وعزة»[٢١٠].



بعد أن استعرضنا المشروع الوحدوي لدى أبرز الأحزاب القطرية والأممية، يبدو أن بعض الأحزاب القطرية شكلت امتداداً وتواصلاً للحركات والأحزاب والجمعيات السياسية التي ظهرت في مرحلة ما قبل الحرب العالمية الأولى، وأنها كانت نتيجة لإفرازات التجزئة الاستعمارية. ونلاحظ أن مناهجها كانت أسيرة المناخ القطري الذي خلقته عملية التجزئة، فكانت مناهجها محدودة وسطحية تخلو في طبيعتها من أي توجه قومي، وإن وجد فهو تسطير لمواد وعبارات قد لا يؤمن بها الكثير من هذه الأحزاب، أو جرى إعطاؤه دوراً ثانوياً.

لقد وقفت الأحزاب القطرية الداعية عمداً إلى الانعزال عن التيار القومي وأهدافه مواقف متشددة ضد القومية والوحدة العربية، وإذا كانت التطورات السياسية والفكرية في الوطن العربي، خلال مرحلة الثلاثينيات والأربعينيات، قد أثرت إيجابياً في نظرة بعض الأحزاب القطرية نحو القومية والوحدة العربية، فإن هذه الأحزاب ظلت أسيرة المشاكل القطرية، التي تعانيها الأقطار العربية، والتي كانت نتيجة طبيعية لعملية التجزئة الاستعمارية.

وخلال دراستنا للأحزاب الشيوعية في الوطن العربي، فقد كشفت لنا عن عدم قدرة هذه الأحزاب على إدراك معنى أن تكون الشيوعية أصلاً وليدة الفكر الأوروبي والأوضاع الأوروبية الحديثة، تلك الأوضاع التي تختلف عن أوضاع الوطن العربي، لذلك جاءت تحليلاتهم قاصرة إن لم نقل تتناقض في بعض

---

(٢٠٩) المصدر نفسه، ص ١٩٨.

(٢١٠) صايغ، **الفكرة العربية في مصر**، ص ١٩٩ ـ ٢٠٠.

الأحيان مع أوضاع الوطن العربي ومشاكله، وبشكل خاص مواقفهم من القومية العربية والوحدة العربية والقضية الفلسطينية.

أما الأحزاب والتنظيمات الإسلامية ـ السياسية، فلم تكن قط ضد القومية العربية والوحدة العربية، بل اعترفت بوجود القومية وبالدور القيادي العربي للدولة الإسلامية في التاريخ، واعتبرت العمل من أجل تحقيق الوحدة العربية جزءاً من نشاطها (للوحدة الإسلامية). لكن هذه التنظيمات تختلف فكرياً بالأساس مع فكر الأحزاب والتنظيمات القومية، ليس في الاعتراف بوجود العرب القومي، ولا بوحدتهم، ولا في الدفاع عن استقلالهم ومصالحهم، وإنما الاختلاف في النظام الذي يحكم المجتمع العربي، إذ إن ذلك النظام لا بد من أن يكون إسلامياً، معتمداً الكتاب والسنة.

الفصـــل الرابـــع

الاتجاهات الوحدوية
في الفكر القومي العربي (١٩٣٩ ـ ١٩٥٢)

أولاً: الموقف العربي خلال الحرب العالمية الثانية

اتسمت الأحوال السياسية في الوطن العربي، في الفترة التي سبقت قيام الحرب العالمية الثانية، بظاهرتين بارزتين، هما:

١ ـ اشتداد الهيمنة الاستعمارية على الوطن العربي، بشكل عام، من خلال خضوع أقطاره لأشكال مختلفة من السيطرة.

٢ ـ تنامي الوعي القومي العربي، إذ شهد الوطن العربي حالة نهوض قومي يهدف إلى تغيير الواقع العربي، بما يمثله من حالة استعمار وتفتيت وتخلف.

حالة النهوض هذه أدت إلى قيام الدول الاستعمارية بتضييق الخناق على الحركة القومية في أقطار الوطن العربي. فأصبحت بغداد[(١)] مكاناً رحباً للعناصر القومية التي هربت من مطاردة السلطات البريطانية في فلسطين والفرنسية في سوريا ولبنان، ومن أبرزهم مفتي فلسطين محمد أمين الحسيني، وما بين أربعمائة وخمسمائة شخص من أنصار الوحدة العربية. وكان لهؤلاء دور كبير في تأجيج المشاعر القومية ووحدة المصير وتقوية الشعور المعادي لبريطانيا خاصة في العراق[(٢)]، كما كان لظهور بعض المفكرين القوميين، الذين أسهمت

---

(١) يعود السبب في اختيار بغداد إلى أن الملك فيصل الأول، ومن ثم ابنه غازي، كانا، وخاصة الأخير منهما، معروفين بولائهما القومي وميولهما الوحدوية، مما أدى إلى سيطرة القوميين على الجيش العراقي. لمزيد من التفاصيل، انظر: أنيس صايغ، **في مفهوم الزعامة السياسية: من فيصل الأول إلى جمال عبد الناصر** (بيروت: جريدة المحرر؛ المكتبة العصرية، ١٩٦٥)، ص ٥١ ـ ٥٤، ومجيد خدوري، **العراق الجمهوري** (بيروت: الدار المتحدة، ١٩٧٤)، ص ٢٣ ـ ٢٥.

(٢) حيث عمل معظم هؤلاء في التعليم في العراق، مما أدى بالتالي إلى تأجيج المشاعر القومية العربية لدى طلبة الثانويات والكليات.

كتاباتهم في تعزيز الوعي القومي في كل أنحاء الوطن العربي. كما كان لاستمرار الهجرة الصهيونية إلى فلسطين وازديادها الأثر الواضح في خلق ردود فعل قومية عربية حول ضرورة الوقوف بشكل موحد تجاه هذا الخطر.

وجاءت الحرب العالمية الثانية ليصبح الوطن العربي مسرحاً مهماً لها، وينقسم السياسيون العرب بين طرفي النزاع (الحلفاء والمحور) إلى فريقين: فريق نادى بوجوب دعم الحلفاء لما يمثله المحور من أنظمة دكتاتورية تؤثر في مستقبل الوطن العربي، وبنى هذا الفريق آماله على بريطانيا في ضمان معونتها لتحقيق أماني العرب وتطلعاتهم إلى الاستقلال والوحدة[٣]، خاصة أن بريطانيا وفرنسا، من الناحية الواقعية، هما المسيطرتان على الوطن العربي، فهما من وجهة نظر هذا الفريق، تمتلكان حرية التصرف في معظم أقطار الوطن العربي[٤]. أما الفريق الثاني فكان يدعو إلى عدم مساندة الحلفاء، حيث يرى هذا الفريق أن بريطانيا وفرنسا هما من أعداء الأمة العربية وسبب تخلفها وتجزئتها، وستستمران في السيطرة عليها إذا ما انتصرتا في الحرب؛ ورأى هذا الفريق أنه لا بد من الاستفادة من الوضع الدولي، باتخاذ موقف الحياد بين الكتلتين المتحاربتين[٥].

وقد تلقى هذا الفريق، وخاصة في سوريا، أنباء الانتصارات التي حققها الألمان، في بداية الحرب، بارتياح شديد، ليس حباً بالألمان، وإنما كرهاً للفرنسيين. وبسبب تلك الانتصارات اندفعت بعض التشكيلات الوطنية والقومية إلى تأييد دول المحور، اعتقاداً منها بأن صداقة دول المحور أضمن للوصول إلى الأهداف والمصالح والحقوق العربية من صداقة الحلفاء، الذين لم ينسَ العرب ما عانوه من غدرهم في الحرب العالمية الأولى، وحنثهم بالوعود التي قطعوها على أنفسهم[٦]. واستطاع بعض القوميين العرب إقناع «ألمانيا وإيطاليا» بإظهار تعاطفهما مع التطلعات العربية نحو الاستقلال والوحدة، لكنهما ترددتا في

---

(٣) أحمد طربين، **الوحدة العربية بين ١٩١٦ ـ ١٩٤٥: بحث في تاريخ العرب الحديث منذ قيام الثورة العربية حتى نشوء جامعة الدول العربية** (تونس: معهد الدراسات العربية، ١٩٥٩)، ص ٢٠٨.

(٤) صلاح العقاد، **العرب والحرب العالمية الثانية** (القاهرة: جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٦)، ص ١٠.

(٥) علي محافظة، «النشأة التاريخية للجامعة العربية،» **المستقبل العربي**، السنة ٥، العدد ٤١ (تموز/يوليو ١٩٨٢)، ص ٧١.

(٦) فاضل البراك، **دور الجيش العراقي في حكومة الدفاع الوطني والحرب مع بريطانيا سنة ١٩٤١: دراسة تحليلية ونقدية ومقارنة للخلفيات الاجتماعية للقيادات السياسية والعسكرية**، ط ٢ (بيروت: ١٩٨٧)، ص ٢١٣.

البداية كثيراً، ثم أعلنتا تأييدهما، مستهدفتين من ذلك، ليس إثارة المتاعب لبريطانيا في هذه المنطقة، وإنما تهيئة الأجواء الملائمة لتحقيق أهدافهما واستراتيجيتهما في المنطقة العربية، في حالة انتهاء الحرب لصالحهما(٧). فقد أصدرت دول المحور تصريحين، جرى الإعلان فيهما عن تأييد المانيا وإيطاليا لاستقلال الوطن العربي ووحدته(٨).

فبريطانيا، ومن أجل مواجهة الشعور القومي العربي المتنامي والعمل على كسب وتأييد العناصر القومية لها، وتخفيف وطأة تدخلها العسكري في العراق، والقضاء على انتفاضة أيار/مايو ١٩٤١، بدأت تصريحاتها تنطلق تأييداً للعرب واستقلالهم ووحدتهم. وعلى رغم ذلك بقيت الحقيقة الماثلة للعيان، وهي أن السخط العربي على الغرب بوجه عام وبريطانيا بوجه خاص، لم يكن عرضياً أو جديداً بقدر ما كان إحساساً عميق الجذور في نفوس العرب(٩). والحقيقة الأخرى هي أن الواقع العربي كان يشكو فراغاً جماهيرياً، من خلال عدم مشاركة الجماهير العربية في النشاط السياسي، لأن الانحياز إلى هذا الطرف أو

---

(٧) لألمانيا وإيطاليا أطماع ومصالح قديمة في الوطن العربي. لمزيد من التفاصيل، انظر:
Matthew Smith Anderson, *The Eastern Question, 1774-1923: A Study in International Relations* (London: Macmillan, 1972), and Edward Mead Earle, *Turkey, the Great Powers, and the Baghdad Railway: A Study in Imperialism* (New York: Russell and Russell, 1966).

(٨) يذهب الكثير من المؤرخين والباحثين إلى أن موضوع الوحدة العربية كان المعزوفة الكبرى التي ترددها أجهزة إعلام هاتين الدولتين، إدراكاً منهما لأهمية هذا الموضوع بالنسبة للعرب، والحقيقة على عكس ذلك، فإن هاتين الدولتين كانتا تدركان مصالحهما في المنطقة العربية، وبالتالي ترددتا كثيراً في الإعلان عن تأييدهما لأماني العرب، هذه، إلا بعد إلحاح بعض القوميين العرب، فأعلنتا تصريحين فقط بتأييد طموحات العرب في الاستقلال والوحدة، وهما: التصريح الذي أذاعه راديو برلين في ٢٨ تشرين الأول/اكتوبر ١٩٤٠، للحكومة الألمانية، بالاتفاق مع حليفتها إيطاليا، وقد جاء فيه: «إن الشعوب العربية، وهي تجاهد وتكافح من أجل الاستقلال تستطيع أن تضمن عطف ألمانيا في المستقبل... وهي على اتفاق تام مع حليفتها إيطاليا». لكن التصريح الأكثر تأثيراً جاء في ٢/١١/١٩٤٣ حين وجه وزير الخارجية الألماني ريبنتروب (Ribbentrop)، وكذلك وزير الداخلية وقائد الحرس الخاص للرايخ هملر (Himmler)، رسالتين إلى قادة العرب المجتمعين لمناسبة ذكرى وعد بلفور يستنكران فيهما ذلك الوعد المشؤوم، وكل ما يترتب عليه، ويعلنان: «اعترافهما باستقلال الوطن العربي ووحدته بحسب رغبة سكانه». فاجتاحت الوطن العربي، اثر سماع خبر هاتين الرسالتين، موجة عارمة من الفرح والابتهاج والتقدير، تطلعاً للخلاص من الخطر الصهيوني، وأملاً في استقلال العرب وإقامة وحدتهم. لمزيد من التفاصيل، انظر: علي محافظة، **موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية، ١٩١٩ ـ ١٩٤٥**، مواقف الدول الكبرى من الوحدة العربية؛ ١ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٥)، ص ٣٤٣ ـ ٤١٣.

(٩) وميض جمال نظمي، «في تطور الفكرة القومية العربية،» **مجلة العلوم القانونية والسياسية** (القاهرة)، السنة ٣، العددان ١ ـ ٢ (كانون الثاني/يناير ـ شباط/فبراير ١٩٨٤)، ص ٣٦.

ذلك لم يكن قائماً على أسس ايديولوجية، كما كانت الساحة العربية تعاني من فراغ تنظيمي قومي، مما أدى إلى فشل حركة التحرر العربي في استثمار حالة التأجج القومي لدى الشعب العربي التي أفرزتها الحرب[١٠].

ثانياً: الوحدة في مناهج ومواقف الأحزاب والنوادي القومية (١٩٣٩ ـ ١٩٥٢)

١ ـ الأحزاب القومية

خلال سني الحرب العالمية الثانية برز اتجاه جديد في الحركة القومية العربية يدعو إلى الربط بين الوحدة العربية والاشتراكية. وقد مثل هذا الاتجاه حزب البعث العربي[١١]، الذي شكل نقطة تحول في تاريخ الحركة القومية العربية[١٢]، بربطه التحرر القومي بالتحرر الاجتماعي.

لقد تجاوز البعث العربي في نظرته القومية مرحلة إثبات وحدة الأمة العربية وتبرير دعوته القومية، كما كانت تذهب إليه بعض الحركات والتنظيمات القومية. فالفكرة العربية «بديهية خالدة، وهي قدر محبب، وإنها حب قبل كل شيء»[١٣]. وانطلق البعث أساساً من أن العرب أمة واحدة، وأن روحها روح واحدة، وأن النضال هو الذي ينقل الوحدة من حيز الإمكان إلى حيز الفعل والتحقق[١٤]. أما الفوارق بين أجزاء الوطن العربي فهي مصطنعة عرضية زائفة تزول جميعها بيقظة الوجدان العربي[١٥].

لقد جاءت دعوة البعث العربي لوحدة عربية شاملة تحققها الجماهير لا الحكام ولا الملوك ولا الطبقات الحاكمة، و«المساهمة الحرة الواسعة للجماهير نحو الوحدة هي سر قوة العرب وبداية النهضة العربية»[١٦].

---

(١٠) العقاد، **العرب والحرب العالمية الثانية**، ص ١٢.

(١١) فيصل السامر، «تطور الحياة الحزبية في الوطن العربي وأثر الحرب العالمية الثانية،» (بغداد: [د.ت.])، ص ١٥، مطبوع على الآلة الكاتبة.

(١٢) باسل الكبيسي، **حركة القوميين العرب** (بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٨)، ص ٣٨ ـ ٣٩.

(١٣) ميشيل عفلق، **الكتابات السياسية الكاملة** (بغداد: ١٩٨٦)، ج ١، ص ١٨٦.

(١٤) المصدر نفسه، ص ٢٥٧.

(١٥) حزب البعث العربي الاشتراكي، «دستور حزب البعث العربي الاشتراكي، الصادر في ٧ نيسان ١٩٤٧،» (بغداد: المكتب الثقافي، [د.ت.])، المبادئ الأساسية.

(١٦) عفلق، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٥١.

كانت دعوته للوحدة مرتبطة بالدعوة للتحرر من الاستعمار والتحرر من الاستغلال الطبقي. فالوحدة والحرية والاشتراكية، هي: أهداف أساسية متساوية في الأهمية، ولا يجوز فصل أو تأجيل بعضها عن البعض الآخر[١٧]. كما أن معركة الوحدة لا تنفصل عن معركة الحرية والتحرر وعن معركة الاشتراكية. والوحدة هي «المعيار لثورية الأفراد والجماعات ولثورية أمتنا في هذه المرحلة التاريخية»[١٨].

إذن هناك ترابط جدلي بين هذه الثلاثية (معارك الوحدة والحرية والاشتراكية)، وهي تفرض بالضرورة المواجهة النضالية من أجل تحقيقها، فالوحدة صراع داخلي ضد التجزئة ومصالحها، وخارجي ضد القوى الراغبة في تمزيق وتشتيت الوطن العربي.. والحرية سعي داخلي لضمان القيمة الإنسانية للإنسان العربي ورفض الاستبداد به، وخارجي للتحرر من تطويق النفوذ والمصالح الأجنبية في الوطن العربي، وذلك عن طريق تملك الخيار القومي لحرية قراره، في توجيه مصيره والتحكم في مقدراته.. والاشتراكية نضال داخلي من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية وضمان حقوق المواطنة وتكافؤ الفرص الحياتية، وخارجي يستهدف منع الاستغلال والتبعية للأجنبي.

والوحدة التي يناضل البعث العربي من أجل تحقيقها ليست منّة تمنح للجماهير، بل إن تحقيقها يتم بالإيمان بها والمعاناة والنضال في سبيلها، لذلك يرفض البعث الوحدة العربية، إذا كانت تُمنح من قبل الغير[١٩]: «لو أعطونا اليوم، أو في أي يوم، أو في أي وقت، أو غداً الدولة العربية، التي تتحقق فيها أهداف البعث، وقالوا إن الإيمان سيكون مفقوداً من حياة البشر الذين يكوّنون هذه الدولة المثلى، لقلنا إننا نفضل أن نبقى أمة مجزأة، وأمة مستعمرة ومستغلة ومظلومة حتى نصل من خلال الآلام، من خلال الصراع بيننا وبين قدرنا، بيننا وبين أنفسنا، إلى استكشاف حقوقنا الإنسانية»[٢٠].

---

(١٧) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٣١.

(١٨) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٦٥.

(١٩) رفض البعث الوحدة التي تمنح للجماهير حيث كانت، في تلك الفترة (عام ١٩٤٣)، تطرح المشاريع «الوحدوية» والتصريحات من قبل الدول الاستعمارية في هذا الاتجاه، فكان هذا الرفض إشارة صريحة لرفض تلك المشاريع من جهة، والتأكيد على جماهيرية الوحدة وتقدميتها وثوريتها من جهة أخرى.

(٢٠) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٠٦.

وقد أعطى البعث العربي، منذ البداية، الوحدة العربية مضمونها الإنساني، فهي: «حقيقة حية ذات مضمون إيجابي إنساني»(٢١). والارتباط بين القومية والإنسانية قوي إلى درجة تصبح معها إحداهما مرادفة للأخرى. ورفض البعث بعض الدعوات التي تعتبر القومية مرحلة مؤقتة أو درجة في سلم الارتقاء والتطور للمجتمعات(٢٢).

ورسالة العرب اليوم هي في بعث أمتهم، وهذا خير ما يقدمونه للإنسان، لأن القيم الإنسانية لا يمكن أن تخصب وتثمر إلا في أمة سليمة(٢٣). لذلك فإن أكبر خدمة يقدمها العرب للإنسانية هي أن ينهضوا بقوميتهم إلى مستوى الإنسانية(٢٤).

وأوضح دستور الحزب أن العرب أمة واحدة لها حقها الطبيعي في أن تحيا في دولة واحدة، وأن تكون حرة في توجيه مقدراتها، لهذا يعتبر الحزب:

١ ـ الوطن العربي وحدة سياسية اقتصادية لا تتجزأ، ولا يمكن لأي قطر من الأقطار العربية أن يستكمل شروط حياته منعزلاً.

٢ ـ الأمة العربية وحدة ثقافية، وجميع الفوارق القائمة بين أبنائها عرضية زائفة تزول جميعها بيقظة الوجدان العربي.

٣ ـ الوطن العربي للعرب، ولهم وحدهم حق التصرف بشؤونه وثرواته وتوجيه مقدراته(٢٥).

والحزب لا يعالج السياسة القطرية إلا من وجهة نظر المصلحة العربية العليا(٢٦). ونظام الحكم في الدولة العربية هو نظام نيابي دستوري، والسلطة التنفيذية مسؤولة أمام السلطة التشريعية التي ينتخبها الشعب مباشرة(٢٧). والسيادة هي ملك الشعب وإنه وحده مصدر كل سلطة وقيادة(٢٨). ونظام

---

(٢١) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٥.
(٢٢) المصدر نفسه، ص ٢٦.
(٢٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ١١٠.
(٢٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٥٦.
(٢٥) حزب البعث العربي الاشتراكي، «دستور حزب البعث العربي الاشتراكي، الصادر في ٧ نيسان/ابريل ١٩٤٧،» المبادئ الأساسية، م ١.
(٢٦) المصدر نفسه، مبادئ عامة، م ١.
(٢٧) المصدر نفسه، م ١٤.
(٢٨) المصدر نفسه، م ٥.

الإدارة في الدولة العربية نظام لامركزي[٢٩]. وكون الحزب اشتراكياً، فهو يؤمن بأن الثروة الاقتصادية في الوطن العربي هي ملك للأمة[٣٠]، وأن يكون توزيعها عادلاً على المواطنين[٣١]، وتكون مؤسسات النفع العام وموارد الطبيعة الكبرى ووسائل الإنتاج الكبير والنقل ملكاً للأمة وتديرها الدولة[٣٢]. وتحدد الملكية الزراعية والصناعية ويمنع استثمار جهد الآخرين[٣٣]. والتملك والإرث حقان طبيعيان ومضمونان في حدود المصلحة القومية[٣٤]. ويوضع برنامج شامل على ضوء أحدث التجارب والنظريات الاقتصادية لتصنيع الوطن العربي وتنمية الإنتاج القومي وفتح آفاق جديدة له وتوجيه الاقتصاد الصناعي في كل قطر بحسب إمكانياته وبحسب توفر المواد الأولية فيه[٣٥].

ولم يكن شكل ومضمون الوحدة العربية عند البعث العربي جامدين، بل كانا يتطوران باستمرار ويتغذيان من الواقع العربي، لذلك عبّر الحزب عنهما بصيغ متطورة، في كل مرحلة تاريخية عاشها، لذلك رفض التكور على مبادئ وأهداف مستخلصة من واقع الحياة العربية لفترات سابقة، إيماناً منه بأن ذلك الواقع يتغير باستمرار ويفرز حقائق جديدة بسبب تأثيرات مجموعة من العوامل الداخلية والخارجية العربية والدولية. فايديولوجية البعث أنضجت عبر مراحل طويلة، وهي ما تزال تتابع طريق التطور الطبيعي، طريق الإنضاج والتجدد[٣٦]. فلم تتوقف حركة الفكر الوحدوي البعثي، عند حد معين.

ولعلنا نستطيع القول في ضوء ما طرحه البعث العربي، خلال فترة بحثنا، أن الوحدة في نظره، هي:

١ ـ «ليست محصلة أو نتيجة لنضال الشعب العربي من أجل الحرية والاشتراكية، بل هي فكرة جديدة يجب أن ترافق وتوجه هذا النضال. إن

(٢٩) المصدر نفسه، م ١٦.
(٣٠) المصدر نفسه، م ٢٦.
(٣١) المصدر نفسه، م ٢٧.
(٣٢) المصدر نفسه، م ٢٩.
(٣٣) المصدر نفسه، م ٣٠ ـ ٣١.
(٣٤) المصدر نفسه، م ٣٤.
(٣٥) المصدر نفسه، م ٣٧.
(٣٦) الياس فرح، **تطور الايديولوجية العربية الثورية**، ٢ ج (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧١)، ج ١: **الفكر القومي**، ص ٤.

إمكانيات الأمة ليست مجموعاً عددياً لإمكانيات أجزائها في حالة الانفصال، بل هي أكثر في الكم ومختلفة في النوع»[٣٧]. إن شعار البعث العربي «يشير إلى مستوى الوحدة، إذ يقرنها بالرسالة، فالتفكير في الرسالة والكلام عليها لا يكونان مشروعين وجدّيين إلا على نطاق الوحدة»[٣٨].

٢ ـ الوحدة العربية عمل نضالي: فالوحدة «عمل له تنظيمه الذي يجب أن يحكم ويتسع حتى يسيطر على الظروف ويقلب الأوضاع. إذن فليست الوحدة عملاً آلياً، تتم من نفسها نتيجة الظروف والتطور، فالظروف لا تخدمها، والتطور قد يسير معاكساً لها نحو تبلور كاذب للتجزئة. فهي بهذا المعنى فاعلية وخلق وفعالية للتيار، وسباق مع الزمن، أي أنها تفكير انقلابي وعمل نضالي»[٣٩]. والنضال الوحدوي لا بد من أن يكون موحداً، حيث لا يحقق الشعب العربي وحدة النضال ما لم يمارس نضال الوحدة[٤٠].

٣ ـ الوحدة العربية تقدمية بمنطقها ومحتواها، فهي تبدأ من عدم الاعتراف بشرعية المصالح الإقليمية القائمة، وفضح المنتفعين بها. فلا وحدة مع الرجعية، ولا تقدمية مع التجزئة[٤١]. كما أنها لا تتم دفعة واحدة، بل من الطبيعي والمعقول أن تتم على مراحل. فالاتحاد بين قطرين أو ثلاثة هو مرحلة يجب أن تنصب عليها كل جهودنا حتى تثمر، وهي بدورها تسهل الوصول إلى مرحلة أعلى، إلى توحيد أوسع وأبعد[٤٢].

٤ ـ كما أعطى الحزب للوحدة أولوية وتقدماً ورجحاناً معنوياً على الاشتراكية والحرية، واعتبر كل نظرة ومعالجة لمشاكل العرب الحيوية، في أجزائها ومجموعاتها، لا تصدر عن «مسلَّمة» وحدة الأمة العربية، هي نظرة خاطئة ومعالجة ضارة، وأكد دوماً أن فكرة الوحدة العربية يجب أن ترافق نضال الشعب العربي في سبيل الحرية والاشتراكية[٤٣].

---

(٣٧) ميشيل عفلق، **البعث والوحدة**، ط ٢ (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٢)، ص ١١ ـ ١٢.

(٣٨) المصدر نفسه، ص ١٢.

(٣٩) المصدر نفسه، ص ١٢ ـ ١٣.

(٤٠) المصدر نفسه، وفرح، المصدر نفسه، ص ٨٧.

(٤١) عفلق، المصدر نفسه، ص ١٩٦.

(٤٢) المصدر نفسه، ص ٤٥ ـ ٤٦.

(٤٣) حزب البعث العربي الاشتراكي، **بعض المنطلقات النظرية التي أقرها المؤتمر القومي السادس في تشرين الأول ١٩٦٣** (بغداد: دار الحرية، ١٩٧٢)، ص ٢٧.

٥ ـ فالوحدة، إذن، ثورة بكل أبعادها ومعانيها ومستوياتها. وأدوات هذه الثورة، هي «الحزب القومي» الذي يشكل الحركة الشعبية الطلائعية[٤٤]. ولا بد من أن يتجسد فيه المجتمع المنشود، فيكون أمة مصغرة للأمة السليمة الراقية، التي يريد أن يبعثها[٤٥]. وهو ما يسعى الحزب لتحقيقه في ذاته. فهو لم يختر لنفسه اسم الحزب الاشتراكي، ولم يتسمَّ بالحزب الديمقراطي، على الرغم من أن الاشتراكية والحرية من أهدافه العليا، بل سمى نفسه بالبعث العربي، لأنه آمن بالوحدة العربية فكراً وعملاً، وجعل تنظيمه على أساس عربي شامل، كما أنه يسعى في داخله لخلق العربي القومي المؤمن بوحدته فكراً وسلوكاً، من خلال نشاطه لتحقيق الوحدة العربية التي ينشدها.

أما السياسة القومية للحزب العربي الاشتراكي[٤٦] كما وردت في دستوره، فهي: العرب أمة واحدة، وعليهم أن يؤلفوا دولة واحدة في وطن عربي واحد، وان مؤسسات العرب الروحية من أخلاقية وفكرية متحدة في أصولها العميقة في مختلف أدوار التاريخ، وان لغة العرب هي التي تعبر عن أصالتهم وطابعهم الذاتي وتماسك مؤسساتهم.. وتتجلى الأمة العربية في رسالتها الإنسانية القائمة على نشر روح التضامن والإخاء بين الأمم[٤٧].

وإن الوطن العربي هو كل أرض سكنها العرب، ونشروا فيها لغتهم وطبعوها بطابعهم، فأصبحت ضرورية لكيانهم. كما أن جميع المناطق التي اغتصبت من الأراضي العربية هي جزء من الوطن العربي. وإن القومية العربية إيمان عميق بعبقرية الأمة العربية ومقدرتها على التجدد، وعلى المساهمة في إنشاء الحضارة الإنسانية. وإن الحزب هيئة نضالية غايتها إذكاء الشعور القومي، حتى يؤمن كل فرد برسالة الأمة العربية، ويستعد للنضال في سبيل إنشاء كيان عربي

---

(٤٤) المصدر نفسه.

(٤٥) عفلق، **الكتابات السياسية الكاملة**، ج ١، ص ٩٢ ـ ٩٣.

(٤٦) يرجع تأسيس هذا الحزب إلى قائده أكرم الحوراني، الذي شكل عام ١٩٣٩ حركة الشباب التي ضمت لجنة من المثقفين في حماة، واتخذت في البداية طابعاً محلياً في مقاومة الإقطاع في منطقة حماة. وفي مطلع الخمسينيات انتشر في صفوف الفلاحين وامتد ليشمل بعض المدن السورية الأخرى، مما أدى بالتالي إلى عقد مؤتمره التأسيسي في كانون الثاني/يناير ١٩٥٠، وفيه تم تغيير اسم الحزب ليصبح الحزب العربي الاشتراكي، وليضع ويقرر في هذا المؤتمر دستوره. انظر حديث أكرم الحوراني في: هادي حسن عليوي، **دور حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق في الحركة الوطنية منذ تأسيسه حتى ١٤ تموز ١٩٥٨** (بغداد: مكتبة الشرق الجديد، ١٩٧٩)، ص ٣٩ ـ ٤١.

(٤٧) «دستور الحزب العربي الاشتراكي،» نقلاً عن: ساطع الحصري، **العروبة بين دعاتها ومعارضيها** (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٥٢)، ص ١٧١ ـ ١٧٢.

سليم. كما يستهدف الحزب إزالة الحواجز بين مختلف الطوائف الدينية والمذهبية والعنصرية والطبقية، بهدم النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الفاسدة، ووضع نظم تتفق مع طبيعة العرب وحاجاتهم في العصر الحديث. كما أن الحزب هيئة شعبية تؤمن بالقوى الكامنة بالشعب، وحشدها لقلب جميع الأوضاع الفاسدة، والسلطة العليا في الحزب مجموعة أفراد تؤلف طليعة العرب. ولا يجوز أن يتناول تعديل دستور الحزب نظام الحكم الجمهوري والمبدأ الاشتراكي والسعي لتحقيق الوحدة العربية(٤٨).

والحقيقة أن المشروع القومي للحزب العربي الاشتراكي جاء مقتضباً، خلافاً للمشروع القومي لحزب البعث العربي، على الرغم من توافقهما وعدم وجود تعارض بينهما(٤٩). صحيح أن الحزب العربي الاشتراكي أعطى الوحدة العربية مضمونها الجماهيري والثوري والإنساني، وآمن بالاشتراكية، إلا أن البعث كان أكثر تفصيلاً وعمقاً في تناوله لمفهوم الوحدة. وإذا كان الحزب العربي الاشتراكي قد أكد على النظام الجمهوري، والمبدأ الاشتراكي والسعي لتحقيق الوحدة العربية، فإن البعث العربي اعتبر أهدافه العليا، الوحدة والحرية والاشتراكية، وربط بين أهدافه، هذه، ربطاً جدلياً، وأعطى هدف الوحدة أولوية ورجحاناً على هدفيه الآخرين.

أما الأهداف القومية لحركة القوميين العرب(٥٠) فهي: العمل على تحرير

---

(٤٨) المصدر نفسه.

(٤٩) نظراً لتشابه مبادئ هذين الحزبين، وتقارب وجهات نظرهما حول الكثير من الأمور السياسية الداخلية والعربية، إضافة إلى الظروف الدكتاتورية التي عمت سوريا في عهد أديب الشيشكلي (١٧ كانون الأول/ديسمبر ١٩٤٩ ـ ٢٥ شباط/فبراير ١٩٥٤) وملاحقة أعضاء الحزبين ومطاردتهم من قبل السلطة، ولتوحيد نضالهما، تم دمج الحزبين، حزب البعث العربي والحزب العربي الاشتراكي وأصبحا حزباً واحداً، وذلك في ١٣ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٢ باسم حزب البعث العربي الاشتراكي. لمزيد من التفاصيل، انظر: عليوي، المصدر نفسه، ص ٣٩ ـ ٤٢، وجلال السيد، **حزب البعث العربي** (بيروت: دار النهار، ١٩٧٣)، ص ١٠٣ ـ ١٠٧.

(٥٠) كانت البداية التي بنت حولها حركة القوميين العرب تنظيمها، هي كتائب الفداء العربي التي أسسها كل من هاني الهندي، وجورج حبش، وجهاد الضاحي، في أعقاب نكبة عام ١٩٤٨. وجاءت أفكار الحركة استمراراً لما تبنته كتائب الفداء من أفكار لمازيني ـ مؤسس جمعية إيطاليا الفتاة ـ في ما يتعلق بمزايا الوحدة، ورفضه مقولة الصراع الطبقي، كما تأثروا بكل من بسمارك وكافور وبالتجارب القومية لكل من الوحدة الألمانية والوحدة الإيطالية، فكان لتلك الأفكار الأثر البعيد في أفكار الكتائب وبالتالي الحركة. وفي آذار/مارس ١٩٤٩ بدأت كتائب الفداء نشاطها في وضع الخطط لتدمير المؤسسات ولقتل الزعماء المسؤولين عن ضياع فلسطين عام ١٩٤٨. لمزيد من التفاصيل، انظر: الكبيسي، **حركة القوميين العرب**، ص ٤٣ ـ ٥١؛ محسن ابراهيم، لماذا.. **منظمة الاشتراكيين اللبنانيين، حركة القوميين العرب من الفاشية إلى** =

العرب من الاستعمار والاستعباد والفقر والجهل وسائر ضروب الوهم، والاتحاد في دولة عربية واحدة قوية متحضرة، تتمكن من صيانة كيان العرب المادي والمعنوي وترفع شأنهم، وتستمر في تأدية رسالتهم إلى الإنسانية والحضارة العالمية. وقد أعطت الحركة النضال السياسي من أجل الاستقلال والتحرر التام الأولوية على غيره من الأهداف[٥١].

كما أوضح دستور الحركة أنه ليس من مصلحة العرب، وهم في عهد نهضة كفاحية شاملة ضد الاستعمار الأجنبي، أن ينشغلوا عنها بالخلافات والمشاحنات حول المذاهب الاجتماعية والاقتصادية للأخذ ببعضها ومحاربة البعض الآخر، بحيث تجعل تلك الخلافات والمشاحنات منهم فرقاً وطوائف متشاحنة متصارعة تضعف قواهم الكفاحية، وتصرفهم عن الهدف السامي، بل عليهم أن يختاروا دولتهم وإصلاح شؤونهم الداخلية بعيداً عن الخلافات والنظرة الضيقة تجاه مصلحة الأمة[٥٢].

يبدو أن جورج حبش وبعض قادة كتائب الفداء المنحلة[٥٣]، استطاعوا الانضمام إلى جمعية العروة الوثقى[٥٤]، التي كانت لها رسالة قومية تقوم على بعض الأمور الأساسية التي تؤمن بها، وهي:

تنمية الروح الوطنية الحقة: والروح الوطنية الحقة في نظر العروة الوثقى،

= **الناصرية** (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٠)، ص ١٣ ـ ١٤، وفيصل جلول، «حركة القوميين العرب: قراءة جديدة لتجربة في ذمة التاريخ،» **الفكر العربي** (بيروت)، السنة ٤، العدد ٢٨ (تموز/يوليو ـ أيلول/سبتمبر ١٩٨٢)، ص ١٨٠ ـ ١٩٤.

(٥١) معن زيادة، «تقييم تجربة حركة القوميين العرب في مرحلتها الأولى،» ورقة قدمت إلى: **القومية العربية في الفكر والممارسة: بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية** (بيروت: المركز، ١٩٨٠)، ص ٣٢٥ ـ ٣٢٦.

(٥٢) المصدر نفسه، ص ٣٢٣.

(٥٣) أعلن جورج حبش، ومن بقي من عناصر كتائب الفداء حل هذه المنظمة، بعد أن استطاعت تنفيذ عدد من الهجمات على المفوضيات الأمريكية والبريطانية في بيروت وعدد من مقرات اليهود لممارستها نشاطاً صهيونياً في دمشق وبيروت. وكانت آخر أعمالها محاولة اغتيال أديب الشيشكلي، الذي كان يشغل منصب معاون رئيس أركان الجيش السوري في تشرين الأول/اكتوبر ١٩٥٠، وعلى أثر هذه العملية تعرضت المنظمة إلى حملة اعتقالات وملاحقة. انظر: الكبيسي، المصدر نفسه، ص ٤٩ ـ ٥٢.

(٥٤) يرجع تأسيس جمعية العروة الوثقى إلى عام ١٩٢٩، حيث تأسست في بيروت وضمت مجموعة من المثقفين والمفكرين ومن الطلاب الدارسين في الجامعة الأميركية ببيروت، أمثال: قسطنطين زريق، وكاظم الصلح، وتقي الدين الصلح، ومحمد فاضل الجمالي، واسماعيل الأزهري، وعادل عسيران، وفريد زين الدين. لمزيد من التفاصيل، انظر: زيادة، المصدر نفسه، ص ٣٢٥ ـ ٣٢٨.

هي العمل المخلص لتحقيق القومية العربية. والأساس الأول للإيمان بالقومية العربية هو الإيمان بأن العرب في أقطارهم المختلفة مستوفون للشروط التي تجعل منهم أمة واحدة. وما الفروق في مستوى المعيشة والتعليم والرقي إلا أموراً عرضية تزول بتمام الوحدة، والعرب في أقطارهم المختلفة سواء، والجوهر العربي واحد.

أما الإيمان بأن العرب وحدة تامة فليس مبنياً على اعتبارات عرقية. فالقومية الصحيحة لا ترتكز على (العنصر) الدم. إن العرب أمة واحدة تكونت تكوناً واحداً في تاريخها، الذي تدعمه لغة واحدة، وأدب واحد، ولأبنائها آمال واحدة يصبون إليها، وللغة مقام مهم في القومية العربية يفوق أهميتها لدى بقية القوميات، إذ يستحيل فصل التاريخ والتراث الأدبي والعلمي عند العرب، وفهم هذا التراث فهماً صحيحاً لا يتم من دون دراسة العربية واستيعابها استيعاباً حسناً. أما بلاد العرب فهي بقعة من الأرض تضم الجزيرة العربية والهلال الخصيب ووادي النيل وشمال أفريقيا(٥٥).

وكانت الجمعية قد تبنت الدعوة القومية في كل مراحل تطور الفكر القومي، إلا أن التعبير عن اتجاهات هذا الفكر ربما كان يتباين بحسب الكادر السياسي الذي يتولى إدارة الجمعية. وعموماً غلب الطابع القومي، الذي استند إلى كتابات الرواد الأوائل في المسألة القومية، وظل هذا الطابع هو السائد بحكم إشراف عدد من كتاب الفكر القومي التاريخي الذين عملوا في حقل التدريس في الجامعة الأميركية في بيروت، على الجمعية ونشاطها(٥٦).

واستطاع جورج حبش ورفاقه، في إطار العروة الوثقى، إنشاء هيئة باسم «شباب الثأر»، ثم أصبحوا يحملون اسم الشباب القومي العربي(٥٧). وكانت انتخابات اللجنة التنفيذية للجمعية مناسبة بارزة لطرح الأفكار القومية والسياسية في مباراة ديمقراطية نمَّت الثقافة القومية ووسَّعت انتشارها بين صفوف

---

(٥٥) **العروة** (بيروت)، السنة ١٨، العدد ٢ (كانون الأول/ديسمبر ١٩٥٢)، ص ٦٦.

(٥٦) من أبرز هؤلاء الرواد: قسطنطين زريق، ونبيه أمين فارس، ونقولا زياده، وادوار عطية، وألبرت حوراني، ومنح الصلح. انظر: غازي فيصل غدير الراوي، «حزب البعث العربي الاشتراكي في القطر اللبناني: النشأة والتطور،» (أطروحة دكتوراه، الجامعة المستنصرية، معهد الدراسات القومية والاشتراكية، ١٩٩١)، ص ٩٩.

(٥٧) عبد الوهاب الكيالي [وآخرون]، **الموسوعة السياسية**، ٧ ج (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨١ ـ ١٩٩٤)، ص ٢٢٣.

الطلبة[٥٨]. واستطاع حبش ورفاقه فرض سيطرتهم على انتخابات اللجنة التنفيذية عام ١٩٥٠، فأصبح حبش نائباً لرئيسها الدكتور قسطنطين زريق[٥٩]. وفي عام ١٩٥١ أبلغ حبش اللجنة التنفيذية عن انبثاق منظمة سرية جديدة، فرحب الجميع بالفكرة، وهكذا أعلن عن قيامها باسم «حركة القوميين العرب»[٦٠].

كان شعار الحركة في البداية «دم، حديد، نار، وحدة، تحرير، ثأر»، ثم «الوحدة، التحرر، الثأر»[٦١]، والملاحظ أن هذا الشعار يوضح بما لا يقبل الشك أن تأسيس هذه الحركة، كان رد فعل قومياً وثورياً على حالة التجزئة والخطر الصهيوني.

أما المنطلقات والمفاهيم الفكرية للحركة حول مفهوم القومية العربية، فإن الحركة تعتبر القومية العربية حقيقة أزلية أبدية أعيد اكتشافها مجدداً، بعد أن مرّت بمرحلتين: **الأولى** مثلت مرحلة التكوين والولادة، وهذه المرحلة قديمة قدم التاريخ، أما المرحلة **الثانية** فهي تمثل مرحلة التطور، وهي قبل ظهور الإسلام حتى الوقت الحاضر. وبهذا فإن القومية العربية ليست ظاهرة حديثة، وإنما حقيقة حية أزلية، والنقطة الثانية، هي أن القومية إنسانية نقية تقف في مواجهة القوميات غير الحقيقية، التي لا تظهر أية نزعة إنسانية واضحة[٦٢].

وإذا كانت المفاهيم القومية المستمدة من النظريات والتجارب القومية الأوروبية قد لعبت دوراً أساسياً في تحديد الأفكار القومية الأولى للحركة، فقد تأثرت الحركة بأفكار عدد من المفكرين القوميين العرب، حيث كان لعلي ناصر الدين[٦٣] تأثير مباشر في التطور السياسي للحركة في مراحلها المبكرة، حيث تنسب إليه مسؤولية تثبيت الخط السياسي للحركة القائم على تأييد أي مشروع وحدوي بغض النظر عن الجهة التي تعمل على تحقيقه. لذلك «لم تعترض الحركة على إحياء المشاريع البريطانية الساعية إلى خلق سوريا الكبرى والهلال

(٥٨) جمال الشاعر، «سياسي يتذكر،» الحلقة الثانية، **القبس** (الكويت)، ١١/٨/١٩٨٧.
(٥٩) الكبيسي، **حركة القوميين العرب**، ص ٤٣ ـ ٦٠.
(٦٠) زيادة، «تقييم تجربة حركة القوميين العرب في مرحلتها الأولى،» ص ٣٢٩.
(٦١) الكبيسي، المصدر نفسه، ص ٤٤.
(٦٢) الكيالي [وآخرون]، **الموسوعة السياسية**، ص ٢٢٣.
(٦٣) علي ناصر الدين، أحد رجالات القضية العربية في فترة ما بين الحربين، وعضو مؤسس لعصبة العمل القومي.

الخصيب، باعتبار أن مثل هذه المشاريع، إذا ما تمت، ستعجل في التخلص من النفوذ الأجنبي، عن طريق خلق دولة عربية كبرى»[٦٤]. كما وجدت الحركة في كتب ساطع الحصري، في المسألة القومية، ما يمكن أن يسد النقص الموجود من أدبيات خاصة بالحركة بشأن القضية القومية[٦٥]، وجاءت معالجات الحصري للقومية منسجمة مع النظرة القومية للحركة فهو «يشدد على العوامل الذاتية، ويقلل من أهمية العوامل الموضوعية»[٦٦]، تلك النظرة التي تمثل المفهوم القومي اللاشتراكي والمتأثرة بتجارب الوحدات القومية في أوروبا. وقد بلغ تأثر الحركة بساطع الحصري حد اعتبار القراءة المتكررة لكتبه العديدة شرطاً أساسياً لقبول الانضمام للحركة[٦٧].

وكان للبيئة الثقافية والفكرية المتمثلة في الجامعة الأميركية في بيروت، التي درس فيها قادة الحركة، أثر مهم في صياغة أفكار الحركة. فقد تولى الدكتور قسطنطين زريق الإشراف المباشر على تنشئة قادة الحركة فكرياً وسياسياً من خلال جمعية «العروة الوثقى»، حيث دعا زريق، من خلال الحلقات التثقيفية لطلبة الجامعة، إلى نبذ الثقافة التقليدية والأخذ بالمفاهيم الغربية وبمظاهرها العلمية، كما دعا الطلبة إلى وضع ثقافتهم في نخبة مخلصة تأخذ على عاتقها العمل على خلق دولة عربية موحدة[٦٨]. ولمواصلة تكوينها الثقافي، عمدت الحركة إلى وضع كتابي زريق: **الوعي القومي** و**معنى النكبة** على رأس قائمة الكتب المطلوب قراءتها في الحلقات الثقافية الخاصة بالحركة[٦٩]. كما أسهم الدكتور نبيه أمين فارس، لكن بدرجة أقل من زميله زريق، في تعميق الوعي القومي لعناصر هذه الحركة[٧٠].

فهذه إذن المصادر الرئيسية، التي شكلت الإطار النظري لحركة القوميين العرب، القائم على أساس المفهوم القومي الخالص الذي جعل منهم دعاة حل

(٦٤) الكبيسي، المصدر نفسه، ص ٦٠.

(٦٥) لم يصدر للحركة أي مؤلف أو كراس يتناول المسألة القومية في تلك الفترة.

(٦٦) **القومية والقومية العربية**، سلسلة الثقافة الثورية؛ ٨ (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٩)، ص ١٩.

(٦٧) زيادة، «تقييم تجربة حركة القوميين العرب في مرحلتها الأولى،» ص ٣٢٨.

(٦٨) المصدر نفسه، ص ٣٢٩.

(٦٩) المصدر نفسه.

(٧٠) المصدر نفسه، ص ٣٣٠.

سياسي لقضية الوحدة العربية، والمناداة تبعاً لذلك بالانصراف عن كل ما له مساس بالنضال الطبقي الاجتماعي والسياسي والاقتصادي. فقد وقفت الحركة ضد مناهضة الطبقات الإقطاعية والبرجوازية والأنظمة الرجعية لمجرد دعوتها للوحدة العربية التي كانت بالأساس دعوات للمحافظة على مصالحها[(٧١)]، بل اعتبرت كل دعوة إلى المطالب الإصلاحية (كالإصلاح الزراعي مثلاً)، إشارة لمعارك جانبية «من شأنها تبديد الجهد القومي الأساسي، الذي يجب أن يظل منصرفاً للنضال ضد التجزئة والاستعمار واليهود»[(٧٢)].

وقد أدركت الحركة النقص الايديولوجي الكبير لديها، مما حدا بعض قادتها على توجيه النقد لها. فبعبارات قاسية يعلق فيصل جلول على ذلك، بالقول: «إن الجانب الفكري في حياتها (حياة الحركة) كان معدوماً»[(٧٣)]، فيما يذكر باسل الكبيسي أن حركة القوميين العرب تبنت فكراً مثالياً يناقض نفسه، وفشل في التعامل مع الظروف الموضوعية للوطن العربي[(٧٤)]. وقد اعترف جورج حبش بذلك عندما قال إن منطلقات حركة القوميين العرب كانت مثالية، وإنها لا تستند إلى نظرية متكاملة. وبرر افتقاد الحركة البرنامج الاجتماعي بالقول: «من السابق لأوانه رفع شعار الاشتراكية الذي كان أول من رفعه البعث، ومنطلقنا في ذلك هو أن الثورة العربية تمر في مرحلتين متشابكتين ومتمايزتين في الوقت نفسه، المرحلة الأولى: مرحلة الثورة السياسية، والمرحلة الثانية: مرحلة الثورة الاجتماعية. أما الشعار الذي رفعناه، وهو وحدة، تحرر، ثأر، فقد كان من أجل تحقيق الثورة السياسية، ولم نهتم بالثورة الاجتماعية، فالتحرر في مفهومنا، آنذاك، لم يكن التحرر الاجتماعي، وإنما التحرر السياسي»[(٧٥)].

إزاء هذا الوضع أخذ بعض قادة الحركة في الكتابة في موضوعات تخص الفكر والتنظيم، كما أن المؤتمرات القومية للحركة حاولت سد بعض هذا النقص، أيضاً. لكن ذلك جرى في فترة لاحقة لفترة هذه الأطروحة.

---

(٧١) محسن ابراهيم، «في الديمقراطية والثورة والتنظيم الشعبي،» **الحرية** (بيروت)، العدد ١ (كانون الثاني/يناير ١٩٦٢)، ص ١٨.

(٧٢) المصدر نفسه.

(٧٣) جلول، «حركة القوميين العرب: قراءة جديدة لتجربة في ذمة التاريخ،» ص ١٩٠.

(٧٤) الكبيسي، **حركة القوميين العرب**، ص ٥٦ ـ ٥٧.

(٧٥) فؤاد مطر، **حكيم الثورة: قصة حياة الدكتور جورج حبش** (بيروت: [د.ن.]، ١٩٨١)، ص ٤٥ ـ ٤٨.

أما المشروع القومي لحزب الاستقلال في العراق(٧٦) فقد أوضحه برنامجه وصحفه، إذ تضمَّن منهجه الدعوة إلى تعزيز كيان العراق الدولي باستكمال سيادته، والعمل على تقوية الجامعة العربية، وجعلها عاملاً في تكوين نظام اتحادي بين البلاد العربية، ووسيلة للتعاون العالمي لخير الإنسانية وصيانة السلام العام والعمل على تحقيق الوحدة العربية(٧٧). كما دعا إلى أهمية العناية بالبلاد العربية كافة، ولا سيما الأجزاء غير المستقلة منها، وتمكينها من تقرير مصيرها وتحقيق استقلالها واتحادها مع دول الجامعة العربية(٧٨). وأكد أن الوطن العربي، بجميع أجزائه، وحدة اجتماعية يكمل بعضه بعضاً(٧٩)، وأن فلسطين يجب أن تبقى عربية، ومن أولى واجبات الحزب مكافحة الصهيونية، ومقاومة الوطن القومي لليهود، ومقاومة إنشاء كيان صهيوني فيها(٨٠).

ويلاحظ من منهج الحزب أنه أكد بوضوح سعيه إلى تحقيق الوحدة العربية من خلال إقامة نظام اتحادي بين الأقطار العربية، تكون الجامعة العربية الركيزة الأساس في الوصول إليه. وقد أوضح محمد مهدي كبة، رئيس الحزب، الشكل الاتحادي للدولة العربية بالوحدة الفدرالية، على غرار الشكل الاتحادي في الولايات المتحدة الأمريكية(٨١)، لأنه أقوى أشكال الاتحاد، ويكاد يكون بمثابة دولة موحدة مع فوارق جزئية. ولا ضير أن يتحقق هذا الاتحاد على مراحل تبدأ بالاتحاد الكونفدرالي ثم تصل إلى الوحدة الفدرالية، ويكون الاتحاد الكونفدرالي مع الأقطار المتقاربة جغرافياً، وكالآتي(٨٢):

١ ـ الجزيرة العربية والعراق وسوريا والأردن وفلسطين.

---

(٧٦) أجيز حزب الاستقلال في ٢/٤/١٩٤٦، وضمت هيئته المؤسسة، الشباب القومي الذي مارس العمل السياسي في الثلاثينيات من خلال المنظمات القومية: جمعية الجوال ونادي المثنى بن حارثة الشيباني، وقد ساهم هؤلاء بشكل فاعل في انتفاضة العراق في عام ١٩٤١، ومن بينهم محمد مهدي كبة، وفائق السامرائي، وداود السعدي، ومحمد صديق شنشل، وعبد الرزاق الظاهر، وابراهيم الراوي وغيرهم. لمزيد من التفاصيل، انظر: عبد الأمير هادي العكام، **تاريخ حزب الاستقلال العراقي، ١٩٤٦ ـ ١٩٥٨**، سلسلة دراسات؛ ٢١٦، ط ٢ (بغداد: دار الرشيد، ١٩٨٦)، ص ١٧ ـ ٢٧.

(٧٧) حزب الاستقلال، «النظامان الأساسي والداخلي،» (بغداد: ١٩٤٦)، ص ٤ ـ ٥.

(٧٨) المصدر نفسه، ص ٣.

(٧٩) المصدر نفسه، ص ٥.

(٨٠) المصدر نفسه، ص ٣.

(٨١) محمد مهدي كبة، **حديث الجمعة** (بغداد: دار دجلة، ١٩٤٧)، ص ٩٢.

(٨٢) **لواء الاستقلال**، ١٨/١٠/١٩٤٩.

ويكون لهذين الاتحادين مجلس دائم، يكون مسؤولاً عن: الدفاع، الشؤون الخارجية، العملة، المواصلات، الجمارك، حماية الأقليات، التعليم.

في حين نجده طوَّر هذه النظرية في عام ١٩٥١ إلى العمل لتحقيق الوحدة العربية، بغض النظر عن الشكل والمضمون، ومهما اختلفت الوسائل لتحقيقها. المهم قيام الدولة العربية، وإنهاء الحواجز المصطنعة، واستثمار وحدة التاريخ المشترك والمصير الواحد، وضمان المستقبل الواحد للأمة العربية التي عجزت الأمم عن تذويبها عن طريق التجزئة[٨٣].

ودعت جريدة الحزب إلى توفير الأجواء المناسبة والممهدة لأي عمل وحدوي، وذلك بالكفاح المستمر لتحرير أجزاء الوطن العربي المستعمَرة، والتخلص من المعاهدات المفروضة على كل قطر عربي، ونبذ الخلافات والسعي لإيقافها[٨٤].

ومنذ البداية، التفت هذا الحزب إلى أهمية الجانب الاقتصادي في الوحدة، فأكد منهجه أهمية الوحدة الاقتصادية كأساس للوحدة السياسية، وذلك عن طريق «بناء سياسة مالية موحدة بين البلاد العربية وتوحيد النقد والإدارة الجمركية، وأن تخضع لمجلس جمركي أعلى»[٨٥]. كما دعا إلى تصنيع البلاد (العراق) بالتعاون مع الأقطار العربية الأخرى، وتأمين التكتل الاقتصادي في ما بينها في استثمار الموارد الأولية، وتسهيل الهجرات في ما بينها، وفق وسائل حددها في منهجه، وتوزيعها توزيعاً علمياً، وفقاً لاختصاص كل قطر، لمنع المزاحمة وتنظيم الاستيراد والتصدير والقروض بينها، وتأسيس مصرف مركزي متحد للبلاد العربية[٨٦].

وطرح الحزب مستلزمات تحقيق الوحدة الاقتصادية العربية، وحددها بما يلي[٨٧]:

١ ـ تأمين التبادل التجاري بين الأقطار العربية وتنشيط الاستيراد

(٨٣) **لواء الاستقلال**، ١٩٥٠/١١/٥.

(٨٤) **لواء الاستقلال**، ١٩٤٦/٨/٦.

(٨٥) حزب الاستقلال، «النظامان الأساسي والداخلي،» ص ١٢.

(٨٦) المصدر نفسه.

(٨٧) **لواء الاستقلال**، ١٩٤٩/٦/٢٨.

والتصدير وفتح الأسواق للبضائع المفقودة من بعض الأقطار العربية. واستنكر الحزب ما وصل إليه الحال من أن يكون الإنكليز وسطاء مع السوريين في استيراد البضائع الزراعية كالتمر والجلود والتبوغ وغيرها من العراق.

٢ ـ توحيد النقد، لأنه يشكل اللبنة الأولى والأكثر ضرورة لتحقيق الوحدة الاقتصادية، وذلك لوضع حد للأزمات الاقتصادية الناشئة عن قيود التصدير المحلية وقيود الاستيراد الناشئة عن قيود العمل، وهذه تشكل حصاراً اقتصادياً سعى الاستعمار إلى تثبيت حلقاته وتضييقه يوماً بعد يوم، وهو حصار أحدث كوارث مالية واجتماعية خطيرة الأثر في حاضر الأمة العربية ومستقبلها، ودعا الحزب الجامعة العربية إلى المباشرة بتنفيذ ذلك[٨٨].

٣ ـ إقامة أمانة عامة اقتصادية تنظم سبل التعاون الاقتصادي بين أعضائها ووضع برنامج للتعاون الاقتصادي بين الأقطار العربية بلا تردد أو تمييز[٨٩].

٤ ـ وضع منهج شامل ومنسق للتصنيع، كي يمكن التركيز على الصناعات الوطنية الضرورية وتوزيعها وتحديد أسواق تصريفها بتكافؤ بين الأقطار العربية، ولتأمين التكتل الاقتصادي بين الأقطار العربية لاستثمار المواد الأولية، ومنع الوقوع تحت سيطرة النفوذ الاستثماري للمستعمر[٩٠].

٥ ـ تسهيل انتقال الرأسمال العربي والأيدي العاملة العربية بين الأقطار العربية وتشجيعها بكل الوسائل[٩١].

كما نشط الحزب في العمل لتحقيق بعض المشاريع الوحدوية[٩٢]، وبذلك يكون حزب الاستقلال قد ركز نشاطه لتحقيق الوحدة العربية، من خلال تثقيف الجماهير بأهمية الوحدة العربية وأساليب تحقيقها، إضافة إلى إسهامه الفعلي في العمل على تحقيق كل محاولة وحدوية جادة، باذلاً جهوداً كبيرة لتحقيق أهدافه وأغراضه الوحدوية.

أما حزب النهضة العربية[٩٣] فقد أكد نظامه الداخلي على: تحقيق الأماني

---

(٨٨) **لواء الاستقلال**، ٢٥/١٠/١٩٤٧.

(٨٩) **لواء الاستقلال**: ١٥/٦/١٩٤٦، و١٦/٦/١٩٤٦.

(٩٠) **لواء الاستقلال**، ٢٨/٦/١٩٤٦.

(٩١) **لواء الاستقلال**، ١٩/١٢/١٩٤٦.

(٩٢) وهو ما سنتناوله في الفصل الخامس من هذا الكتاب.

(٩٣) تأسس حزب النهضة العربية في عمان في أيار/مايو ١٩٤٧ وحل نفسه عام ١٩٥٠. انظر: عبد الله نقرش، **التجربة الحزبية في الأردن** (عمان: ١٩٩١)، ص ٤٣.

القومية، وأهداف الثورة العربية الكبرى، والعمل على نهضة البلاد سياسياً وثقافياً واقتصادياً(٩٤).

ويؤمن الحزب بتحقيق الوحدة العربية بشكل تدريجي، من خلال إقامة وحدات إقليمية، وأبرز تلك الوحدات، هي تحقيق «سوريا الكبرى»، كما أكد الحزب على حرية الإنسان العربي والنهج الديمقراطي(٩٥). وأكد ضرورة التعامل مع القضايا العربية من المنطلق القومي بعيداً عن القطرية، فهو لا يؤمن بأن يمارس أي قطر عربي سياسته من المنطلق القطري، ولا يمكن للأمة أن تحقق أي إنجاز سياسي أو اقتصادي أو نهضوي من دون التنسيق العربي، وهو الأسلوب الأمثل والأسمى للوصول إلى وحدة الوطن العربي. وكان هذا الأسلوب، هو الذي اتبعته أوروبا الغربية، مع الاختلافات الكثيرة بينها، حيث ان الوطن العربي يتميز من أوروبا الغربية بكونه يضم أمة واحدة تمتلك كل مقومات الأمة(٩٦).

٢ ـ النـوادي القوميـة

تشكّل خلال الفترة ١٩٣٩ ـ ١٩٥٢ عدد من النوادي والجمعيات الثقافية والاجتماعية والسياسية ذات الطابع القومي في المشرق العربي. وكان من أبرز تلك النوادي:

نادي الاتحاد العربي في القاهرة(٩٧)، الذي نشط خلال فترة التحرك لإقامة جامعة الدول العربية، حيث نشر مؤسسه نداءً دعا فيه إلى تجديد فكرة الوحدة العربية وتركيزها في اتحاد شعبي بين الأقطار العربية(٩٨).

ورفض النادي الطائفية المذهبية، وأكد في قانونه أن العرب أمة واحدة

---

(٩٤) المصدر نفسه، ص ٤٠.

(٩٥) رناد الخطيب عياد، **التيارات السياسية في الأردن ونص الميثاق الوطني الأردني** (عمان: المؤلفة، ١٩٩١)، ص ٧٦.

(٩٦) المصدر نفسه، ص ٧٦ ـ ٧٧.

(٩٧) كانت البداية تأسيس جمعية الاتحاد العربي في القاهرة عام ١٩٤٢، وأنشأت هذه الجمعية نادي الاتحاد العربي، وأصدر قانونه في ٢٥/٢/١٩٤٢، ويعتبر النادي امتداداً للرابطة الشرقية التي تأسست عام ١٩٢٧، بحسب ما ذكره مؤسس النادي فؤاد أباظة. لمزيد من التفاصيل، انظر: نبيه بيومي عبد الله، **تطور فكرة القومية العربية في مصر** (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥)، ص ١٧٨ ـ ١٧٩.

(٩٨) «الاتحاد العربي: أغراضه ونظامه،» **الرابطة العربية** (١٧ نيسان/ابريل ١٩٤٣).

بالجنس والاستعراب، لا فرق بين مسلم وقبطي[٩٩]. وحدد النادي أهدافه بتنمية العلاقات وتقوية الروابط بين الأقطار العربية والسهر على مصالحها والدفاع عن حقها، والعمل على إنشاء جمعيات ونواد مماثلة في تلك الأقطار[١٠٠].

وذكر مؤسسه أن القائمين على النادي يهمهم التقارب بين الأقطار العربية ثقافياً واقتصادياً، وأن هذين العاملين يؤديان حتماً إلى التقارب[١٠١]. ونص قانون النادي على أن تكون لكل قطر شخصيته الدولية، فـ «الاتحاد الدولي» في مظهره الجديد لا يبغي نظاماً واحداً في الحياة، بل يختار كل قطر ما يوافقه من نظام الحكم وصور الحياة. ويأتي هذا الاتحاد الذي ندعو إليه ليضمها في مجموعة شعبية دولية، يحسب لها حسابها، وليكون قوة تستند إليها الحكومات في مباحثاتها حول الغاية المنشودة[١٠٢].

نشط النادي عربياً، فشكل في نيسان/ابريل ١٩٤٣، لجنة مهمتها الاتصال بالحكومات العربية للتعرف على وجهات نظرها في موضوع الوحدة العربية[١٠٣]. ويذكر أن محمد علي علوبه وعبد الرحمن عزام، عضوي هذه اللجنة، قد صاغا في الوقت ذاته، وثيقة بعنوان «ميثاق الأمة العربية» تضمن المبادئ التالية[١٠٤]:

١ ـ يؤلف العرب أمة واحدة، تعيش في بقعة تمتد من المحيط الأطلسي إلى المحيط الهندي، توحدها الأصول الواحدة والتاريخ المشترك والإرادة الواحدة.

---

(٩٩) المصدر نفسه.

(١٠٠) المصدر نفسه. وفعلاً نجح قادة النادي في تشجيع بعض العناصر القومية في بعض الأقطار العربية على تأسيس نواد في أقطارهم، فكانت هناك نوادٍ مماثلة في بغداد ودمشق والمغرب وغيرها، ومن قادة هذا النادي: فؤاد أباظة، ومحمد علي علوبة، وعلي ماهر، وتوفيق دوس، وجلال الأورفه لي، واستمر النادي في نشاطه عشر سنوات. انظر: جلال الأورفه لي، **الدبلوماسية العراقية والاتحاد العربي** (بغداد: المكتبة العصرية، ١٩٤٤)، ج ١.

(١٠١) عبد الله، **تطور فكرة القومية العربية في مصر**، ص ١٧٩.

(١٠٢) «الاتحاد العربي: أغراضه ونظامه».

(١٠٣) ضمت اللجنة كلاً من: محمد علي علوبة، وعبد الرحمن عزام، وعبد الستار الباسل، والدكتور منصور فهمي، ومحمود عبد اللطيف، ونوري فتاح، وسامي السراج، وأحمد الخليل. انظر: محمد عمارة، **العروبة في العصر الحديث: دراسات في القومية والأمة** (القاهرة: دار الكاتب العربي، ١٩٦٧)، ج ٢، ص ٢٣٥.

(١٠٤) نقلاً عن: محافظة، **موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية، ١٩١٩ ـ ١٩٤٥**، ص ١٥٢ ـ ١٥٣.

٢ ـ ترفض الأمة الاستعمار بجميع أشكاله.

٣ ـ تدين الأمة العربية الاستعمار الصهيوني في فلسطين، وتسعى إلى مقاومته بكل الوسائل.

٤ ـ لا يسمح لشعب عربي أن يمارس سياسة خاصة تتعارض والمصلحة العامة للأمة العربية، وليس لأي شعب عربي حق في أن يقيم مع أي شعب آخر تعاوناً يضر بمصالح شعب عربي آخر.

٥ ـ تعتبر صديقة للعرب كل دولة أو منظمة سياسية تظهر ودها وتعاطفها مع الأمة العربية وتساندها وتهرع لمساعدتها. ويعتبر عدواً للعرب كل من يقف في طريق الأمة العربية أو يحرض عليها ويستعمل العنف ضدها.

٦ ـ تحتفظ «الشعوب» العربية، في نطاق الوحدة، بخصائصها ومزاياها. وكل شعب عربي شقيق لـ «الشعوب» العربية يساندها ويهرع لمساعدتها، ويطالب بحريتها التامة وحقها في تقرير مصيرها.

٧ ـ تتطلع الأمة العربية نحو وحدتها الثقافية والاقتصادية.

٨ ـ ليس للوحدة العربية شكل محدد للحكم، ولا نظام معين من أنظمة الحكم الأولية يفرض على «الشعوب» العربية، ولهذه «الشعوب» أن تختار بحرية شكل الوحدة التي تريدها.

٩ ـ الحرب بين العرب محظورة، وكل نزاع بينهم تتم تسويته بالتحكيم.

١٠ ـ الوحدة العربية ليست موجهة ضد أية أمة، وإنما تستهدف صون السلم العالمي.

ونشط النادي في تقديم المذكرات والبيانات المؤيدة والمساندة لقضايا النضال العربي، خاصة القضية الفلسطينية، وأرسل أموالاً وأسلحة لمساعدة الثوار العرب في فلسطين[١٠٥].

أما المشروع القومي لنادي الاتحاد العربي في بغداد[١٠٦]، فهو في السعي

---

(١٠٥) يجدر بالذكر أن مصطفى نحاس، رئيس الوزراء المصري، آنذاك، حظر على صحف حزبه **الوفد** نشر أي خبر عن نادي الاتحاد العربي ونشاطاته، فاضطر النادي إلى نشر بياناته في الصحف الصادرة باللغة الفرنسية، في القاهرة، مما أدى بالتالي إلى عدم انتشار أفكاره في صفوف الأوساط الشعبية، واقتصارها على بعض أفراد النخبة المثقفة. انظر: المصدر نفسه، ص ١٥٣.

(١٠٦) تأسس نادي الاتحاد العربي في بغداد في ١٧ شباط/فبراير ١٩٤٢، ومن مؤسسيه تحسين العسكري، ونجيب الراوي، وابراهيم حمود الشابندر، وابراهيم الدين الواعظ، وعبد الرزاق الأورفلي، ورايح العطية، ورؤوف الكبيسي، وسليمان فتاح ومحمد سليم الرفيعي. نقلاً عن: خالد حسن جمعة، «الوحدة العربية في مناهج ومواقف الأحزاب العراقية، ١٩٢١ ـ ١٩٥٨،» (أطروحة دكتوراه، الجامعة المستنصرية، معهد الدراسات القومية والاشتراكية، ١٩٩١)، ص ١٧٣.

لتوثيق الروابط الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بين الأقطار العربية، وتعميق الروح العربية ونشر فكر الثورة العربية بين صفوف الشعب، وصولاً لتحقيق الاتحاد العربي، ومقاومة الاتجاهات المضادة للوحدة العربية[١٠٧].

كما دعا النادي إلى توظيف الجهود العربية، بكل روح وحماس، لتحقيق الوحدة، من خلال[١٠٨]:

١ ـ تنمية العلاقات وتقوية الروابط بين الأقطار العربية، والسهر على مصالحها والدفاع عن حقوقها.

٢ ـ السعي المتواصل لإيجاد الاتحاد العربي بين الأقطار العربية لبث الروح القومية وتقوية المشاعر الثقافية والاقتصادية بينها، ويتم ذلك من خلال:

أ ـ المحافظة على المزايا العربية والتقاليد الإسلامية والمبادئ الديمقراطية وتقوية الروابط بين العرب عن طريق الندوات والمؤتمرات.

ب ـ مقاومة المبادئ الإقليمية بخطة عربية مشتركة.

ج ـ توحيد المساعي المشتركة لتنفيذ المبادئ القومية، والمطالبة بتحقيق الاتحاد العربي بالوسائل المشروعة التي تؤدي إلى كيان قومي متحد في المبادئ والعمل والغاية. لذلك يسعى النادي إلى الاتصال بالحكومات العربية وممثليها مع إعداد الرأي العام في الدول الأجنبية لمناصرة القضية العربية.

والحقيقة أن نادِيي الاتحاد العربي في القاهرة وبغداد، ظلا مقتصرين في عضويتهما على عدد محدود من النخبة المثقفة، بيد أن النادي في القاهرة كان أكثر نشاطاً من أخيه النادي الذي في بغداد، وقد يرجع ذلك إلى النشاط الواسع في القاهرة، في تلك الفترة، للتباحث حول إقامة جامعة الدول العربية. أما من حيث منهاجهما فصفة التشابه واضحة بشكل عام، لكن برنامج نادي بغداد أكثر تفصيلاً وتعبيراً لمفردات لغته القومية، فلا نجد مثلاً عبارات، مثل: «أمم» و«شعوب» عربية.

من جانب آخر يبقى المنهجان متخلفين جداً عن مناهج نوادٍ وجمعيات قومية سبقتهما، وبشكل خاص، منهجي جمعية الجوال ونادي المثنى بن حارثة الشيباني.

---

(١٠٧) المصدر نفسه.

(١٠٨) المصدر نفسه، ص ١٧٣ ـ ١٧٤.

أما المشروع القومي لنادي البعث العربي[109]، فهو في تحقيق الاتحاد العربي كخطوة أساسية للوصول إلى الوحدة العربية. فقد أشار في نظامه إلى أن غايته هي: بث الفكرة القومية وإنماء الشعور القومي الصادق، وتشجيع البحث العلمي للقضايا العربية العامة، والتأليف بين جهود المفكرين والعاملين في خدمة الوطن العربي لرفع المستوى الثقافي والاجتماعي والاقتصادي[110].

حدد رئيس النادي أهداف النادي وفلسفته، بالقول: إن فلسفة النادي فلسفة قومية وحدوية صريحة تكون حافزاً للتنظيم وباعثة على العمل المشترك، وتتلخص هذه الفلسفة بكلمتين، هما: التجديد والتوحيد.. لكي نتطلع للمستقبل[111]. وأشار ميثاق النادي إلى أن القومية العربية تعمل من الوجهة السياسية على تحقيق أهداف الأمة الأساسية التي تتلخص في تحرير الأمة العربية وتحقيق اتحادها بجميع أجزاء الوطن العربي، ورفع مستوى الفرد إلى الحد الذي يستطيع معه ممارسة حقوقه السياسية، ويمكنه من مسايرة متطلبات الزمن[112]. أما سياسة العرب الخارجية فتقوم على أساس «أننا أمة واحدة» و«لنا مصلحة نهائية واحدة»، وغايتنا «الاستقلال التام والاتحاد بين أجزاء الوطن العربي»، والتعامل في الميدان الدولي على أساس صادق من «الاحترام المتبادل ورعاية المصالح القومية»[113].

كما بيّن ميثاق النادي أن القومية العربية كعقيدة وحركة لها خصائصها «الشعبية والديمقراطية والاشتراكية الإيجابية، الشاملة التضامنية»، وأن «الحركة

---

(١٠٩) تأسس نادي البعث العربي، في بغداد، في ١٩ أيار/مايو ١٩٥٠، وكان أغلب مؤسسيه أعضاء في جمعية الجوال ونادي المثنى. استمر النادي حتى عام ١٩٥٤، عندما أصدرت حكومة نوري السعيد المرسوم رقم (١٩) لسنة ١٩٥٤ الذي صدر في الأول من أيلول/سبتمبر ١٩٥٤ وألغى كل الجمعيات والنوادي ودور التمثيل المجازة في العراق. لكن هذا النادي عاود نشاطه في كانون الأول/ديسمبر ١٩٥٤ بعد إجازة وزارة الداخلية له، ليحل ثانية في ٢٦ كانون الأول/ديسمبر ١٩٥٦، نتيجة إعلان الأحكام العرفية وإلغاء نشاط الجمعيات والأحزاب. لمزيد من التفاصيل، انظر: جعفر عباس حميدي، «نادي البعث العربي، ١٩٥٠ ـ ١٩٥٦،» **آفاق عربية**، السنة ١٤، العدد ١ (كانون الثاني/يناير ١٩٨٩)، ص ٦٢ ـ ٦٣، و**حضارة العراق**، تأليف نخبة من الباحثين العراقيين، ١٣ ج (بغداد: دار الحرية، ١٩٨٥)، ج ١٣، ص ١٧٧ ـ ١٧٨.

(١١٠) جمعة، المصدر نفسه، ص ٢٠٧.

(١١١) **اليقظة**، ١٠/٦/١٩٥١.

(١١٢) المصدر نفسه.

(١١٣) عبد الرحمن البزاز، **من وحي العروبة**، ط ٢ (القاهرة: دار القلم، ١٩٦٣)، ص ١٤٩.

الصهيونية إحدى الأدوات التي تحول دون تحقيق الوحدة العربية»[١١٤].

تلك الوحدة التي يسعى إليها النادي، واعتبرها هدفاً قومياً أسمى تتذرع القومية العربية لبلوغه بكل الوسائل الممكنة، ومنها النظم الاتحادية التي ترى فيها خطوة عملية لهذه الوحدة[١١٥].

فالأقطار العربية على اختلاف أنواعها وأنظمة حكمها، وعدد سكانها وتباين مواردها واختلاف أهميتها السوقية والجغرافية، قوة بشرية واقتصادية واجتماعية وسياسية لا سبيل لظهورها على أكمل وجه إلا حين تتفاعل وتتعاطف وتتكامل مع بقية أجزاء الوطن العربي الكبير الواحد[١١٦].

والأمة العربية لا تستطيع أن تكشف عن ذاتها وتظهر ملكاتها، كاملة غير منقوصة، حين تبقى أقطارها مشتتة متباعدة، يعبث الأجنبي بقسم منها، ويحاول الاستعمار الإبقاء على نفوذه السافر والمستتر في القسم الآخر، وتعمل قوى الرجعية والانتهازية على تبديد ملكاتها وتحوير أهدافها في أجزاء أخرى، لذلك رفع النادي شعار: تحرير الأمة العربية وتحقيق اتحادها بجميع أجزاء الوطن العربي[١١٧].

واتحاد الأقطار العربية يتم في نظر النادي عن طريق التدرج، أي تحقيق الاتحاد بين قطرين أو أكثر للوصول إلى الاتحاد العربي كخطوة أساسية لتحقيق الوحدة التي اعتبرها حتمية التحقيق والدعوة إليها طبيعية[١١٨].

وَعدَّ النادي تحقيق الوحدة الاقتصادية خطوة أساسية لتحقيق الاتحاد العربي نظاماً سياسياً واحداً، ويتم ذلك باستغلال رؤوس الأموال العربية، وحرية انتقالها من قطر إلى آخر، وتأسيس سوق إقليمية عربية، وبناء الصناعات العربية على أساس التخصص والإنتاج الواحد، وتحقيق الاستقلال الاقتصادي للأقطار العربية، وضمان توحيد النقد، وتأسيس نظام مصرفي عربي مشترك[١١٩].

---

(١١٤) **البعث العربي**، العدد ١ (١٥ كانون الأول/ديسمبر ١٩٥١).

(١١٥) المصدر نفسه.

(١١٦) **الميثاق القومي العربي**، منشورات نادي البعث العربي؛ ١ (بغداد: [نادي البعث العربي]، ١٩٥١)، ص ١٨.

(١١٧) المصدر نفسه.

(١١٨) عبد الرحمن البزاز، «الاتحاد العربي بين مناصريه ومعارضيه،» **البعث العربي**، العدد ١ (١٥ كانون الأول/ديسمبر ١٩٥١).

(١١٩) **الميثاق القومي العربي**، ص ١٨.

وحدد النادي الوسائل التي يمكن بها تحقيق الاتحاد، عن طريق إنشاء الأحزاب السياسية والنوادي القومية المؤمنة بأهمية الاتحاد بين الأقطار العربية كافة، للقيام بإزالة الأوهام العالقة في أذهان بعض المخلصين من معارضيه، ولترد على الافتراءات التي يروجها خصوم الأمة العربية في داخل الوطن العربي وخارجه[١٢٠].

والحقيقة أن النادي قد لعب دوراً بارزاً، خاصة في الجانب الثقافي ومساندته حركات التحرر العربي. واعتبر القضية الفلسطينية محور النضال العربي للتحرير من السيطرة الاستعمارية، هذا التحرير الذي يشكل خطوة أساسية لتحقيق الوحدة العربية. واعتبر الصهيونية حركة اعتدائية استعمارية تهدف إلى إنشاء كيان صهيوني في فلسطين، ليسيطر على الوطن العربي سياسياً واقتصادياً، ويحول دون تحقيق وحدته واستقلاله[١٢١]، إلا أن ضعف إمكانيات النادي المادية من جهة، وانشغال أعضائه بأعمالهم الوظيفية، من جهة أخرى، أدى إلى إخفاق النادي في تعميق صلته مع المنظمات والأحزاب القومية[١٢٢]، وبالتالي أخفق في تحقيق الأهداف التي سطرها في ميثاقه.

وهكذا يكون نادي البعث العربي:

١ ـ قد شكل امتداداً للمنظمات القومية العربية التي ظهرت في العراق، منذ الثلاثينيات، وبخاصة جمعية نادي الجوال ونادي المثنى بن حارثة الشيباني.

٢ ـ آمن بالوحدة العربية، ولم يمنعه أي عائق من الوصول إلى هذا الهدف عن طريق النظام الاتحادي وبخطوات عملية، وشجع وأيد أية خطوة اتحادية بين قطرين أو أكثر للوصول إلى الاتحاد الشامل كخطوة أساسية نحو الوحدة.

٣ ـ ربط بين التحرر من السيطرة الاستعمارية وتحرير فلسطين وتحقيق الوحدة العربية، وبذلك يكون منظوره للوحدة العربية منظوراً تحررياً استقلالياً.

---

(١٢٠) **البعث العربي**، العدد ١ (١٥ كانون الأول/ديسمبر ١٩٥١). أعتقد أن النادي قزم أهداف ومهام الأحزاب القومية، ليجعلها مهمات ثقافية، في حين أن دورها القومي والحضاري يحتم عليها النشاط الفكري والسياسي والاجتماعي لخلق قاعدة جماهيرية واعية مؤمنة بوحدة الأمة العربية، بل وقيام هذه الأحزاب بقيادة هذه الجماهير لتحقيق أهدافها القومية في الحرية والاستقلال والوحدة العربية، وإقامة النظام الديمقراطي الاشتراكي، التي آمن بها النادي نفسه.

(١٢١) البزاز، **من وحي العروبة**، ص ١٣٢ ـ ١٣٣.

(١٢٢) حميدي، «نادي البعث العربي، ١٩٥٠ ـ ١٩٥٦،» ص ٦٩.

٤ ـ أكد أهمية الوحدة الاقتصادية، وتحرير الاقتصاد العربي من كل أشكال السيطرة الأجنبية، ليعطي بذلك للوحدة مضمونها الاقتصادي.

٥ ـ كما درج ميثاقه عدة مواد في الحياة الاجتماعية، سواء بتحقيق التعليم المجاني، وتقديم الخدمات الاجتماعية والصحية من قبل الدولة، ورفع مستوى المرأة الثقافي والاجتماعي، وغيرها من مواد الضمان الاجتماعي، ليعطي للوحدة مضمونها الاجتماعي.

٦ ـ كما أعطى للوحدة مضمونها الإيماني، من خلال تأكيده على الالتحام المصيري بين العروبة والإسلام. فالقومية العربية تسعى لبعث روحي في الأمة، وترى في الإسلام يسراً وتسامحاً لا يخلان بأخوة العرب، ومهما اشتدت العقيدة القومية العربية فإنها لا تتنكر للإسلام، بل يزيد بها عزاً وتزيد له نصراً[١٢٣].

في ضوء ما تقدم يمكننا القول، إنه منذ بداية الثلاثينيات من القرن العشرين، ظهر في المشرق العربي جيل جديد من الشباب المثقف، لم يجد في العمل السياسي القائم، آنذاك، ما يلبي طموحاته القومية، متهماً الجيل السابق بالتفريط بقضايا الأمة والتهاون مع الاستعمار، والركض وراء المناصب، بل التطاحن من أجل الفوز بها، وتقديم المصالح الخاصة على مصالح الأمة، والقبول بالتجزئة السياسية التي فرضها الاستعمار الأوروبي، والاعتماد على الطائفية والعشائرية في تثبيت زعاماتهم السياسية أو الاجتماعية وحتى في بعض الأحايين الدينية.

واقتنع الجيل الجديد بأن تخلف العرب وضعفهم يرجع أساساً إلى تجزئتهم، وسيطرة الاستعمار على وطنهم ومقدراتهم، وتفشي النعرات الإقليمية والعصبيات الطائفية والعشائرية، وانتشار الايديولوجيات الغريبة عن الواقع العربي والمعادية لوحدتهم، والأدهى من كل ذلك غياب العقيدة السياسية لديهم.

واقتنع الشباب المثقف الواعي بأن الوحدة العربية والاستقلال الوطني هما السبيل الوحيد إلى المستقبل الزاهر، وأن تحقيق ذلك لن يتم إلا من خلال العمل الدؤوب المنظم، فقامت التنظيمات القومية.

وبشكل عام أكدت هذه التنظيمات والنوادي والجماعات القومية على مفهوم الأمة وعوامل تكوينها والعلاقة الروحية بين العروبة والإسلام، فيما نزع

(١٢٣) البزاز، المصدر نفسه، ص ٥٢ ـ ٥٤.

البعض منهم نزعة مثالية رومانسية، لكن معظمهم لم يخرج عن المفهوم الغربي للأمة.

وهدف الوحدة العربية أكده الجميع، واختلفوا في تصورهم له من حيث الشكل والمضمون، فنادت قلة بوحدة آسيا العربية، ونادى الباقون بالوحدة الشاملة لكل الوطن العربي. ودعا أكثرهم إلى تحقيق هذه الوحدة على مراحل: وحدة سوريا الكبرى ووحدة الهلال الخصيب، ووحدة وادي النيل، وهكذا وصولاً إلى الوحدة الشاملة، فيما دعا فريق ثان إلى الوحدة الاقتصادية، فالوحدة الثقافية، فالوحدة السياسية. ونادت فئة منهم باتحاد كونفدرالي، ونادت أخرى باتحاد فيدرالي، ونادت ثالثة بجامعة إسلامية.

لكن جميع هذه التنظيمات بقيت أسيرة التجزئة، فلم تستطع تخطي حدود القطر الذي نشأت فيه، تنظيمياً على الأقل، كما بقيت أسيرة عواطفها، ولم تكتشف تناقضات الجماهير، ولم تواكب وعيها ومتطلبات التطورات الحاصلة. وعلى الرغم من المناخ المناسب والخصب الذي هيأته ظروف مرحلة ما بين الحربين، بشكل عفوي، لحماس الجماهير العربية، لم تستطع أن تستثمر هذه الظاهرة لخدمة الأمة العربية، لأنها انطلقت من عواطفها، ولم تر الجماهير العربية بحسها القومي وحماسها العفوي وتناقضات واقعها، لذلك لم تستطع تلك التنظيمات أن تحتضنها وتنظمها مستفيدة من حماسها وقوة اندفاعها.

ولم تستطع تلك التنظيمات وضع عقيدة تتسم بالعلمية والواقعية، تنسجم مع متطلبات المرحلة التي تمر بها الأمة العربية، وتلبي في الوقت نفسه حاجات الجماهير العربية في هدفها السامي والقومي، وهو تحقيق الوحدة العربية. فجميعها تقول بالوحدة العربية وكذلك الحكومات، ومع ذلك فإن هذه الأحزاب، وخاصة المتماثلة منها، لم تلتق، وإن التقت في مؤتمر أو ندوة، فإن ذلك اللقاء ينتهي مفعوله بانتهاء الندوة أو المؤتمر.

وخلال الأربعينيات، ظهر تيار جديد داخل الحركة القومية العربية، ربط بين الوحدة والحرية والاشتراكية، بعد استشراف للمرحلة التي تعيشها الأمة ودراسة لحركة الواقع العربي دراسة شاملة. وشكل هذا التيار حزباً قومياً تخطى الحدود القطرية تنظيماً، كما أقر لأول مرة (كحزب قومي) الصراع الطبقي وربطه بالصراع القومي، وأعطى مفهوم الوحدة مضمونها الجماهيري الثوري الاشتراكي الديمقراطي.

الفصل الخامس

المشاريع الوحدوية (١٩١٨ ــ ١٩٥٢)

أولاً: المشاريع غير المتحققة

١ ـ المشاريع المطروحة خلال فترة ما بين الحربين (١٩١٨ ـ ١٩٣٩)

انطلقت المشاريع الوحدوية الرسمية من العراق والأردن. فقد ساعدت الظروف على أن يكون العراق ملاذاً للقوميين العرب المطاردين من سلطات الانتداب أو السلطات المحلية في كل من فلسطين وسوريا[١]، وتجمع العشرات منهم ليشكلوا تياراً قومياً ينادي بتحرير الأقطار العربية ومقارعة الانتداب، ويدعو الملك فيصل الأول إلى الخروج من عزلته وقيادة حرب التحرير العامة لإقامة دولة عربية واحدة من كل من العراق وسوريا والأردن وفلسطين تحت العرش الهاشمي[٢]. وتصور القوميون العرب أن العراق يمكن أن يلعب دور «بيدمونت» أو «بروسيا العرب» في خلق الوحدة أو الاتحاد العربي. وأصبح العراق بذلك مركز الثقل في الحركة القومية العربية في فترة ما بين الحربين العالميتين[٣].

جعل الملك فيصل الأول الوحدة العربية أحد المبادىء الرئيسية في سياسته الخارجية[٤]. لذلك سعى، منذ أواخر العشرينيات لتحقيقها من خلال إقامة

---

(١) كما أوضحنا في الفصل الرابع من هذا الكتاب.

(٢) أنيس صايغ، **في مفهوم الزعامة السياسية: من فيصل الأول إلى جمال عبد الناصر** (بيروت: جريدة المحرر؛ المكتبة العصرية، ١٩٦٥)، ص ١٤٩ ـ ١٥١.

(٣) محمد أنيس ومحمد رجب حراز، **الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر** (القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٦٧)، ص ٤٥٦.

(٤) غانم محمد صالح عبد الله، «النظام السياسي في العراق، ١٩٤٨ ـ ١٩٥٨،» (رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ١٩٧٠)، ص ٢١٣.

اتحاد فدرالي بين العراق وسوريا، كخطوة أولى، بعد إيجاد حل للقضية السورية بما يتلاءم ومصالح الأسرة الهاشمية[٥]. وكان يرى أن الاتحاد العربي العام لا يمكن أن يتم، إلا بتطور الأقطار العربية تدريجياً نحو الاستقلال، لتتمكن من الانضمام إلى الاتحاد الفدرالي[٦].

والحقيقة أن التحرك الرسمي للملك فيصل نحو تحقيق الاتحاد العربي أو الحلف العربي بدأ بعد توقيع المعاهدة العراقية ـ البريطانية عام ١٩٣٠، التي تضمنت استقلال العراق وانضمامه إلى عصبة الأمم عام ١٩٣٢. فبدأ فيصل ببذل جهود لوضع نواة اتحاد عربي يضم بادىء الأمر العراق وشرق الأردن والحجاز، على أن يتسع بعد ذلك ليشمل اليمن، وأوفد فيصل نوري السعيد على رأس وفد عراقي إلى كل من الرياض وصنعاء وعمان للاتفاق على أسس هذا الاتحاد[٧]. غير أن معارضي سياسة فيصل لم يتوانوا عن وصف هذا المشروع بأنه خطة بريطانية تهدف بأمهر الطرق إلى حماية خط نفط حيفا ـ بغداد، كما وقف ابن سعود منه موقف الحذر[٨]. لذلك اقتصرت محادثات عبد العزيز بن سعود مع نوري السعيد على بعض المسائل المتعلقة بحسن الجوار بين القطرين، كما تم توقيع معاهدة صداقة بين العراق والأردن، ومثلها مع اليمن[٩].

ولما أعلن عن عزم فيصل السفر إلى أوروبا صيف عام ١٩٣٣، استغل السوريون هذه المناسبة، فزاره وفد سوري، في أيار/مايو ١٩٣٣، أثناء وصوله إلى عمان، ورفعوا إليه عريضة تتضمن الرجاء في إيلاء المسألة السورية جل عنايته، وأن يسعى إلى إقناع فرنسا بعدالة المطالب السورية وضرورة تحقيقها[١٠]. كما تضمنت توكيله، لإبراز القضية السورية عند الحاجة، حين

---

(٥) جلال الأورفه لي، **الدبلوماسية العراقية والاتحاد العربي** (بغداد: المكتبة العصرية، ١٩٤٤)، ص ٢٥٥.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) عبد الرزاق الحسني، **تاريخ الوزارات العراقية**، ط ٧ (بغداد: المكتبة الوطنية، ١٩٨٨)، ج ٣، ص ١١٠ ـ ١١١.

(٨) انظر: **الاستقلال**، ٧/٤/١٩٣١، وعبد الله، «النظام السياسي في العراق، ١٩٤٨ ـ ١٩٥٨،» ص ٢٥٥.

(٩) لمزيد من التفاصيل عن تلك المعاهدات التي وقعت خلال شهري آذار/مارس ونيسان/ابريل ١٩٣١، انظر: الحسني، المصدر نفسه، ص ١١٠ ـ ١٣٠.

(١٠) علي محافظة، **موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية، ١٩١٩ ـ ١٩٤٥**، مواقف الدول الكبرى من الوحدة العربية؛ ١ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٥)، ص ١١٠ ـ ١٣٠.

تبحث في عصبة الأمم أو غيرها من الهيئات الدولية، كما قدم وفد من لبنان عرائض مؤرخة في ٣ حزيران/يونيو عام ١٩٣٣[١١]، على المنوال نفسه، مع مباركة جهوده لتحقيق اتحاد القطرين العراقي والسوري[١٢].

وخلال لقائه بالوفد السوري صرح الملك فيصل بأن فكرة توحيد القطرين ليست خيالية، بل فكرة عملية يمكن تحقيقها عاجلاً أو آجلاً، وهي تحتاج إلى الكثير من الثبات والاتحاد والتضحية، وأن هذه القضية لا تهم العراق وسوريا فحسب، بل إنها في الواقع تهم معظم الدول العربية، ويجب التذرع بجميع الوسائل المؤدية إلى تحقيقها[١٣]. وسبق لفيصل أن أعلن أنه «من الخير للعالم أن تتحقق هذه الوحدة كي يفهم روح الحضارة العربية، كما فهم عقلية الألمان بعد وحدتهم»[١٤].

وأخذت الصحافة تنشر المقالات[١٥] والتصريحات تنطلق مؤيدة إقامة الوحدة بين القطرين، فرجح عوني عبد الهادي، سكرتير الملك السابق، أن تقوم الوحدة بين القطرين[١٦]. وذكر رستم حيدر أن الاتحاد ممكن إذا أراد العراقيون والسوريون ذلك[١٧]. كما أكد فارس الخوري أهمية وحدة البلدين[١٨]. في حين يذكر محمد صديق شنشل أن كلاً من شكري القوتلي وهاشم الأتاسي عارضا المشروع أملاً في أن تصبح سوريا «جمهورية»، كي تتاح لهما فرصة الوصول إلى منصب رئيس الجمهورية، وهو ما حدث فعلاً[١٩].

وشكلت لجنة مشتركة (عراقية ـ سورية) لعقد مؤتمر عام يجتمع في بغداد لبحث الأمور المتعلقة بإقامة الاتحاد بين القطرين[٢٠]. غير أن وفاة الملك فيصل

---

(١١) **العراق**، ١٤/٦/١٩٣٣.

(١٢) الأورفه لي، **الدبلوماسية العراقية والاتحاد العربي**، ص ٣٥٣ ـ ٣٥٤.

(١٣) **فيصل بن الحسين في خطبه وأقواله** (بغداد: مديرية الدعاية العامة، ١٩٤٥)، ص ١٣٨ ـ ١٣٩.

(١٤) **العراق**، ١٠/١٠/١٩٣١.

(١٥) في هذا الصدد، انظر: جريدة **العراق** والصحف العراقية الأخرى، خلال شهري أيار/مايو وحزيران/يونيو ١٩٣٣.

(١٦) **العراق**، ١٠/١٠/١٩٣١.

(١٧) **العراق**، ١٢/١٠/١٩٣١.

(١٨) **العراق**، ١٥/١٠/١٩٣١.

(١٩) محمد صديق شنشل، في حديث له، نقلاً عن: علاء جاسم محمد، **الملك فيصل الأول: حياته ودوره السياسي في الثورة العربية وسورية والعراق، ١٨٨٣ ـ ١٩٣٣** (بغداد: ١٩٩٠)، ص ٢٤٩.

(٢٠) لمزيد من التفاصيل، انظر: **العراق**، ١٣/٥/١٩٣٣.

في أيلول/سبتمبر ١٩٣٣، طوت المشروع مؤقتاً، إلى أن أخرجه نوري السعيد، بشكل جديد، تحت اسم «مشروع الهلال الخصيب».

وكان لتطورات القضية الفلسطينية أثر في دفع العرب إلى بحث السبل الكفيلة بتوحيد جهود الأقطار العربية. فبعد اندلاع الثورة الفلسطينية عام ١٩٣٦ قدمت بعض القيادات العربية الرسمية مقترحات ومشروعات لحل القضية الفلسطينية، ففي أيلول/سبتمبر عام ١٩٣٦ طرح نوري السعيد، الذي كان وزيراً للخارجية العراقية، آنذاك، مقترحين على هربرت صموئيل، المندوب السامي البريطاني الأول في فلسطين، وذلك عند اللقاء به في باريس، مؤكداً أن لا ثالث لهما إذا ما أريد إيجاد حل عادل للقضية الفلسطينية، وأن على اليهود أن يقبلوا بواحد منهما، وهما[٢١]:

إما القبول بإيقاف الهجرة في الظروف الحالية، وعدم التفكير ولو بهجرة محدودة، وإما بتوحيد العراق وشرق الأردن وفلسطين في اتحاد تتمتع كل دولة فيه باستقلالها الذاتي، ويحتفظ اليهود فيه بنسبة محدودة من السكان، وإيقاف الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وإعلان العفو العام عن العرب الفلسطينيين المعتقلين أو المطلوبين من جانب السلطة البريطانية.

لكن بريطانيا عارضت المقترحين متذرعة برفض اليهود للأول، وبأن الثاني قد يثير مخاوف عبد العزيز آل سعود ومعارضته[٢٢]. ويبدو أن نوري السعيد قد واصل جهوده في هذا الاتجاه[٢٣]، فقد تحدثت برقية بريطانية بتاريخ ١٩ آب/أغسطس ١٩٣٧ عن تعديل نوري السعيد لمشروعه لعام ١٩٣٦، لكنه لم يحصل على رد إيجابي من الجانب البريطاني بحجة أن المشروع لم يحظ بموافقة الفرنسيين واليهود[٢٤].

---

(٢١) F.O., 371-20028 E 621, Record of Nuris Talks with Samuel in Paris in 27 October 1936.

(٢٢) صبحي محمد ياسين، **الثورة العربية الكبرى في فلسطين، ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩** (القاهرة: [د.ن.]، ١٩٦٧)، ص ٥.

(٢٣) ذهب نوري السعيد للإقامة في مصر بعد انقلاب بكر صدقي في ٢٩ تشرين الأول/اكتوبر ١٩٣٦، وظل هناك حتى ٢٥ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٣٧. انظر: سعاد رؤوف شير محمد، **نوري السعيد ودوره في السياسة العراقية، ١٩٣٢ ـ ١٩٤٥**، مراجعة كمال مزهر أحمد (بغداد: مكتبة اليقظة العربية، ١٩٨٨)، ص ٣٣ ـ ٤٠، وهادي حسن عليوي، «جوانب خفية في مصرع نوري السعيد،» **آفاق عربية** (بغداد)، العدد ٢ (شباط/فبراير ١٩٨٩)، ص ٤٨.

(٢٤) F.O., 371-20796, E 7340, Tel. from A. Clark Kerr-Baghdad, to Minutes, no. 261 (19 August 1937), p. 6, and =

ويبدو أن حكومة الانقلاب (انقلاب بكر صدقي) تبنت أفكاراً مشابهة لأفكار نوري السعيد بصدد القضية الفلسطينية، حيث أشار تقرير بريطاني بتاريخ ١٧ شباط/فبراير ١٩٣٧، إلى مشروع قدمته الحكومة العراقية يقترح تأسيس اتحاد فدرالي يضم فلسطين وشرق الأردن والعراق(٢٥). وكان مصيره كمصير سابقه.

٢ ـ المشاريع المطروحة خلال الفترة (١٩٣٩ ـ ١٩٥٢)

واجهت بريطانيا، بداية الحرب العالمية الثانية، أزمات سياسية وعسكرية واقتصادية صعبة، تمثلت في التدخل الألماني في شمال أفريقيا، وهزيمة فرنسا أمام المانيا، وازدياد النفوذ المحوري في المنطقة العربية، خاصة في سوريا، وتحالف روسيا مع ألمانيا، وعدم دخول الولايات المتحدة الامريكية الحرب ضد دول المحور، وتصاعد واتساع التيار القومي العربي لتحقيق طموحات العرب القومية، ثم انتفاضة ١٩٤١ التحررية القومية في العراق، كل ذلك جعل بريطانيا تعيد النظر في موقفها المتصلب تجاه أماني العرب القومية(٢٦)، فظهرت السياسة البريطانية الجديدة تجاه العرب، بعد القضاء على تلك الانتفاضة عام ١٩٤١، متمثلة بتصريح أنتوني إيدن وزير خارجيتها في ٢٩/ ٥/ ١٩٤١، الذي جاء فيه: «لبريطانيا تقاليد طويلة من الصداقة مع العرب.. وهي صداقة أثبتتها الأعمال وليست الأقوال وحدها. ولنا بين العرب عدد لا يحصى ممن يرجون لنا الخير. كما إن لهم هنا أصدقاء كثيرين... وقد قلت، منذ أيام في مجلس العموم: إن حكومة جلالته تعطف كثيراً على أماني سوريا في الاستقلال. وأود أن أكرر ذلك الآن. ولكنني سأذهب إلى أبعد من ذلك، فأقول إن العالم العربي قد خطا خطوات عظيمة منذ التسوية التي تمت عقب الحرب العالمية الماضية. ويرجو كثير من مفكري العرب للشعوب العربية درجة من الوحدة أكبر مما تتمتع به الآن. وإن العرب يتطلعون لنيل تأييدنا في مساعيهم نحو هذا

= طه الهاشمي، **مذكرات طه الهاشمي**، مع تحقيق ومقدمة في تاريخ العراق الحديث بقلم خلدون ساطع الحصري (بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٧)، ج ١، ص ٢٢٥.

(٢٥) F.O., 371-20804, E 1427, from British Embassy-Baghdad, to F.O., no. 76-32-12-37 (17 February 1937), p. 66.

(٢٦) لمزيد من التفاصيل، انظر: م.ف. سيتون وليمز، **بريطانيا والدول العربية: عرض للعلاقات الإنجليزية العربية، ١٩٢٠ ـ ١٩٤٨**، ترجمة وتعليق أحمد عبد الرحيم مصطفى؛ مراجعة أحمد عزت عبد الكريم (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، [١٩٥٢])، ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧.

الهدف. ولا ينبغي أن نغفل الرد على هذا الطلب من جانب أصدقائنا... ويبدو من الطبيعي ومن الحق وجوب تقوية الروابط الثقافية والاقتصادية بين البلاد العربية، وكذلك الروابط السياسية أيضاً... وحكومة جلالته سوف تبذل تأييدها التام لأية خطة تلقى موافقة عامة»[٢٧].

وكانت أصداء هذا التصريح في الوطن العربي متباينة، لكن بشكل عام لقي التصريح الترحيب، فقد رحبت مصر بالدعوة لوحدة النيل[٢٨]، وبفكرة الاتحاد العربي، ودعا فكري أباظة أقطاب العرب وزعماءهم إلى أن يفكروا، هم أيضاً، في ما يجب أن يكون عليه الحاضر والمستقبل[٢٩]، فيما دعا محمد علي علوبه إلى وجوب التفكير الجدي في تضامن الأقطار العربية الذي يعود عليها بالخير من ثقافة وتجارة وصناعة وشؤون دفاع وتسهيل التبادل في ما بينها بما لا يمس استقلال كل منها سياسياً أو جغرافياً[٣٠].

في حين أكد عبد الرحمن عزام أن الاتحاد العربي هو الطريق الصحيح للأقطار العربية لمواكبة الحياة العصرية الجديدة، فلا حياة لمصر أو أي قطر عربي آخر إلا بالاتحاد، الذي سيحقق للعرب التقدم الاجتماعي والاقتصادي، والوزن الدولي المرموق[٣١]. وفي بيروت أصدر عبد الله العلايلي كتاباً[٣٢] صاغ فيه أشكال الاتحاد العربي، الذي يشمل الشؤون السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وفي السعودية حث حافظ وهبة، الوزير المفوض السعودي في لندن، أنتوني إيدن، على قيام الحكومة البريطانية بتقديم مبادرة لدفع مشروع الاتحاد

---

(٢٧) Anthony Eden, *Freedom and Order: Selected Speeches, 1939-1946* (London: Faber and Faber, [1947]), pp. 104-105.

ويجدر بالذكر أن تصريح إيدن أعلن في اليوم الثاني للقضاء على انتفاضة ١٩٤١ في العراق، كأحد العوامل لامتصاص النقمة الشعبية ضد بريطانيا.

(٢٨) George Eden Kirk, *The Middle East in the War*, with an introduction by Arnold Toynbee, Survery of International Affairs (London; New York: Oxford University Press, 1953), p. 395.

(٢٩) **المصور** (القاهرة) (٦ حزيران/يونيو ١٩٤١)، ص ١٤.

(٣٠) محمد علي علوبة، «الوحدة العربية وكيف تكون،» **المصور** (١٨ كانون الأول/ديسمبر ١٩٤١)، ص ٢٣.

(٣١) عبد الرحمن عزام، «لا حياة لمصر وشقيقاتها إلا بالاتحاد،» **المصور** (١٢ كانون الثاني/يناير ١٩٤٢)، ص ١٩ - ٢٠.

(٣٢) عبد الله العلايلي، **دستور العرب القومي** (بيروت: مكتبة العرفان، ١٩٤١).

العربي، وإلا سيكون من الصعب إحراز أي تقدم[٣٣].

وأبدى إيدن اهتماماً بطلب الشيخ وهبة، الذي تبين في ما بعد أنه لم يكلّف بذلك من قبل مليكه، الذي نظر إلى الخطاب بعين الحذر والشك[٣٤]. أما الأمير عبد الله بن الحسين، أمير شرق الأردن، فقد رحب بخطاب إيدن وسعى إلى الاستفادة منه[٣٥]. وفي العراق وجد نوري السعيد فيه الفرصة لتجديد طرح مشروعه الوحدوي، وكان ذلك الخطاب من ضمن الأسباب التي دفعته إلى قبول منصب وزير العراق المفوض لدى مصر في ١١ حزيران/ يونيو ١٩٤١[٣٦]. فقد كان الأمل يحدوه على التأثير في الساسة المصريين بهذا الاتجاه، إلا أن النجاح لم يحالفه في مسعاه[٣٧]. وفي اليمن ظل الإمام يحيى محمد حميد الدين إمام اليمن يعيش بعزلة تامة[٣٨].

وفي بريطانيا دعي ممثلون عن وزارات الخارجية والمستعمرات والهند واللجنة الرسمية للشرق الأوسط لبحث مختلف الصيغ بشأن «الاتحاد العربي» المزمع إقامته، وبيان فوائدها ومضارها وإمكانات تطبيقها، على أن تتضمن حلاً للقضية الفلسطينية[٣٩].

وبعد اجتماعات متعددة، خلال عام ١٩٤١، قدم المجتمعون تقريراً عن

(٣٣) F. O., 371 -27044 -E 4761-53-65, Record and Interview between Eden and Sheikh Hafiz Wahba (15 August 1941).

(٣٤) Ahmed M. Gomaa, *The Foundation of the League of Arab States: Wartime Diplomacy and Inter-Arab Politics, 1941 to 1945* (London; New York: Longman, 1977), p. 167.

(٣٥) المصدر نفسه، ص ١٦٨.

(٣٦) Hanna Batatu, *The Old Social Classes and the Revolutionary Movements of Iraq: A Study of Iraq's Old Landed and Commercial Classes and of Its Communists, Ba'thists, and Free Officers*, Princeton Studies on the Near East (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1978), p. 346.

(٣٧) أنيس صايغ، **الهاشميون وقضية فلسطين** (صيدا: جريدة المحرر؛ المكتبة العصرية، ١٩٦٦)، ص ٣٠٧.

(٣٨) أحمد طربين، **الوحدة العربية بين ١٩١٦ - ١٩٤٥: بحث في تاريخ العرب الحديث منذ قيام الثورة العربية حتى نشوء جامعة الدول العربية** (تونس: معهد الدراسات العربية، ١٩٥٩)، ص ٢٤٢ - ٢٤٣.

(٣٩) سيتون وليمز، **بريطانيا والدول العربية: عرض للعلاقات الإنجليزية العربية، ١٩٢٠ - ١٩٤٨**، ص ٢٢٧.

الاتحاد العربي في كانون الأول/ديسمبر ١٩٤١، تضمن تعداد الفوائد والمضار المتمخضة عن مبادرة بريطانيا بهذا الصدد. فمن الفوائد الواردة في التقرير: زيادة نفوذ بريطانيا في الوطن العربي، وحل المشكلة الفلسطينية بما يرضي العرب واليهود. أما المضار فتتمثل في عدم استعداد الرأي العام العربي للاتحاد، لأنه يستدعي تضحيات بالمصالح المحلية لحساب المصالح القومية، وقد يثير العداء بين الأسر الحاكمة والشقاق الديني والنزاع الطائفي، إضافةً إلى معارضة فرنسا والمنظمة الصهيونية لأي اتحاد.. وانتهى التقرير إلى التوصية بأن الوقت لم يحن بعد لصياغة مشروع اتحاد سياسي عربي، وإلى إمكانية تحرك الحكومة البريطانية في اتجاهين: **الأول** يقوم على الاقتناع بأن رغبة العرب في إقامة صلات أوثق بينهم لا بد من أن تنمو وتشتد، ويفضل أن تدرس بريطانيا مستقبل سياستها العربية، **وثانيهما**: يدعو إلى تشجيع المزيد من الاجراءات الرامية إلى التعاون العربي في ميدان الاقتصاد والثقافة، ووضع مشروع لهذا التعاون وأشكاله[٤٠].

واشتمل التقرير على ملحق تضمن ثلاثة مشاريع استثنت جميعها مصر والمغرب العربي، حيث اشتمل الأول على جميع أقطار آسيا العربية، ويتولى رئاسته أحد رؤساء الدول الأعضاء بصورة دورية، أو انتخاب عبد العزيز بن سعود رئيساً له مدى الحياة، فيما يتكوّن المشروع الثاني من أقطار الهلال الخصيب، أما الثالث فيتكون من سوريا الكبرى[٤١].

والملاحظات التي يمكن تثبيتها على هذا التقرير، الذي يعد أول دراسة من نوعها تعدها الأجهزة الوزارية البريطانية المختصة ووزارة الحرب، أنه قد عالج موضوع الاتحاد العربي من وجهة النظر والمصالح البريطانية في المنطقة، وأغفل أية إشارة إلى تطلعات العرب القومية نحو الوحدة، التي اعترف بها حتى تصريح إيدن، بل ذهب أبعد من ذلك، عندما نظر إلى الاتحاد من وجهة نظر مصالح الحكام العرب المتعارضة في ما بينها، واعتبرها وجهة نظر الرأي العام العربي. وأغفل التقرير إبراز حقيقة ماثلة للعيان، منذ عام ١٩١٦، فالثورة العربية كان هدفها الأساسي إقامة الدولة العربية الموحدة والمستقلة، لكن بريطانيا وفرنسا، اللتين تدركان هذه الحقيقة، قد رسمتا سياستيهما في المنطقة،

(٤٠) Gomaa, *The Foundation of the League of Arab States: Wartime Diplomacy and Inter-Arab Politics, 1941 to 1945*, pp. 111-113.

(٤١) المصدر نفسه.

خلال تلك الفترة، على محاربة الاتجاه الاستقلالي العربي الوحدوي[٤٢].

صحيح أن الحركة القومية العربية قد افتقرت إلى القاعدة الايديولوجية المتينة والتنظيم السياسي القادر على نشر أهدافها وتحديد أساليب عملها، غير أنها لم تغفل تطلعها قط نحو الوحدة، وهو تطلع ظل على الدوام يلقى استجابة واسعة لدى الجماهير العربية. وقد تبلور الشعور القومي الوحدوي لدى هذه الجماهير، بشكل واسع، في بدء الأربعينيات، مع تطور وسائل الاتصال الجماهيري وانتشار التعليم.

أما أبرز المشاريع، التي طرحت خلال هذه الفترة، فكانت:

أ ـ مشروع الهلال الخصيب

بعد الانتصار الذي تحقق للحلفاء في معركة العلمين، على الجبهة الليبية، في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٤٢، وجد نوري السعيد، الذي كان رئيساً للوزراء في العراق آنذاك، أن الفرصة سانحة لتقديم مشروع وحدوي، فقدم مذكرة إلى وزير الدولة البريطاني« ريتشارد كيسي» في كانون الأول/ديسمبر عام ١٩٤٢، عرفت بالكتاب الأزرق، وحدد السعيد مشروعه بثماني نقاط، هي:

(١) إعادة توحيد سوريا ولبنان وشرق الأردن من جديد في دولة واحدة.

(٢) نظام الحكم، في هذه الدولة، سواء كان ملكياً أو جمهورياً، متحداً أو اتحادياً، يجب أن يقره أهالي هذه الدول أنفسهم.

(٣) تنشأ جامعة عربية ينضم إليها العراق وسوريا مباشرة، ويجوز أن تنضم إليها الدول العربية الأخرى متى شاءت.

(٤) يعين أعضاء مجلس الجامعة من الدول الأعضاء، ويرأسه شخص يتم اختياره بطريقة تتفق عليها الدول ذات الشأن.

(٥) يتولى مجلس الجامعة الدائم شؤون الدفاع والخارجية والعملة والمواصلات والجمارك، وحماية حقوق الأقليات.

(٦) حق اليهود في فلسطين في إدارة أقاليمهم في المدن والأرياف بما في

(٤٢) وقد أوضحنا هذه السياسة في الفصل الثاني من هذا الكتاب.

ذلك المدارس والمؤسسات الصحية والبوليس، مع الخضوع لإشراف الدولة.

(٧) تكون القدس مفتوحة لمعتنقي جميع الأديان الثلاثة لضمان مثل هذا الأمر.

(٨) يمنح الموارنة في لبنان، إذا رغبوا، الامتيازات نفسها التي كانوا يتمتعون بها في أواخر العهد العثماني[٤٣].

بذل نوري السعيد جهوداً كبيرة لإقناع الأطراف المعنية بمشروعه هذا، فأراد قبل كل شيء ترضية بريطانيا بأن أعلن الحرب ضد دول المحور بعد يومين فقط من طرح مشروعه، ولم يكن مجرد صدفة أن حاول السعيد تبرير خطوته الأخيرة أمام المجلس النيابي بالرغبة في «تحقيق آمال البلاد في إقامة اتحاد عربي تحت زعامة الأسرة الهاشمية»[٤٤]. كما أراد إغراء بريطانيا، ومعها الحلفاء، عن طريق تأكيد ضرورة توفير كل ما يلزم لنقل النفط العراقي، في هذه الفترة بالذات، «إلى باقي أنحاء العالم»، ووعد الحلفاء بتزويدهم بالحبوب[٤٥].

وفي الوقت نفسه حاول السعيد إقناع الحكومات العربية بآرائه. ففي آذار/مارس عام ١٩٤٣ أرسل وفداً برئاسة جميل المدفعي إلى سوريا والأردن ومصر للتشاور مع حكامها لعقد مؤتمر لهذا الغرض[٤٦]. لكن هذه المهمة باءت بالفشل. فلم يبد الأمير عبد الله أية استجابة للمشاريع العراقية التي كان يرى فيها منافسة لمشاريعه وآرائه، هو، خصوصاً بعد أن حاول نوري السعيد، قبيل الحرب بفترة وجيزة، إقناعه «بالتنازل عن ادعاءاته بعرش سوريا لحساب الملك الطفل فيصل الثاني»[٤٧]. واعترض رئيس الوزراء المصري، مصطفى النحاس، على اشتراك الهيئات الشعبية التي اقترحها العراق في المؤتمر، لدراسة المشروع، حيث أراد النحاس أن يقتصر الحضور على الممثلين الحكوميين[٤٨]، وتذرع

(٤٣) انظر نص المذكرة في: نوري السعيد، **استقلال العرب ووحدتهم: مذكرة في القضية العربية مع إشارة خاصة إلى فلسطين ومقترحات رامية إلى حل نهائي مربوط بها نصوص جميع الوثائق المتعلقة بالقضية** (بغداد: [د.ن.]، ١٩٤٧)، ص ١ - ٢٢.

(٤٤) Majid Khadduri, *Independent Iraq, 1932-1958; a Study in Iraqi Politics*, 2nd ed. (London; New York: Oxford University Press, 1960), pp. 253-254.

(٤٥) **الأخبار**، ١٩٤٣/٧/٢٣، و**صوت الأهالي**، ١٩٤٣/٩/١.

(٤٦) محمد، **نوري السعيد ودوره في السياسة العراقية، ١٩٣٢ - ١٩٤٥**، ص ٢٥٩.

(٤٧) F.O., 371-23199, E 6118, British Embassy-Baghdad, to F.O., no. 474, 177-59-93 (23 August 1989), p. 45.

(٤٨) جميل الجبوري، «نشأة فكرة جامعة الدول العربية،» **شؤون عربية**، العدد ٢٥ (آذار/مارس ١٩٨٣)، ص ٣١.

السوريون بانشغالهم في الانتخابات(٤٩)، في حين لم يتمكن الفلسطينيون من عقد مؤتمر لدراسة المشروع، بسبب تشتت أكثر الزعماء. لكن عدداً من قادة حزب الاستقلال الفلسطيني وأصدقائه(٥٠)، تناولوا المشروع بالدراسة، ثم أرسلوا موافقتهم على المشروع برسالة بعثوها إلى نوري السعيد، مع المطالبة بإجراء التعديلات عليه في ضوء ملاحظتين أبدوهما، وهما: **الأولى** إغفال قضية الهجرة اليهودية، فعلى الرغم من أن المشروع قد أشار إلى ضرورة تمسك بريطانيا بالكتاب الأبيض(٥١)، وفيه وقف نهائي للهجرة في أيار/مايو ١٩٤٤، إلا أن تلك الإشارة لا تكفي، فيجب أن يتضمن المشروع إشارة مباشرة إلى مسألة الهجرة. وتناولت الملاحظة **الثانية** مسألة إعطاء اليهود شبه استقلال إداري، فقد اعترض الفلسطينيون على هذه الصيغة، وعللوا اعتراضهم بأن الكتاب الأبيض لم يمنح اليهود أي نوع من الاستقلال، وأن منح اليهود استقلالاً إدارياً في أي مكان بفلسطين بالشكل المقترح لا يحسم النزاع بين العرب واليهود أو يعيد الأمن والسلام إلى فلسطين، وأن العرب لا يمانعون بأن تكون لليهود الحرية في إدارة مدارسهم والأمور الصحية في محلاتهم، لكن السماح لهم بمثل هذه الحريات شيء، ومنحهم شبه إدارة مستقلة شيء آخر(٥٢).

وخلال وجود نوري السعيد في القاهرة، خلال الفترة (من ١٧/١٢/١٩٤٢ حتى ٢/١/١٩٤٣)(٥٣) تباحث مع المسؤولين المصريين حول مشروعه، لكن مباحثاته لم تسفر عن نتيجة(٥٤). من جانب آخر برزت، في القاهرة،

---

(٤٩) جرت الانتخابات في تموز/يوليو ١٩٤٣. انظر: باتريك سيل، **الصراع على سورية: دراسة للسياسة العربية بعد الحرب، ١٩٤٥ ـ ١٩٥٨**، ترجمة سمير عبده ومحمود فلاحة (بيروت: دار الكلمة، ١٩٨٠)، ص ٤٥ ـ ٤٦.

(٥٠) وهؤلاء هم: عوني عبد الهادي، وموسى العلمي، وأحمد حلمي عبد الباقي، ورشيد الحاج ابراهيم. انظر: خيرية قاسمية، معد، **عوني عبد الهادي: أوراق خاصة**، كتب فلسطينية؛ ٥٤ (بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، ١٩٧٤)، ص ١٢٩ ـ ١٣٠.

(٥١) أصدرت بريطانيا الكتاب الأبيض حول القضية الفلسطينية في ١٧/٥/١٩٣٩، الذي تضمن الخطة السياسية لبريطانيا في فلسطين. لمزيد من التفاصيل عن الكتاب والخطة، انظر: عبد الوهاب الكيالي، **تاريخ فلسطين الحديث** (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٠)، ص ٣٩٩ ـ ٤١٠.

(٥٢) قاسمية، معد، المصدر نفسه، ص ١٣٠.

(٥٣) زار نوري السعيد القاهرة برفقة الأمير عبد الله (الوصي على عرش العراق آنذاك). انظر: الحسني، **تاريخ الوزارات العراقية**، ج ٦، ص ١٢٦.

(٥٤) طربين، **الوحدة العربية بين ١٩١٦ ـ ١٩٤٥: بحث في تاريخ العرب الحديث منذ قيام الثورة العربية حتى نشوء جامعة الدول العربية**، ص ٢٦٠، وعبد العزيز نوار ورأفت غنمي الشيخ، **تاريخ العرب الحديث والمعاصر** ([القاهرة]: جامعة عين شمس، كلية التربية، ١٩٨٤)، ص ٢٣٤.

دعوات حول موضوع الوحدة العربية، تلتقي أغلبها في نقطة مشتركة، هي الدعوة للوحدة العربية الشاملة، وليست الدعوة إلى مشاريع وحدوية إقليمية. فقد أكد عبد الرحمن عزام على الطابع الشمولي للوحدة العربية، وطالب العرب بأن يستبسلوا في العمل لتحقيقها، وينبذوا معاونة الأجنبي في سبيلها، وعليهم أن يؤمنوا بأنفسهم، وأن يدعوا الناس لتأييدها والإيمان بها[٥٥]. لقد كانت هذه الطروحات نقداً شديداً ورفضاً لمشروع الهلال الخصيب، الذي يفتقد شمولية الوحدة، ويرجو معاونة الأجنبي في تحقيقه. كما نشط نادي الاتحاد العربي، في القاهرة، في مطلع نيسان/ ابريل ١٩٤٣، وشكل لجنة مهمتها الاتصال بالحكومات العربية والمنظمات الشعبية للتعرف على وجهات نظرها في موضوع «الوحدة العربية»، وأعد لذلك دراسة بعنوان «ميثاق الأمة العربية» ليصار إلى دراستها من قبل المعنيين العرب، تلك الدراسة التي أكدت على وحدة الأمة العربية من المحيط الأطلسي إلى المحيط الهندي، ورفض كل أشكال الاستعمار في الوطن العربي، وإدانة ومقاومة الاستعمار الصهيوني في فلسطين. ودعا النادي إلى عقد مؤتمر عربي عام لمناقشة المشاريع الوحدوية المطروحة، ووضع المشروع الأمثل لتحقيقه[٥٦]. وعلى غرار نشاط هذا النادي نشط نادي الاتحاد العربي في بغداد، ودعا إلى الوحدة العربية الشاملة، وأيد فكرة عقد مؤتمر شعبي عام، يعقد كل عام لتحقيق هذا الهدف المنشود[٥٧].

المهم أن دراسة وافية للمشروع تجعلنا نثبت الملاحظات التالية:

١ ـ لم يكن المشروع، في خطوطه العامة، جديداً على الساحة العربية، فالملك فيصل الأول كان يرجو أن يتحقق اتحاد سوريا والعراق، كما أن الحكومة السورية قدمت مشروعاً باتحاد سوريا والعراق من خلال انعقاد مؤتمر الشعوب الإسلامية في القاهرة عام ١٩٣٨ للدفاع عن فلسطين، أيدته مصر، لكن العراق رفضه. وكان الهدف السوري من طرح المشروع هو الوصول إلى وضع مع فرنسا يماثل الوضع الذي وصل إليه العراق مع بريطانيا بمقتضى معاهدة ١٩٣٠.

٢ ـ قدم المشروع حلاً للقضية الفلسطينية، قائماً على الاعتراف لليهود

---

(٥٥) **الهلال** (القاهرة)، السنة ٥١، العدد ١٤ (تشرين الأول/اكتوبر ١٩٤٣)، ص ٤٦٧ ـ ٤٧٢.

(٥٦) لمزيد من التفاصيل، انظر: الفصل الرابع من هذا الكتاب، الجزء الخاص بنادي الاتحاد العربي.

(٥٧) لمزيد من التفاصيل، انظر: المصدر نفسه.

بحكم شبه محلي، شبيه بما منح للموارنة في لبنان في العهد العثماني، عام ١٨٦٤، والذي تمثل بقسط وافر من الحكم الذاتي مدعوم بضمان دولي[٥٨]. وقد نبذ الكتاب الأزرق الفكرة الرامية إلى إنشاء دولة فلسطينية مستقلة، واستعاض عنها بإدخال فلسطين ضمن الدولة المتحدة أو النظام الاتحادي، بما يضمن الشعور بالاستقرار والأمن لدى العرب واليهود، «فالعرب لا يخافون، بعد ذلك، خوفهم الحالي من التوسع اليهودي، ومن صيرورتهم أقلية في دولة يهودية، كما أن اليهود، بدورهم، سوف يتمتعون، حينئذ، بقسط أوفر من الحكم الذاتي، وبنوع من الضمان الدولي، مع الاطمئنان إلى سلامتهم، لأن جيرانهم العرب سوف لا يضمرون لهم، حينئذ، نيات غير طيبة»[٥٩].

٣ ـ أغفل المشروع، بشكل واضح، قضية الهجرة اليهودية إلى داخل فلسطين، وعلى الرغم من أنه أشار إلى ضرورة تمسك بريطانيا بالكتاب الأبيض، إلا أن تلك الإشارة لا تكفي لوقف الهجرة نهائياً في أيار/مايو ١٩٤٤ كما ورد في الكتاب الأبيض، فكان يجب أن يتضمن المشروع إشارة مباشرة إلى مسألة الهجرة اليهودية.

٤ ـ تميز المشروع بالتركيز على المصالح الاقتصادية العراقية ـ الفلسطينية، وكان واضحاً أنها هدف من أهداف المشروع: «ويحتاج العراق إلى منفذ إلى البحر المتوسط لنفطه ومنتوجاته. وتحتاج فلسطين التي تتحول بسرعة إلى قطر صناعي، إلى أسواق لمنتجاتها، وتحتاج إلى نفط ووقود لمعاملها، فهذه هي الحقائق التي يجب أخذها بعين الاعتبار»[٦٠].

٥ ـ استبعد المشروع، منذ البداية، مصر من الانضمام للاتحاد، بحجة أن تعداد سكانها يزيد على تعداد الدول المرشحة للاتحاد، ولمشاكلها الخاصة في السودان وغيره. وهنا يتوضح، بشكل جلي، تخوف واضعي المشروع من سيطرة مصر على الاتحاد المقترح في حالة الانضمام إليه. كما أن المشروع استبعد السعودية وشبه الجزيرة العربية من الانضمام للاتحاد، بحجة اختلاف اقتصاداتها. وهو ما يؤكد تصميم واضعي المشروع على سيادة العائلة الهاشمية على هذا الاتحاد.

(٥٨) السعيد، استقلال العرب ووحدتهم: مذكرة في القضية العربية مع إشارة خاصة إلى فلسطين ومقترحات رامية إلى حل نهائي مربوط بها نصوص جميع الوثائق المتعلقة بالقضية، ص ١٤.

(٥٩) المصدر نفسه، ص ١٣ ـ ١٥.

(٦٠) المصدر نفسه، ص ٤.

٦ ـ كما يسجل على المشروع ردة إلى الوراء، باقتراحه منح الموارنة حق تأسيس دولة لهم في لبنان، ذات استقلال داخلي. فالمشروع، إذن، يقر تقسيم العرب على أسس دينية.

٧ ـ يعطي المشروع حقاً ديمقراطياً شكلياً للمواطنين العرب في الأقطار المكونة للاتحاد المقترح، في اختيار نوع الحكم «جمهورياً كان أو ملكياً»، وشكل الاتحاد «متحداً أو اتحادياً»، لكن هذا الحق الديمقراطي ينعدم في تكوين الاتحاد، بل يذهب واضعو المشروع إلى «وجوب فرض الوحدة أو الاتحاد على بلدان الهلال الخصيب»(٦١)، ويبدو أنهم توقعوا امتناع دخول سوريا ولبنان في هذا الاتحاد، وهي مهمة تقع على عاتق بريطانيا لتنفيذها.

٨ ـ إن المشروع يقدم صيغة أفضل لتحقيق المصالح البريطانية، فالأقطار العربية الخمسة ستؤلف، بمعونة بريطانيا، جامعة أو اتحاداً إقليمياً في منطقة حيوية جداً من العالم. ولهذا فوائده، لا في خطط ما بعد الحرب الدفاعية والاستراتيجية والاقتصادية، وحسب، بل إنها بواسطة هذا الاتحاد، سيمتد نفوذها إلى سوريا ولبنان، سواء بتصفية النفوذ الفرنسي، أو بمزاحمته والمشاركة معه.

مع ذلك بقي المشروع حبراً على ورق لمعارضة بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة والأقطار العربية (مصر وسوريا والسعودية والأردن) له، كما بينا، إضافة إلى الانتقادات الشعبية له.

ب ـ مشروع سوريا الكبرى

لقد كانت الشام (سوريا الطبيعية) وحدة كاملة منذ أقدم العصور التاريخية، وبقيت هذه الوحدة قائمة حتى عام ١٩٢٠(٦٢). وجاء المؤتمر السوري، الذي عقد في دمشق في ٨ آذار/مارس ١٩٢٠، ليعلن استقلال سوريا بحدودها الطبيعية، مؤكداً بذلك تلك الحقيقة التاريخية. فكان هذا القرار الميثاق القومي للشعب السوري(٦٣). إلا أن دخول بريطانيا وفرنسا إلى المنطقة

---

(٦١) المصدر نفسه، ص ١٣.

(٦٢) منيب الماضي وسليمان موسى، **تاريخ الأردن في القرن العشرين** (عمان: [د.ن.]، ١٩٥٩)، ص ٤٣٠.

(٦٣) حسن الحكيم، **الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية في العهدين العربي الفيصلي والانتداب الفرنسي، ١٩١٥ ـ ١٩٤٦** (بيروت: دار صادر، ١٩٧٤)، ص ١٤٠ ـ ١٤١.

العربية كان عاملاً رئيسياً في تجزئة هذه البلاد إلى أجزاء عدة، بعضها أصبح تحت السيطرة البريطانية، وبعضها الآخر تحت الحكم الفرنسي. وحاول السوريون، خلال سن الدستور عام ١٩٢٨ النص على: «البلاد السورية المنفصلة عن الدولة العثمانية وحدة سياسية لا تتجزأ، ولا عبرة بكل تجزئة طرأت عليها بعد نهاية الحرب العالمية»(٦٤). لكنهم اصطدموا بالمعارضة الاستعمارية ولا سيما فرنسا وبعض الفئات اللبنانية الانعزالية(٦٥).

وفي عام ١٩٣٦ بعث الأمير عبد الله، أمير شرق الأردن، بمذكرة إلى الحكومة البريطانية يطالب فيها بإقامة اتحاد تحت رئاسته يضم شرق الأردن وسوريا كخطوة نحو تحقيق الاتحاد العربي، وكان هذا الرأي مقدمة لمشروعه (سوريا الكبرى)(٦٦).

وفي الأول من تموز/يوليو عام ١٩٤٠ بعث الأمير عبد الله بمذكرة إلى المندوب السامي البريطاني في فلسطين، أوضح فيها اهتمام الرأي العام العربي الشديد بقضية البلاد العربية ومستقبلها، وحثه على إصدار تصريح رسمي بريطاني بدعم فكرة الوحدة السورية. غير أن المندوب السامي رد عليه، طالباً منه الصبر حتى ينجلي الموقف الحربي، وحذره من التدخل في شؤون سوريا(٦٧).

وتعددت رسائل الأمير عبد الله ومذكرات حكومته إلى المسؤولين البريطانيين، حول الموضوع، من دون أن تحظى باهتمام أو استجابة من الجانب البريطاني(٦٨). وجاء تصريح أنتوني أيدن، في مجلس العموم البريطاني، في ٢٤ شباط/فبراير ١٩٤٣، المؤيد لتحقيق آمال العرب في وحدتهم(٦٩)، ليجدد

---

(٦٤) الأردن، **الكتاب الأردني الأبيض: الوثائق القومية في الوحدة السورية الطبيعية** (عمان: المطبعة الوطنية، ١٩٤٧)، ص ٨.

(٦٥) حسن العطار، **الوطن العربي: دراسة مركزة لتطوراته السياسية الحديثة** (بغداد: مطبعة أسعد، ١٩٦٦)، ص ٢٦٦.

(٦٦) محمد فرج، **الأمة العربية على الطريق إلى وحدة الهدف: تاريخ الأمة العربية منذ الاحتلال العثماني إلى مؤتمر القمة العربية، ١٥١٤ ـ ١٩٦٤** (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٦٥)، ص ٢٢٣.

(٦٧) محافظة، **موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية، ١٩١٩ ـ ١٩٤٥**، ص ١٦٠ ـ ١٦١.

(٦٨) الأردن، **الكتاب الأردني الأبيض: الوثائق القومية في الوحدة السورية الطبيعية**، ص ٦٦.

(٦٩) جاء في تصريح إيدن: إن الحكومة البريطانية تنظر بعين العطف إلى كل حركة بين العرب ترمي إلى تحقيق وحدتهم الاقتصادية والثقافية والسياسية. ولا يخفى أن المبادرة لأي مشروع يجب أن تأتي من =

جهود الأمير عبد الله في تحقيق مشروعاته الوحدوية. فدعا إلى مؤتمر وطني، عقد في عمان خلال الفترة (٥ ـ ٦ آذار/ مارس ١٩٤٣)، أسفر عن تبني مشروعين لوحدة سوريا الكبرى، أولهما مركزي الإدارة، وثانيهما اتحادي كونفدرالي.

اشتمل المشروع الأول على النقاط الأساسية التالية(٧٠):

١ ـ تضم هذه الدولة الموحدة سوريا وشرق الأردن وفلسطين ولبنان.

٢ ـ تكون لكل من فلسطين، في بعض مناطقها، ولبنان القديم، إدارة خاصة بمقتضى الدستور، تلاحظ في الأولى حقوق الأقلية اليهودية، ومركز الأماكن المقدسة الخاصة، وفي الثانية صيانة أماني اللبنانيين الوطنية.

٣ ـ يلغى وعد بلفور لعدم موافقة العرب عليه، وهم أصحاب البلاد الشرعيون.

٤ ـ أما رئاسة الدولة السورية الموحدة فيعهد بها إلى الملك عبد الله.

٥ ـ وحال إعلان الدولة السورية الموحدة، يصار إلى تأسيس اتحاد عربي تعاهدي مع سوريا والعراق (الهلال الخصيب)، وليس ثمة ما يمنع انضمام الدول العربية الأخرى إليه.

أما المشروع الثاني، فهو يدعو إلى تأسيس دولة سورية اتحادية، وقيام اتحاد عربي تعاهدي، وتضمن هذا المشروع النقاط البارزة التالية(٧١):

١ ـ قيام دولة اتحادية مركزية، تشمل حكومات الدول الأربع(٧٢)، عاصمتها دمشق.

٢ ـ يعهد إلى الاتحاد بشؤون الدفاع والمواصلات والاقتصاد الوطني والسياسة الخارجية والثقافة العامة والقضاء، مع إبقاء الاستقلال الذاتي لكل حكومة من الحكومات الإقليمية الأربع.

٣ ـ يكون للاتحاد مجلس تشريعي منتخب، ممثل للأقاليم المتحدة، ومنه

= جانب العرب أنفسهم، وبالنسبة لمعلوماتي فإنه لم يقدم بعد أي مشروع ينال استحسان العرب جميعاً. انظر: طربين، **الوحدة العربية بين ١٩١٦ ـ ١٩٤٥: بحث في تاريخ العرب الحديث منذ قيام الثورة العربية حتى نشوء جامعة الدول العربية**، ص ٢٥٨.

(٧٠) الأردن، المصدر نفسه، ص ٦٤ ـ ٦٧.

(٧١) المصدر نفسه، ص ٦٧ ـ ٧٠.

(٧٢) حكومات الدول الأربع، يعني حكومات سوريا ولبنان وشرق الأردن وفلسطين.

ينتخب رئيس وزراء الاتحاد، ويختار أعضاء السلطة التنفيذية والاتحادية.

٤ ـ يتحقق الاتحاد عن طريق المفاوضات واتفاق الحكومات الأربع.

٥ ـ يسمى الملك عبد الله رئيساً لدولة سوريا الاتحادية.

٦ ـ في حالة رفض حكومة لبنان الانضمام لدولة الاتحاد، تعاد الأراضي السورية التي ألحقت به من دون استفتاء شعبي.

٧ ـ عند انضمام فلسطين، لا بد من قيام حكومة وطنية دستورية، تطبيقاً لسياسة الكتاب الأبيض البريطاني لسنة ١٩٣٩، ويعطى اليهود في مناطقهم إدارة لامركزية لحفظ حقوقهم، على أن تعلن الوكالة اليهودية موافقتها على هذا الحل.

٨ ـ تمنح بريطانيا تفسيراً رسمياً لوعد بلفور يشترط فيه إزالة مخاوف العالمين العربي والإسلامي، تؤيد فيه حقوق عرب فلسطين القومية والسياسية في وطنهم الخاص الموروث عن الآباء والأجداد، مع وقف الهجرة اليهودية منذ الآن.

٩ ـ في حالة عدم موافقة الجانب البريطاني على هذا الحل، تظل فلسطين خارج نطاق الاتحاد، ويظل العرب أمة ذات ميثاق قومي، وحقوق وطنية مشروعة، غير معترفين بمشروعية الوضع الراهن في فلسطين، ومثابرين على المطالبة بإلغاء وعد بلفور.

١٠ ـ حال قيام الدولة السورية الموحدة يصار إلى تأسيس الاتحاد العربي على نحو ما وضعناه في المشروع الأول.

في ضوء ما تقدم يمكن القول إن مشروع الهلال الخصيب يختلف عن مشروع سوريا الكبرى في أن الأخير لا يدعو إلى اندماج سوريا والعراق، وإنما إلى اتحاد تعاهدي بينهما. كما أن مشروع الهلال الخصيب لا ينص صراحة على وقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين، بينما مشروع سوريا الكبرى طالب بإيقافها، وأعطى مشروع الهلال الخصيب الطابع الديمقراطي في اختيار شكل النظام في سوريا، ونوع الاتحاد، للأطراف المعنية، في حين فرض مشروع سوريا الكبرى شكل الحكم ملكياً وراثياً، وفرض الملك عبد الله ملكاً على الدولة السورية الموحدة.

أما نقاط الالتقاء في المشروعين، فهي كونهما مشروعين إقليميي الطابع،

يخصان منطقة «الهلال الخصيب» فقط، مستبعدين مصر والحجاز والجزيرة العربية والمغرب العربي. وإذا كان مشروع الهلال الخصيب قد أوضح أسباب استبعاد أقطار المشرق العربي فقط فإن مشروع سوريا الكبرى لم يتناولها، كما يلتقي المشروعان في مسألة منح استقلال داخلي للبنان، واليهود في فلسطين، ويبدو أنهما لا يتعارضان مع مصالح بريطانيا في المنطقة.

ج ـ ردود الفعل على المشروع الأردني

ظل الملك عبد الله متمسكاً ويدعو إلى مشروعه حتى وفاته، وقد واجه معارضة واسعة، فعلى الرغم من أن بريطانيا قد أعطت ضمانات للملك عبد الله للدعوة إلى مشروعه، إلا أنها أرادت أن يكون تجريبياً، ليكون أساساً لتكتل أكبر. لذلك عندما جدد الملك عبد الله دعوته للمشروع (أواخر عام ١٩٤٦ وأوائل عام ١٩٤٧)، أعلنت بريطانيا براءتها من المشروع. فقد صدر في لندن بيان رسمي جاء فيه أنه لا علاقة للحكومة البريطانية مطلقاً بما يقال عن مشروع سوريا الكبرى، وأنها لا تعلم شيئاً عنه، ولا تؤيده ولا تفكر فيه[٧٣]. كما أصدر المستر تيلر، مساعد وزير الدولة البريطاني، تصريحاً أكد فيه ما جاء في بيان لندن المشار إليه، وأضاف أن الحكومة البريطانية ليس لها أن تتدخل في موضوع يخص العرب أنفسهم، ويتوقف على جامعة الدول العربية أكثر مما يتوقف على بريطانيا، وأن حكومته لا تعير اتهامها إلى سوريا الكبرى[٧٤].

كما أن المشروع أثار مخاوف السلطات الفرنسية في سوريا ولبنان، التي منعت نشر وإذاعة تصريح إيدن في ٢٤ شباط/فبراير ١٩٤٣، وبعث الجنرال كاترو ـ المفوض السامي العام ـ برقية إلى الجنرال ديغول في ١٦ آذار/مارس ١٩٤٣ يحلل فيها الوضع في سوريا ولبنان، جاء فيها: إذا أخذنا اللبنانيين من حيث المذهب والمنفعة فإن المسيحيين متضامنون مع فرنسا للوقوف بوجه محاولات ابتلاعهم، أما المسلمون فهم مترددون، ويقولون: إن لبنان سيزدهر إذا انضم إلى المجموعة العربية. أما السوريون فيستجيبون للنداءات المعادية لنا، سواء آمنوا بسوريتهم أو اتجهوا نحو الأوهام العربية، وحينما يتصورون اتحاداً عربياً يعتقدون أن الانكلو ساكسون هم سادة الموقف. لذا فهم لا يرغبون في

(٧٣) **الأخبار**، ١٨/٢/١٩٤٧.

(٧٤) ممدوح الروسان، **العراق وقضايا الشرق العربي القومية، ١٩٤١ ـ ١٩٥٨** (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٩)، ص ١٦٤.

التحالف معنا[٧٥]. وكان إجراء الانتخابات النيابية في سوريا ولبنان رداً غير مباشر على مشروعي «الهلال الخصيب وسوريا الكبرى»، فقد أسفرت انتخابات تموز/يوليو ١٩٤٣ عن فوز الكتلة الوطنية في سوريا[٧٦]، وفوز تحالف بشارة الخوري ـ رياض الصلح في لبنان[٧٧]، وكلاهما يعارضان المشروعين المذكورين. كما تصدت القيادات الوطنية والقومية في الكتلة الوطنية وعصبة العمل القومي للمشروعين من الزاوية القومية، فأعلنت ترحيبها بالوحدة العربية الشاملة، على أن تكون «وحدة الأحرار مع الأحرار»، كما وجهت اتهامها إلى كل من الأردن والعراق بأنهما لا يزالان تحت النفوذ البريطاني، ولم يبلغا مرحلة السيادة الكاملة بعد، وأن أي اتحاد معهما يعني إدخال سوريا تحت النفوذ البريطاني أيضاً[٧٨]. كما أن فيليب تقلا وزير الخارجية اللبناني قال في المجلس النيابي، بتاريخ ١٣ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٤٦: «إن لبنان دخل الجامعة العربية على أساس استقلاله بحدوده الحاضرة، وعلى هذا الأساس فإننا لا نريد هذا المشروع ولا نقبله على أي وجه من الوجوه»[٧٩]. كما صوَّت البرلمان السوري على قرار شديد اللهجة ضد المشروع[٨٠]. وأصدرت الحكومتان السورية واللبنانية بياناً مشتركاً، جاء فيه: إن المشروع الأردني يعتبر تدخلاً في شؤون جمهوريتي سوريا ولبنان[٨١].

وأعلن حزب البعث العربي الاشتراكي أنه يؤيد أية خطوة وحدوية من الناحية المبدئية، من دون أن يكون له فيها دور مخطط وفاعل، فهو مع وحدة وادي النيل، ومع استقلال إمارات الخليج واتحادها بأقطار عربية أخرى، وهو أيضاً مع مشروع سوريا الكبرى، إذا حافظ على عروبة فلسطين والنظام

---

(٧٥) نقلاً عن: محافظة، **موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية، ١٩١٩ ـ ١٩٤٥**، ص ١٦٨.

(٧٦) سيل، **الصراع على سورية: دراسة للسياسة العربية بعد الحرب، ١٩٤٥ ـ ١٩٥٨**، ص ٥٤.

(٧٧) غازي فيصل غدير الراوي، «موقف الأحزاب اللبنانية من الوحدة العربية من ١٩٤٦ ـ ١٩٥٨،» (رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية، المعهد العالي للدراسات القومية والاشتراكية، ١٩٨١)، ص ١٣٠.

(٧٨) انظر: أحمد الشقيري، **الجامعة العربية كيف تكون جامعة وكيف تصبح عربية** (تونس: دار بو سلامة، ١٩٧٩)، ص ٣٩ ـ ٤٠.

(٧٩) الروسان، **العراق وقضايا الشرق العربي القومية، ١٩٤١ ـ ١٩٥٨**، ص ١٦٥.

(٨٠) العطار، **الوطن العربي: دراسة مركزة لتطوراته السياسية الحديثة**، ص ٢٤٧.

(٨١) عطية دخيل عباس الطائي، «العراق ومشاريع الوحدة العربية بين ١٩٣٢ ـ ١٩٥٤،» (رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية، المعهد العالي للدراسات القومية والاشتراكية، ١٩٨٣)، ص ٥٩.

الجمهوري، وتم برضا الشعب وحقق المصلحة العربية العليا، لكن الخطوة الجدية الحاسمة في طريق هذه الوحدة هي توحيد سوريا والعراق[٨٢]. لكن الحزب عارض المشروع عندما طرح ثانية بعد عامين، لأن الأردن لم يحقق استقلاله التام، وبسبب الحرص على النظام الجمهوري في سوريا[٨٣]. بينما لم تعترض حركة القوميين العرب على مشروعي الهلال الخصيب وسوريا الكبرى، لأن مثل هذه المشاريع لو تحققت ستعجل في التخلص من النفوذ الأجنبي، عن طريق خلق دولة عربية كبرى[٨٤].

واشتركت الحكومة المصرية والمفتي أمين الحسيني، مفتي فلسطين، في الاعتراض على المشروع[٨٥]. وأصدرت الحكومة المصرية بياناً جاء فيه: «إن من الخير هو عهد الجامعة العربية، الذي ارتضاه الجميع، والذي قام على أساس المحافظة على وحدة الدول المنضمة إليه، والحكومة المصرية كانت تجد في هذا المشروع ما يدل على الرغبة في إيجاد دولة تنافس مصر في مساحتها وأهميتها»[٨٦].

وواجه المشروع معارضة شديدة من قبل المملكة العربية السعودية، لما بين الأسرتين (الهاشمية والسعودية) من تنافس على الزعامة في المنطقة، وادعاء كل منهما بأحقية الرئاسة. فقد حذرت المملكة العربية السعودية الملك عبد الله من الاستمرار بهذا المشروع، وأكدت أنها على أتم الاستعداد لخوض معركة مع الأردن، إذا أبدى أية حركة في هذا الشأن[٨٧]. كما أصدرت المفوضية السعودية في كل من بغداد والقاهرة بياناً رسمياً أكدتا فيه «أن المشروع يعتبر منافياً للقوانين الدولية، وميثاق هيئة الأمم المتحدة، ولميثاق الجامعة العربية بنصه وروحه وأغراضه وأهدافه، وأنها تعتبره تعدياً على سوريا ونظامها الجمهوري الذي أقرته الأمة واعترفت به سائر دول العالم»[٨٨].

---

(٨٢) انظر بيان لحزب البعث العربي الاشتراكي في ١٤/١٢/١٩٤٥، في: **نضال البعث**، ١١ ج (بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٣ - ١٩٧٤)، ج ١، ص ٨٥.

(٨٣) انظر بيان لمجلس حزب البعث العربي الاشتراكي المنعقد في ١٩/٩/١٩٤٧/ و٢٠/٩/١٩٤٧، في: المصدر نفسه، ص ٢٠٦.

(٨٤) الروسان، **العراق وقضايا الشرق العربي القومية، ١٩٤١ - ١٩٥٨**، ص ١٦٥.

(٨٥) الماضي وموسى، **تاريخ الأردن في القرن العشرين**، ص ٤٤٥.

(٨٦) الروسان، المصدر نفسه، ص ١٦٥.

(٨٧) جهاد مجيد محيي الدين، **العراق والسياسة العربية، ١٩٤١ - ١٩٥٨** (بغداد: ١٩٨٠)، ص ٨١.

(٨٨) المصدر نفسه.

واتسم موقف العراق تجاه المشروع بالحذر ولا سيما أنه صاحب مشروع الهلال الخصيب، مع ذلك فإن الملك عبد الله حصل في بداية الأمر على تأييد فردي من بعض الساسة العراقيين، لكن عندما تبلور مشروعه سارع العراق إلى التنصل من هذه «المؤامرة» معلناً أن لا شأن له بسياسة الأردن(٨٩).

في حين تباينت مواقف الأحزاب السياسية العلنية في العراق تجاه المشروع بين مؤيد ومعارض، فقد أعلن حزب الاستقلال تأييده للمشروع لأنه نواة لمشروع الوحدة الكبرى، ويتفق وجسامة الأخطار المحدقة بالأمة العربية وتطلعاتها بين الأمم(٩٠). واتهم الحزب نوري السعيد الذي أسماه «مندوب بريطانيا المتجول» بالتواطؤ مع بريطانيا لإيقاف تحقيق مشروع الملك عبد الله، لكون المشروع أصبح لا يخدم المصالح البريطانية كاملة(٩١).

وأيد حزب الأحرار المشروع، واعتبر كحزب الاستقلال الوحدة بين العراق والأردن الركيزة الأساسية لأي مشروع وحدوي، لأنها تمثل وحدة طبيعية وتحقيقها يخدم البلدين وهي بداية لاتحاد الدول العربية(٩٢). وعلى غرار حزب الاستقلال أدان الأحرار نوري السعيد ووزارته (التاسعة) في إفشال مشروع سوريا الكبرى بتحويل أبصار العرب إلى الكتلة الشرقية واتصالاته مع تركيا والتحالف معها(٩٣). واعتبر إخفاق هذا المشروع نتيجة تعاون نوري السعيد مع الإنكليز واستخدامهما الجامعة العربية وسيلة لإنهاء هذا المشروع الذي هو نواة للوحدة العربية(٩٤)، فيما عارضته وهاجمته بقية الأحزاب العلنية المعارضة في العراق، فاعتبره حزب الشعب مشروعاً استعمارياً يقصد منه تشتيت جهود العرب، وليس جمعهم، وأن جذوره بريطانية ـ فرنسية، ووجد في ظل الصراع بين الدولتين عام ١٩٤١(٩٥). كما اعتبره أداة لتثبيت السيطرة الاستعمارية خاصة في المنطقة العربية، ولنسف استقلال الدول العربية، ووصفه بأنه «الغم في أسس التعاون العربي لأنه يثير المنازعات داخل الجامعة العربية

(٨٩) الروسان، المصدر نفسه، ص ١٦١.
(٩٠) **لواء الاستقلال**، ٦/١٢/١٩٤٨.
(٩١) **لواء الاستقلال**، ٥/١٠/١٩٥١.
(٩٢) **صوت الأحرار**، ٢٩/١١/١٩٤٦.
(٩٣) **صدى الأيام**، ٢٤/٤/١٩٤٩.
(٩٤) **صوت الأحرار**، ١١/٤/١٩٤٧.
(٩٥) **الوطن**، ٢٥/٤/١٩٤٧.

والدول العربية المستقلة، خاصة سوريا وشرق الأردن والعراق»[٩٦]، وأنه صفعة في صميم الجامعة العربية[٩٧]. وهاجمه حزب الاتحاد الوطني لأنه يهدف إلى إجهاض الحركة التحررية وتهديد السلام في المنطقة[٩٨]. ويمثل إحباطاً للجامعة العربية وتوجهها الحقيقي نحو الاتحاد[٩٩]. كما يهدف إلى إحلال النفوذ البريطاني محل الفرنسي وإعطائه شرعية جديدة للعمل في المنطقة[١٠٠]. كما هاجمه الحزب الوطني الديمقراطي، لأن لبريطانيا يداً فيه وتسعى لإقامة خدمة لمصالحها، وتهدف منه إلى جعل العرب أداة للسياسة الأجنبية[١٠١]. وحذر الرأي العام من أخطاره، ودعا الشعب لمقاومته لأنه إحدى الحلقات التي تستهدف إضعاف الجامعة العربية[١٠٢]. لذلك رفض هذا الحزب مشروع اتحاد العراق والأردن لأنه يشكل مقدمة لمشروع سوريا الكبرى الاستعماري النهج والأهداف[١٠٣].

بينما أعلن نادي البعث العربي تأييده لجميع المشاريع الوحدوية المطروحة على الساحة، آنذاك، مؤكداً العمل المستمر لتحقيق الاتحاد العراقي ـ السوري، وتأييد الاتحاد بين الأردن والعراق، وتأييد اتحاد وادي النيل واستقلاله وتحرره من الاستعمار، والتأكيد على تحقيق الوحدة بين العراق والكويت[١٠٤].

استمرت المساعي لتحقيق الاتحاد بين العراق والأردن، وبين العراق وسوريا، فقد اقترح الملك عبد الله، في أيلول/ سبتمبر ١٩٤٦ أن يتولى عرش العراق والأردن، على أن يكون الملك فيصل الثاني ولياً لعهد الدولتين، أو أن يرتقي عبد الله عرش الأردن وفلسطين، ويتولى فيصل عرش العراق، ثم ينتقل العرش من بعده إلى فيصل[١٠٥]. لكن هذا المشروع واجه معارضة شديدة من

---

(٩٦) **الوطن**، ٢٣/ ٤/ ١٩٤٧.

(٩٧) **الوطن**: ٦/ ٢/ ١٩٤٧، و٢٧/ ٣/ ١٩٤٧.

(٩٨) **صوت السياسة**، ٣١/ ٣/ ١٩٤٧.

(٩٩) **صوت السياسة**، ٢٩/ ٣/ ١٩٤٧.

(١٠٠) **صوت السياسة**، ٢٨/ ٥/ ١٩٤٧.

(١٠١) **صوت الأهالي**، ٢/ ٤/ ١٩٤٧.

(١٠٢) كامل الجادرجي، **مذكرات كامل الجادرجي وتاريخ الحزب الوطني الديمقراطي** (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٠)، ص ٣٣٧.

(١٠٣) كامل الجادرجي، **تكتل بغداد ـ عمان: أسبابه، نتائجه، أخطاره** (بغداد: مطبعة الأهالي، ١٩٤٧)، ص ٣.

(١٠٤) **البعث العربي**، العدد ٣ (٥ كانون الثاني/ يناير ١٩٥٢).

(١٠٥) عبد الله بن الحسين (ملك الأردن)، **مذكرات الملك عبد الله**، ط ٢ (عمان: المطبعة الهاشمية، ١٩٤٧)، ص ١٤٠.

سوريا ولبنان وعارضته الجامعة العربية، لأنها وجدت فيه معرقلاً لعملها(١٠٦)، مما اضطر الأردن إلى تعديل المشروع فاقترح تحقيق الاتحاد بين العراق والأردن على مراحل، تبدأ المرحلة الأولى بتوحيد الشؤون العسكرية والثقافية والدبلوماسية، وتشكيل مجلس أعلى للاتحاد من أعيان القطرين، يجتمع دورياً في عمان وبغداد، لبحث القضايا التي تهم القطرين، اللذين يبقيان يحتفظان بشخصيتهما، يعقب ذلك توحيد الشؤون الاقتصادية والتعاون في جميع الأمور ذات المصلحة الواحدة(١٠٧). واجه هذا المشروع، أيضاً، انتقادات مختلفة، إلا أن أشدها جاء من الساسة العراقيين الذين أعلنوا عن عدم موافقتهم على المشروع، لأن تحقيقه بالأسلوب المشار إليه قد يؤدي إلى تأييد سياسة الأردن التوسعية، ونتيجة لهذه المعارضة تقلص المشروع ليصبح معاهدة تحالف وأخوة، وقعت في ١٤ نيسان/ أبريل ١٩٤٧(١٠٨).

جوبهت هذه المعاهدة بمعارضة شديدة من قبل الأحزاب العراقية، فقد أعلن عبد الفتاح ابراهيم معارضة حزبه (الاتحاد الوطني) للمعاهدة وسخر منها، وقال بأنها أمر موصى به من قبل الاستعمار(١٠٩). ودعا حزب الشعب الجماهير إلى النضال من أجل إحباطها(١١٠). فيما أكد الحزب الوطني الديمقراطي بأنها جاءت بتشجيع من بريطانيا، الهدف منها جعل العراق واسطة لتحقيق مشاريعها الاستعمارية(١١١)، وأكد الحزب أنها بمثابة حلف يخل بانسجام دول الجامعة العربية، ويخالف أماني الشعب العراقي(١١٢). وشن حزب الاستقلال هجوماً عنيفاً عليها، ودرس بشكل مفصل جميع موادها ليثبت أنها جاءت لتقيد العراق بقيود استعمارية جديدة(١١٣). ولكن حزب الأحرار انفرد بتأييد المعاهدة،

---

(١٠٦) Khadduri, *Independent Iraq, 1932-1958; a Study in Iraqi Politics*, pp. 343-344.

(١٠٧) عبد الله بن الحسين، المصدر نفسه، ص ١٤٠، و Richard N. Frye, *The Near East and the Great Powers*, with an introduction by Ralph Bunche (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1951), p. 151.

(١٠٨) الحسني، **تاريخ الوزارات العراقية**، ج ٧، ص ١٨١.

(١٠٩) **الرأي العام**، ١٥/٥/١٩٤٧.

(١١٠) **الوطن**، ٢٨/٤/١٩٤٧.

(١١١) **صوت الأهالي**، ٧/٥/١٩٤٧.

(١١٢) فاضل حسين، **تاريخ الحزب الوطني الديمقراطي، ١٩٤٦ ـ ١٩٥٨** (بغداد: مطبعة الشعب، ١٩٦٣)، ص ١٩٦.

(١١٣) **لواء الاستقلال**، ٣/٥/١٩٤٧.

واعتبرها بداية لاتحاد الدول العربية وتقويتها[١١٤]. ولا غرو فإن حزب الأحرار يعتبر من المعارضة الموالية للسلطة بخلاف الأحزاب السياسية المعارضة الأخرى.

جدد الملك عبد الله في حزيران/يونيو ١٩٥٠ مشروعه للاتحاد بين العراق والأردن، إذ وجد أن الفرصة مؤاتية، بعد فشل مساعي العراق في الاتحاد مع سوريا، ولم يختلف طرح عبد الله الجديد عن طروحاته السابقة[١١٥]، كما أن جميع القوى الوطنية في العراق لم توافق على محاولات اتحاد العراق والأردن، لأن هذا الاتحاد في نظر الفئات الوطنية هو اتحاد لضرب أية ثورة تحررية في القطرين. فقد هاجم الحزب الوطني الديمقراطي الاتحاد، واتّهم نوري السعيد بالعمالة والخيانة[١١٦]. واتبع حزب الاستقلال الأسلوب نفسه في مهاجمة الاتحاد[١١٧].

وعلى أثر اغتيال الملك عبد الله، في ٢٠ تموز/يوليو ١٩٥١، اشتدت الدعوة لضم الأردن إلى العراق، فناشدت القوى السياسية الجهات العراقية، التي يعنيها الأمر، ضرورة العمل على توحيد القطرين قبل أن يفلت الموقف من أيدي العرب[١١٨]. لكن العراق لم يتخذ أي إجراء لتحقيق هذه الدعوة، بسبب موقف بريطانيا المعارض لاتحاد القطرين، لذلك بقيت الأسرة الهاشمية تنتظر الظروف الملائمة لتحقيق ذلك[١١٩].

أما اتحاد العراق مع سوريا فقد تراجع السوريون عن ذلك، بعد حصولهم على الاستقلال. فقد ذكر فارس الخوري، عام ١٩٤٩، وكان أحد رؤساء الوزارات، أنهم أرادوا إقامة الاتحاد، عندما كانت سوريا خاضعة للنفوذ الفرنسي، فلم يكن أمامهم للتخلص منه إلا الاتحاد مع العراق، لذلك أعلنوا بيعة فيصل ملكاً على العراق وسوريا، أما بعد حصول سوريا على استقلالها فلم

---

(١١٤) **صوت الأحرار**، ٤/٥/١٩٤٧.

(١١٥) لمزيد من التفاصيل، انظر: محيي الدين، **العراق والسياسة العربية، ١٩٤١ ـ ١٩٥٨**، ص ٣٢١ ـ ٣٢٤.

(١١٦) حسين، **تاريخ الحزب الوطني الديمقراطي، ١٩٤٦ ـ ١٩٥٨**، ص ٢٩٠.

(١١٧) **لواء الاستقلال**، ١٥/٦/١٩٥٠.

(١١٨) محمد عزة دروزة، **الوحدة العربية: مباحث في معالم الوطن العربي الكبير ومقومات وحدته والعقبات التي تقف في طريقها ومعالجاتها والمراحل التي يجب أن يسار فيها إلى تحقيقها** (القاهرة: [د.ت.])، ج ٢، ص ٢٢١.

(١١٩) ولدمار غلمن، **عراق نوري السعيد: انطباعاتي عن نوري السعيد بين سنة ١٩٥٤ ـ ١٩٥٨**، ترجمة خيري حماد (بيروت: مؤسسة الإنتاج الطباعي، ١٩٦٥)، ص ١٣٦.

يعد هناك مبرر[١٢٠]. غير أن الدعوة إلى الوحدة تجددت[١٢١]، مرّة أخرى وتبنتها الأحزاب السورية، خاصة أحزاب الشعب والوطني والبعث العربي، وأيدتها الكتلة الجمهورية والشخصيات السياسية، ولم يعارضها سوى أنصار شكري القوتلي، لأنهم أرادوا إبقاء سوريا بوضعها جمهورية مستقلة ذات سيادة[١٢٢]. وقد اعتبر حزب البعث العربي الاتحاد بين سوريا والعراق الخطوة الأولى العملية نحو الوحدة العربية، لكنها لا تؤدي إلى الفائدة المرجوة، إلا إذا توفرت فيها ضمانتان:

الأولى: قومية، بأن يطمئن الشعب إلى أن الاتحاد لن يفقده السيطرة على مقدراته السياسية والاقتصادية والعسكرية لمصلحة دولة أجنبية، لذلك اشترط الحزب أن تعدل المعاهدة العراقية ـ البريطانية، بشكل يستكمل فيه العراق أسباب استقلاله، وأن يقتصر مفعول المعاهدة على العراق، فلا يتعداها إلى سوريا، وأن لا يؤدي التعاون العسكري إلى تهديد استقلال الجيش السوري وسلامته.

الثانية: تقدمية، بأن يطمئن الشعب إلى أن الاتحاد لن يكون وسيلة لاستثماره وإخضاعه لسيطرة الطبقات الرجعية الإقطاعية. لذلك اشترط الحزب بقاء النظام الجمهوري في سوريا باتجاهه التقدمي الاشتراكي، بشكل نهائي ثابت، لا أن يكون مرحلة مؤقتة تؤدي إلى الملكية، بعد حين، وهذا يوجب أن تكون رئاسة الاتحاد بالتناوب بين سوريا والعراق[١٢٣].

وبهذين الشرطين تتضح المحاذير والمخاوف التي كانت تساور البعث ومعارضي هذا الاتحاد من القوميين. كما أن الضمانات الواردة فيهما جاءت معبرة عن وجهة النظر المبدئية لهذا الحزب، أكثر مما هي معبرة عن إمكانات التطبيق العملية.

وأيد حزب الاستقلال في العراق الاتحاد العراقي ـ السوري، وأوفد مطلع

(١٢٠) قاسمية، معد، عوني عبد الهادي: **أوراق خاصة**، ص ١٧٠.

(١٢١) عندما جاء نوري السعيد إلى الوزارة في ١٠ كانون الأول/ديسمبر ١٩٤٩ تجددت الدعوة لتوحيد سوريا والعراق، وساعد على ذلك الأوضاع غير المستقرة والانقسام الداخلي في الحركة الوطنية في سوريا من ناحية، وقيام إسرائيل، والتهديد المستمر لسلامة الأراضي السورية من ناحية أخرى. لمزيد من التفاصيل، انظر: جعفر عباس حميدي، **التطورات السياسية في العراق، ١٩٤١ ـ ١٩٥٣** (النجف: ١٩٧٦)، ص ٦٠٨.

(١٢٢) Frye, *The Near East and the Great Powers*, p. 160.

(١٢٣) حزب البعث العربي الاشتراكي، **نضال البعث**، ج ٢، ص ٤٥ ـ ٤٩.

عام ١٩٥٠ إلى سوريا وفداً قام باتصالات مع الأوساط القومية ورجال الأحزاب والشخصيات السياسية المستقلة، وكانت النتيجة اقتراح تنقية الجو العربي، وتأليف وزارة، في العراق، ذات صبغة وطنية تبعث الاطمئنان لدى السوريين[١٢٤]. لكن الحزب انصرف عن تأييد هذا المشروع بعدما لاحظ حماس الوصي عبد الإله لهذا المشروع، فاعتقد الحزب أن هدف الوصي من تحقيق الاتحاد، بالدرجة الأولى، إيجاد عرش له في سوريا[١٢٥]. كما أن حدوث انقلاب أديب الشيشكلي في سوريا[١٢٦] أنهى الجهود لتحقيق الاتحاد.

والحقيقة أن جميع هذه المشاريع لم تتحقق، وبدا أن المشروع الذي يكون مقبولاً هو المشروع الذي يقبل به القادة الرسميون العرب جميعهم ويمثل الأقطار العربية المستقلة في الخطوة الأولى.

ثانياً: المشاريع المتحققة: جامعة الدول العربية

١ ـ الإطار الفكري لنشأة الجامعة

ساهمت جملة من العوامل الداخلية والخارجية في بلورة فكرة الجامعة العربية، ولعل أهمها:

ـ الواقع العربي، الذي كان يعاني من ظواهر الضعف والانقسام في كل المجالات، فالأنظمة السياسية كانت ضعيفة وتحاول أن تجد الوسائل التي من خلالها تستطيع تقوية نفسها، وبعضها كان يطمع بالهيمنة والتسيد على الوطن العربي. إضافة إلى أنها كانت تتميز بارتباطاتها بالقوى الاستعمارية سواء بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر[١٢٧].

---

(١٢٤) محمد صديق شنشل، في حديث له، نقلاً عن: حميدي، **التطورات السياسية في العراق، ١٩٤١ ـ ١٩٥٣**، ص ٢٠٢، **ولواء الاستقلال**: ٤/١/١٩٥٠، و٦/١/١٩٥٠.

(١٢٥) محمد مهدي كبة، **مذكراتي في صميم الأحداث، ١٩١٨ ـ ١٩٥٨** (بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٥)، ص ٣٠٦ ـ ٣١٠.

(١٢٦) وقعت في سوريا، خلال عام ١٩٤٩، ثلاثة انقلابات عسكرية، وقع الأول، الذي قاده حسني الزعيم، في ٣٠ آذار/مارس ١٩٤٩، فيما وقع الثاني، الذي قاده سامي الحناوي، في ١٤ آب/أغسطس، أما الثالث، الذي قاده أديب الشيشكلي، فقد وقع في ١٩ كانون الأول/ديسمبر. انظر: سيل، **الصراع على سورية: دراسة للسياسة العربية بعد الحرب، ١٩٤٥ ـ ١٩٥٨**، ص ٦٠ ـ ١١٩.

(١٢٧) أحمد محمود جمعة، «الدبلوماسية البريطانية وقيام جامعة الدول العربية،» **المستقبل العربي**، السنة ١، العدد ٥ (كانون الثاني/يناير ١٩٧٩)، ص ٩٠.

- تنامي المد الشعبي الجماهيري، المناهض للاستعمار والصهيونية، لذلك اشتدت المطالبة بالتحرر والاستقلال عند الشعب العربي جنباً إلى جنب مع ازدياد وتعمق وعيه القومي. وأدرك أن طريق الحرية هو طريق الوحدة، وبرز ذلك، بشكل جلي، خلال ثوراته وانتفاضاته واحتجاجاته، بأشكالها المختلفة، التي عمت الوطن العربي. واتسعت الحركة القومية العربية المطالبة بالتحرر والوحدة، وشكلت قوة لا يستهان بها، فوجدت الدول الأوروبية المتصارعة أن من مصلحتها كسب ود العرب واحتواء طموحاتهم القومية، فأعلنت دول المحور (المانيا وايطاليا) خلال الحرب العالمية الثانية تأييدها لاستقلال العرب وتحقيق أمانيهم القومية في الوحدة. من جانبها أسرعت بريطانيا بتصريحاتها المؤيدة لتحقيق أمانيهم في الاتحاد، لتوفر الأجواء لطرح المشاريع الوحدوية، وما تبعها من حملات صحفية ودعائية وإعلامية، كل ذلك جعل الأجواء قابلة لإقامة شكل من أشكال التنظيم الاقليمي يحتوي تطلعات التيار الوحدوي من دون أن يحققها.

كما وجدت بريطانيا، أن الظروف الدولية والعربية ومصالحها في المنطقة تشجعها على الاستمرار في نهجها الذي بدأته منذ عام ١٩٤١، وعندما وجدت أن المشاريع المطروحة لا تحقق طموحاتها، كما أنها (أي هذه المشاريع) تعثرت بشكل كبير ولم تعد قابلة للتنفيذ بسبب المعارضة الشديدة التي واجهتها، مالت إلى جانب مصر[١٢٨] وأصرت على إدخال مصر في المشروع الوحدوي وتزعمها له، واعتبرت أن عليها، أي مصر، أن تقوم بجهد بديل من الأفكار الهاشمية ذات المصالح الجزئية بفكرة أعم وأشمل[١٢٩].

وهكذا بدأت المشاورات والمباحثات، وأصبحت القاهرة مركزاً لاجتماعات ومشاورات المسؤولين العرب، وأسفرت تلك المشاورات، التي استمرت من عام ١٩٤٢ حتى عام ١٩٤٥، عن إقرار ميثاق جامعة الدول العربية، وتمت مصادقة جميع الدول الأعضاء المؤسسين للجامعة على الميثاق، وأصبح منذ ١١ أيار/مايو عام ١٩٤٥ نافذ المفعول[١٣٠].

---

(١٢٨) لمزيد من التفاصيل، انظر: J. S. Raleigh, «Ten Years of the Arab League,» *Middle Eastern Affairs*, vol. 6, no. 3 (March 1955), pp. 68-69.

(١٢٩) عبد الله بن الحسين، **مذكرات الملك عبد الله**، ص ٢٠٥.

(١٣٠) لمزيد من التفاصيل عن المباحثات والبروتوكول والبيان الذي أسفرت عنه تلك المباحثات، انظر: جامعة الدول العربية، «ملخص المشاورات مع العراق، شرق الأردن، المملكة العربية السعودية، =

٢ ـ الاتجاه الوحدوي في ميثاق ونشاط الجامعة العربية

كان ميثاق الجامعة العربية ثمرة لجهود بذلها مندوبو الحكومات العربية، من دون أية مشاركة من الهيئات والفئات الشعبية، لذا جاء الميثاق مرآة عكست طبيعة العلاقات بين الدول العربية السبع المستقلة آنذاك، وليعبر بصورة واضحة عن مدى تمسك هذه الدول بسيادتها الإقليمية من دون أدنى اعتبار للسيادة القومية، فهو بذلك حاصل جمع لأفكار ومفاهيم الفئات الحاكمة، بكل ما تحتويه من مفاهيم قطرية. فلا توجد عبارة واضحة تتحدث عن الأمة العربية أو الوطن العربي بوضوح وتحديد كافيين. كما أن موضوع الوحدة العربية، وهو الشعار الذي قامت على أساسه المشاورات التمهيدية، لا يجد له ذكراً في ميثاق الجامعة العربية، ولم يدخل كواحد من أهداف الأمة العربية التي تسعى الجامعة لتحقيقها.

ويرى بعض المؤرخين أن الميثاق يتضمن أسساً تقف ضد تحقيق أي شكل من أشكال الوحدة العربية، وأبرز هذه الأسس هي: المساواة بين الدول الأعضاء[(١٣١)]، والمحافظة على الوضع الراهن[(١٣٢)]، حيث يعتقدون أن هذا البند يقف بوجه أي عمل وحدوي بين الأقطار العربية، فهو يترجم تمسك الأقطار العربية بالوضع الراهن فيها. كذلك عكس الميثاق في معظم فقراته مبدأ المحافظة على سيادة الأقطار العربية[(١٣٣)]. ويظهر هذا المبدأ التمسك بالسيادة والحرص المفرط عليها، بل ليس من المغالاة القول إن الذي تعاني منه الأقطار الأعضاء ليس التمسك بالسيادة والاستقلال، فحسب، بل والحساسية المفرطة تجاه كل ما يمسها[(١٣٤)].

وجاء بند الإجماع في ما يقرره مجلس الجامعة ملزماً لجميع الأقطار، وما

= سوريا، لبنان، اليمن،»؛ رحيم عويد نغيمش، «التنظيم الإداري لجامعة الدول العربية،» (رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ١٩٨٠)، ص ٢١ ـ ٩٧، ومحمد عزيز شكري، **جامعة الدول العربية ووكالاتها المتخصصة بين النظرية والواقع** (الكويت: دار السلاسل، ١٩٧٥)، ص ٥ ـ ٢٠.

(١٣١) انظر نص الميثاق في: سامي الحكيم، **ميثاق الجامعة والوحدة العربية** (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٦٦)، ص ٢١٩.

(١٣٢) المصدر نفسه، المادة ٨.

(١٣٣) المصدر نفسه، المادة ٣.

(١٣٤) محاضرة الأمين العام لجامعة الدول العربية في ندوة «جامعة الدول العربية: الواقع والطموح»، في: **مجموعة خطب الأمين العام، ١٩٨٢** (تونس: ١٩٨٥)، ص ٩١.

يقرر المجلس بأكثريته ملزماً لمن يقبله[135]. وعلى الرغم من التسليم بإعطاء حق النقض (الفيتو) لكل قطر عضو، يعرقل صنع القرار داخل الجامعة، لكن الحقيقة أن رغبة الأعضاء في وضع القرارات موضع التنفيذ، هي التي تقرر التنفيذ من عدمه[136].

وأخيراً لا يقر الميثاق الاحتكام إلى القوة في حل المنازعات التي تنشب بين الدول الأعضاء، بل اللجوء إلى التحكيم والوساطة[137]. ومن خلال استعراضنا للمنازعات التي نشأت بين أقطار الجامعة، يظهر أن معظم المنازعات كانت من منطلق المصلحة القطرية الضيقة على حساب الأهداف والمصلحة القومية، وإن حاول كل طرف من أطراف النزاع جاهداً أن يبين مدى قومية نظرته واتهام الطرف الآخر بأنه قطري التفكير والأهداف والوسائل[138]. وفي ظل وضع كهذا يتراجع العمل العربي المشترك ليحتل مرتبة تالية للعمل القطري المنفرد، وهذا أحد الأسباب الرئيسة، التي تفسر العديد من ممارسات وسياسات الأقطار العربية التي عطلت العمل العربي الوحدوي الصحيح.

وعلى صعيد الواقع الفعلي فإن أول جهد عربي مشترك للجامعة هو عقد المعاهدة الثقافية بين دول الجامعة، وذلك في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٤٥ التي استهدفت تعريف أبناء الدول العربية بعضهم ببعض، وتوضيح الفكرة عن الأمة العربية في أذهانهم وتعبئة شعورهم حولها، كذلك محاولة تنشيط الحركة الفكرية في الوطن العربي وتطوير الثقافة العربية بتغذيتها بمكتسبات العلم الحديث ومخترعات الحضارة العالمية، وفق ما جاء في ديباجة هذه المعاهدة[139].

---

(١٣٥) أروى طاهر رضوان، **اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية ودورها في العمل السياسي المشترك** (بيروت: دار النهار، ١٩٧٣)، ص ٢٣٣ ـ ٢٣٥.

(١٣٦) عبد الحميد الموافي، «عملية صنع القرار في جامعة الدول العربية،» **شؤون عربية** (تونس)، العدد ١٨ (آب/أغسطس ١٩٨٢)، ص ٢١٢ ـ ٢٢٧، والأزهر بوعوني، «نظام القرارات في جامعة الدول العربية،» **شؤون عربية**، العدد ٢٧ (أيار/مايو ١٩٨٣)، ص ١١٩.

(١٣٧) محمد حافظ غانم، **محاضرات عن جامعة الدول العربية** (القاهرة: جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٦٠)، ص ٤.

(١٣٨) بطرس بطرس غالي، **جامعة الدول العربية وتسوية المنازعات المحلية** (القاهرة: جامعة الدول العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٧)، ص ١٣ ـ ١٤.

(١٣٩) لمزيد من التفاصيل، انظر: جامعة الدول العربية، **مجموعة المعاهدات والاتفاقيات المعقودة في نطاق جامعة الدول العربية ومع بعض الهيئات الدولية** (القاهرة: مطابع دار النشر للجامعات المصرية، ١٩٦٦)، ص ٤٧ ـ ٥١.

وفي عام ١٩٤٨ شكلت الجامعة قيادة مشتركة لبعض الجيوش العربية، التي دخلت فلسطين، وكان الدخول بحد ذاته شيئاً كبيراً، في الوقت الذي لم تكن هناك معاهدة الدفاع المشترك[١٤٠]. وتجلى المظهر الثالث لنشاط الجامعة التعاوني في معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي التي وافق عليها مجلس الجامعة في ١٣ نيسان/أبريل ١٩٥٠[١٤١].

وعلى الرغم من هذه النشاطات التعاونية يبقى العمل العربي المشترك ضمن الجامعة ضعيفاً إن لم نقل مشلولاً بسبب العيوب التي تضمنها ميثاق الجامعة وضعف مؤسساتها، الأمر الذي برهن على وجود نقص خطير في وضوح الفكرة العربية وتمكنها في نفوس وأذهان الفئة الحاكمة آنذاك[١٤٢].

ولا يمكننا سوى القول إن جامعة الدول العربية ما هي إلا أداة تنسيق لجهود الدول العربية الأعضاء، في الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ولا يمكن أن تكون بأي حال بديلاً من الوحدة أو الاتحاد بمختلف أشكاله المعروفة، كما لا يمكن أن تتناقض معها.

٣ ـ موقف الأحزاب والتنظيمات السياسية العربية من الجامعة العربية

تصدى الفكر القومي العربي والأحزاب والتنظيمات السياسية العربية للجامعة العربية وميثاقها ونشاطها، وتمنت كثير من هذه الأحزاب والتنظيمات أن تكون خطوة أساسية نحو الوحدة العربية، في حين باركتها أحزاب وتنظيمات أخرى كونها مؤسسة قومية تعلق عليها آمالاً كبيرة في تحقيق أهداف الأمة العربية في التحرر والاستقلال والوحدة، بينما شكك آخرون في جديتها وفي إمكانياتها بصدد تحقيق آمال الأمة العربية، وهاجمها آخرون واعتبروها صيغة لتنسيق مصالح الحكام المرتبطين ببريطانيا، وأنها قامت بتشجيع ودعم من قبل الأخيرة، في حين اعتبرتها أحزاب قومية صورة ناقصة مشوهة لأماني الشعب العربي الحقيقية في الوحدة، لذا دعت إلى تأسيس جامعة شعبية عربية. فالحزب الوطني في سوريا اعتبر الجامعة العربية مؤسسة قومية يعلق عليها آمالاً كبيرة في

---

(١٤٠) يعتبر تشكيل القيادة العربية المشتركة تجاوزاً على نصوص ميثاق الجامعة في مجال التعاون والتضامن. انظر: قحطان أحمد سليمان، «الوحدة العربية: دراسة سياسية تحليلية لتجاربها وواقعها ومستقبلها،» (أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، ١٩٨٩)، ص ١٧٨ ـ ١٧٩.

(١٤١) سعدون حمادي، **الجامعة العربية وإمكانات العمل العربي المشترك** (بغداد: ١٩٧٧)، ص ٨.

(١٤٢) حزب البعث العربي الاشتراكي، **نضال البعث**، ج ١، ص ٥٧.

تحقيق الأهداف القومية ويسعى لتقويتها وتعزيزها(١٤٣)، في حين اتخذها منهج حزب الشعب السوري وسيلة للعمل على توحيد السياسة الخارجية للبلاد العربية والتمثيل الدبلوماسي، وتوحيد الجيوش والسياسة الجمركية، والمنهج الاقتصادي ومناهج التعليم والنقد، وتأسيس مصرف إصدار مشترك، وبذل الجهود لتحرير الأجزاء الرازحة تحت نير الاستعمار، وإلغاء جوازات السفر والتأشيرة بين الأقطار العربية، ومقاومة النفوذ الأجنبي في شتى أشكاله وصوره وتسلله إلى أي جزء من أجزاء الوطن العربي(١٤٤).

ورحب نادي الاتحاد العربي بالقاهرة بميثاق الجامعة، لأنه يوافق مبادئه في تأكيد الشخصية الدولية لكل دولة، لكنه عاب عليها الإجماع في إصدار قراراتها، وتمنى لو أن ميثاقها نص على استقلال فلسطين، ويتضمن نصاً لصالح الأقطار غير المشتركة في الجامعة لنيل حريتها واستقلالها، عملاً بمبدأ حق تقرير المصير وميثاق الأطلسي(١٤٥).

ولسد النقص في ميثاق الجامعة العربية وعملها، دعا النادي في ١٥ نيسان/أبريل ١٩٤٦، إلى العمل على تأسيس الجامعة الشعبية العربية(١٤٦). ودعا إلى عقد مؤتمر عام للشعب العربي لتحقيق هذه الجامعة. والفكرة الأساسية من إقامة الجامعة الشعبية، في نظر النادي، هي أن أقطاراً عربية غير ممثلة في جامعة الدول العربية، وهذه الأخيرة ممثلة حكومات، بعضها خاضع للاستعمار، في حين أن الجامعة الشعبية ستكون، بالتأكيد، المعبر عن شعوب

(١٤٣) ساطع الحصري، **العروبة بين دعاتها ومعارضيها** (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٥٢)، ص ١٦٣.

(١٤٤) محمد حرب فرزات، **الحياة الحزبية في سوريا: دراسة تاريخية لنشوء الأحزاب السياسية وتطورها بين ١٩٠٨ ـ ١٩٥٥** (دمشق: دار الرواد، ١٩٥٥)، ص ١٥٨، والحصري، المصدر نفسه، ص ١٦٤ ـ ١٦٦.

(١٤٥) نبيه بيومي عبد الله، **تطور فكرة القومية العربية في مصر** (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥)، ص ١٨١. ويجدر بالذكر أن ميثاق الأطلسي الصادر عن الحكومتين البريطانية والامريكية في ١٤ آب/أغسطس ١٩٤١ قد أكد عدم وجود مطامع إقليمية للبلدين أو غيرها لتوسيع بلديهما، وعلى احترامهما حق الشعوب في اختيار نوع الحكم الذي تريده، واحترام مبدأ تقرير المصير. حول نص الميثاق، انظر: الحسني، **تاريخ الوزارات العراقية**، ج ٦، ص ١١٥ ـ ١١٦.

(١٤٦) الحقيقة أن حزب البعث العربي الاشتراكي كان أول حزب دعا إلى إقامة جامعة شعبية عربية، وذلك في ١٢/٤/١٩٤٥. وبعد عام، من ذلك التاريخ، جاءت دعوة نادي الاتحاد العربي، هذه، لتتبعها دعوة ونشاط حزب الاستقلال العراقي في أيلول/سبتمبر ١٩٤٦، وهذا الموضوع سنتناوله بشيء من التفصيل في الصفحات القادمة.

حرة في تفكيرها وآمالها، وتسد فراغاً عجزت جامعة الدول العربية عن سده[١٤٧].

بينما أبدى حزب الأحرار الدستوري المصري ارتياحه لفكرة إنشاء الجامعة العربية، التي اعتبرها وسيلة للوقوف بوجه الخطر الصهيوني الذي يعمل على تحقيق إمبراطورية يهودية من النيل إلى الفرات[١٤٨].

في حين أيد حزب النجادة اللبناني ميثاق الجامعة العربية باعتباره أساساً لما يقوم بين الأقطار العربية من تعاون وتضامن[١٤٩]، بينما يحدد حزب الكتلة الدستورية في لبنان مفهومه للوحدة العربية، هو في ما نص عليه ميثاق الجامعة العربية، وفي حدود ما رسمه الميثاق الوطني[١٥٠]. ودعا الحزب التقدمي الاشتراكي اللبناني، في مطلع الخمسينيات، إلى جامعة للشعوب العربية تأخذ على عاتقها سد ثغرة العمل السياسي الشعبي من أجل الوحدة، هذه الثغرة التي بدت الجامعة وكأنها غير مهتمة بسدها، فضلاً عن كونها غير مؤهلة لذلك[١٥١].

في حين كان الحزب الوطني الديمقراطي في العراق قليل الثقة بها، فقد طالب قادته، مرات عديدة، بإعادة النظر في ميثاقها، وأكدوا أن الحل الوحيد أن تتعاون كل الأقطار العربية في ما بينها، فذلك هو السبيل لحل مشاكلها ومقاومتها للاستعمار[١٥٢].

أما رأي حزب الشعب في العراق، فهو من جهة طعن في سلامة ميثاقها وفي الغاية التي من أجلها أسست، ومن جهة ثانية أيد الجامعة العربية لأنها منظمة تجمع الأقطار العربية من أجل التحرر من ربقة الاستعمار فتصبح الجامعة أكثر فعالية. وعلى العموم فإن الحزب كان يأمل أن تكون الجامعة رابطة مشتركة

---

(١٤٧) **الرابطة العربية** (٣ حزيران/يونيو ١٩٥٠)، نقلاً عن: عبد الله، المصدر نفسه، ص ١٨٢.

(١٤٨) أنيس صايغ، **الفكرة العربية في مصر** (بيروت: هيكل الغريب، ١٩٥٩)، ص ٢٤٢.

(١٤٩) عدنان الحكيم ورمضان لاوند، **القومية العربية.. وأحداث لبنان** (بيروت: [د.ت.])، ص ٤٧.

(١٥٠) ابراهيم سلامة، «الأحزاب السياسية في لبنان،» (بيروت: ١٩٦٧)، ص ٤، مطبوع على الآلة الكاتبة.

(١٥١) عصام نعمان، «الجامعة والوحدة: من دور الشاهد إلى دور الرائد،» **شؤون عربية**، العدد ١٣ (آذار/مارس ١٩٨٢)، ص ٧٨.

(١٥٢) **صوت الأهالي**: ١٩٤٨/٧/٢٦، و١٩٤٨/٧/٣٠.

تجمع الشعب العربي، وإذا وقعت الجامعة خلال مسيرتها في أخطاء فمن المحتمل أن تتمكن من إصلاحها(١٥٣).

ووقف حزب الأحرار موقفاً مشابهاً لحزب الشعب حين ذكر أن بريطانيا هي التي سعت لإنشاء الجامعة طمعاً في الأقطار العربية ولمنع النفوذ السوفياتي من أن يتغلغل بين الأقطار العربية. من جانب آخر اعتبر الحزب الجامعة خطوة أولى نحو توحيد العرب، وأنها تحتاج إلى الشيء الكثير من مقومات الحياة لكي تستطيع مجاراة سنن الطبيعة في النمو والرسوخ. وبسبب عدم تحقيقها لطموحات العرب، خلال مسيرتها، اعتبرها الحزب مهزلة ولعبة(١٥٤)، فدعا إلى إنشاء جامعة الشعب العربي، واعتبر ذلك ضرورة ماسة(١٥٥).

أما حزب الاتحاد الوطني، فالظاهر أنه كان يشكك في سلامة موقف الجامعة العربية، ومما يؤكد ذلك ما ذكره ناظم الزهاوي، أحد قادة الحزب، بهذا الخصوص حينما قال: «إن سياسة الحزب الخارجية تقوم على جعل الجامعة العربية جامعة شعبية»(١٥٦). ونجد توضيحاً لموقف الحزب في هذا المضمار حين دعا إلى مؤتمر شعبي جاعلاً ذلك المؤتمر ضرورة ماسة بعد أن خيبت الجامعة الآمال(١٥٧).

في حين يرى حزب الاستقلال في العراق أن جامعة الدول العربية ليست هدفاً في حد ذاتها، وإنما هي خطوة من خطوات التقارب لا بد من أن تتبعها خطوات، وأنها ليست إلا أداة لتوجيه الخطط السياسية بين الأنظمة العربية. ويرى الحزب المذكور أن الجامعة العربية تستطيع أن تبرهن على حيويتها إذا استوحت أعمالها من آمال الشعب العربي وسعت في سبيل تحقيق أهداف الأمة وتطلعاتها في الوحدة، وهي تمر، الآن، بامتحان صعب، فإما أن تبرهن على أنها تعمل حقاً في سبيل الشعب العربي، وتمثل رغباته، أو أن تفشل فتحدث فجوة بينها وبين هذه الأمة تباعد بينهما. إن عليها أن تنظر إلى مطالب العرب القومية على أنها واحدة لا تتجزأ، فلا يجوز مثلاً أن يبدأ الجلاء من قطر عربي لتستقر الجيوش الأجنبية في قطر عربي آخر(١٥٨).

---

(١٥٣) **الوطن**، ٢١/٣/١٩٤٧.
(١٥٤) **صوت الأحرار**: ٨/٥/١٩٤٦، و٢٣/٦/١٩٤٦.
(١٥٥) **صوت الأهالي**، ٢/٢/١٩٤٧.
(١٥٦) **الرأي العام**، ١٨/٤/١٩٤٦.
(١٥٧) **الرأي العام**، ١٧/٤/١٩٤٦.
(١٥٨) كبة، **مذكراتي في صميم الأحداث، ١٩١٨ ـ ١٩٥٨**، ص ١٦٦.

وفي الثالث من أيلول/سبتمبر عام ١٩٤٦ أعلن الحزب المذكور أن الجامعة كان بمقدورها أن تعمل على حل مشاكل العرب لولا القيود الرسمية التي تكبلها، لذلك اقترح تأليف جامعة شعبية عربية تقف إلى جانب الجامعة الرسمية وتشد أزرها وتعمل لخير الأمة، ودعا الأحزاب والمنظمات العربية في كل الأقطار العربية إلى عقد مؤتمر عربي يناقش الأسس التي تقوم عليها هذه الجامعة، وإخراجها إلى حيز التنفيذ(١٥٩). وقد وجدت هذه الدعوة تأييد بعض المنظمات العربية(١٦٠). لكن الحكومات العربية وقفت بشدة ضدها، واعتبرت وجود منظمة شعبية إضعافاً لجامعة الدول العربية، ففشلت جميع المساعي العربية لتحقيقها(١٦١).

وانتقد نادي البعث العربي في بغداد الجامعة واصفاً إياها بأنها وسيلة لعرقلة أي اتحاد جزئي بين قطرين أو أكثر، ودعا إلى إزالة فكرة أن أقطار الجامعة العربية حقيقة خالدة، لأن الأساس في قيام الجامعة العربية أن تكون خطوة تتبعها خطوات لتحقيق اتحاد الأقطار العربية(١٦٢).

أما حزب البعث العربي الاشتراكي فقد انتقد طريقة الجامعة العربية وأسلوب تشكيلها منذ الأسابيع الأولى لقيامها. فقد فضح ميثاقها وأسسه الواهية التي كرست واقع التجزئة، وأهملت أقطار المغرب العربي، وتجاهلت قضية فلسطين، واغتصاب لواء الاسكندرون، «وبرهنت عن نقص في وضوح الفكرة العربية في نفوس الرجال الرسميين وأذهانهم»، وقال: «إن الضرر يقوم في إيهام الشعب العربي بأنها الوحدة الحقيقية»(١٦٣).

---

(١٥٩) **لواء الاستقلال**، ٣/٩/١٩٤٦.

(١٦٠) حيث أيدها: جمعية الاتحاد العربي والنادي العربي وجمعية الإخوان المسلمين في القاهرة ومنظمة النجادة وجمعيات العرب المسيحيين في لبنان والحزب العربي الفلسطيني وجمعية الندوة القروية في حيفا والحزب العربي القومي والحزب العربي السوري وحزب البعث العربي والحزب الحر الدستوري في تونس. ونشط حزب الاستقلال لعقد مؤتمر عربي في القاهرة، يعقد في أيار/مايو ١٩٤٧، لتحقيق هذه الدعوة، لكن المؤتمر لم يعقد، وفشلت جميع المساعي لتحقيق هذه الدعوة. لمزيد من التفاصيل، انظر على التوالي: **لواء الاستقلال**: ١١/١٠/١٩٤٦؛ ٧/١١/١٩٤٦؛ ٢٩/١١/١٩٤٦؛ ١/١٢/١٩٤٦؛ ١٢/١٢/١٩٤٦؛ ٢٦/١/١٩٤٧؛ ١٩/٢/١٩٤٧، و١٠/٣/١٩٤٧.

(١٦١) لمزيد من التفاصيل، انظر: حزب الاستقلال، «المهرجان السنوي الثاني العام،» (بغداد: ١٩٤٧)، ص ١٣ ـ ١٦، وعبد الأمير هادي العكام، **تاريخ حزب الاستقلال العراقي، ١٩٤٦ ـ ١٩٥٨**، سلسلة دراسات؛ ٢١٦، ط ٢ (بغداد: دار الرشيد، ١٩٨٦)، ص ١٣٣ ـ ١٣٥.

(١٦٣) حزب البعث العربي الاشتراكي، **نضال البعث**، ج ١، ص ٥٦ ـ ٥٧.

وبعد بضعة أشهر أعطى الحزب المذكور موقفاً أكثر موضوعية تجاه الجامعة، لكنه أشار إلى عاملين أساسيين في ضعفها: **الأول** هو كونها نشأت إثر تصريح وزير الخارجية البريطاني، وتشكلت من حكومات يرتبط أكثرها مع بريطانيا بمعاهدات تقيد حريتها في العمل لمصلحة العرب القومية... **والثاني** هو كون الممثلين فيها من الفئات الحاكمة، التي لا تتجاوب مع أماني الشعب العربي وطموحه إلى الوحدة. ثم ينتهي البيان باقتراح يدعو إلى تشكيل جامعة عربية شعبية تعمل إلى جانب الجامعة الرسمية، وتكون مفصحاً صادقاً عن مصلحة الشعب العربي وأهدافه القومية في سائر الأقطار. فتكون الجامعة الشعبية سنداً ونصيراً للجامعة الرسمية حين تسلك هذه طريق الصواب ويعوزها النصير، ومعارضاً ومقوماً لها حيث يعوزها الإرشاد والتقويم(١٦٤).

وجاء البيان الصادر عن المؤتمر التأسيسي للحزب المذكور، الذي عقد خلال الفترة (٤ ـ ٧ نيسان/أبريل ١٩٤٧)، ليؤكد موقفه السابق، وليسجل بشكل أكثر تفصيلاً على الجامعة وميثاقها ونشاطها، ما يلي(١٦٥):

(١) النقص الخطير في ميثاقها الذي يمنع الأقطار العربية من عقد معاهدات مع الدول الأجنبية من دون موافقتها.

(٢) تقصيرها في المطالبة بتحرير الوطن العربي وعدم مكافحتها الاستعمار.

(٣) تقصيرها في العمل للوحدة.

ولذا قرر المؤتمرون:

(٤) وجوب قيام الجامعة بالمطالبة بالجلاء عن الوطن العربي كله(١٦٦)، والاحتكام إلى منظمة الأمم المتحدة(١٦٧).

(٥) سعي الجامعة لتحقيق مطالب العرب في شتى أقطارهم، الممثلين فيها وغير الممثلين، وتسهيل انضمام شمال أفريقيا العربي إليها.

(٦) اتخاذها الخطوات العملية السريعة في سبيل الوحدة، وهي:

---

(١٦٤) المصدر نفسه، ص ٨٨ ـ ٨٩.
(١٦٥) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٣٤.
(١٦٦) يقصد بالجلاء، جلاء القوات الأجنبية من الوطن العربي.
(١٦٧) في تقرير المصير، في الحالات التي تسمح بذلك.

(أ) توحيد القوى العسكرية في الأقطار العربية.

(ب) توحيد التمثيل الخارجي.

(ج) إلغاء جوازات السفر بين الأقطار العربية.

(د) إلغاء الحواجز الجمركية.

مما تقدم يبدو أن هذا الموقف يعبر بشكل عام عن نظرة الحركة القومية العربية إلى الجامعة العربية. لقد رأت فيها خطوة إلى الأمام، لكنها ليست كل الخطوة المرجوة. إن أكبر خطأ وقع فيه جميع الذين أدانوا جامعة الدول العربية، هو أنهم طالبوها بإنجاز ما هي عاجزة عنه، بحكم تكوينها من جهة، وبحكم تناقض ظروف الأقطار العربية، وتضارب سياساتها ومصالحها من جهة أخرى. ولا يمكن أن تنصف جامعة الدول العربية إلا إذا طلب منها ما هو في حدود إمكاناتها الفعلية لا النظرية. من هذا المنطلق يمكن القول إن هناك دائماً دوراً يمكن أن تضطلع به الجامعة العربية في حدود قدراتها وإمكاناتها، ولا يمكن تجاهل هذا الدور أو مطالبتها بما يتجاوز قدراتها. إن لنضال الحركة القومية العربية في سبيل أهداف الجماهير العربية طريقاً مختلفاً عن طريق الجامعة، وإن كان لا يتناقض معه بالضرورة. وهذا الطريق هو ما أطلق عليه الجامعة الشعبية، أو أي اسم آخر يفرضه التطور التاريخي لظروف نضال حركة التحرر العربية.

لقد كانت النقطة الإيجابية الأولى والأساسية في جامعة الدول العربية عند تأسيسها هي أنها كرست الانتماء العربي للأقطار العربية في إطار مؤسسة سياسية عربية إقليمية. وأعتقد أن هذه النقطة ما تزال هي النقطة الايجابية الأساسية، التي يستمر النظر من خلالها إلى وجود الجامعة العربية، وأن جميع أشكال التقدم على طريق العمل العربي المشترك أو عن طريق الوحدة العربية لم يتجاوز هذه النقطة.

وندرك مدى أهمية هذا الانتماء الذي يكرسه وجود الجامعة العربية أمام النزعة الإقليمية التي ما انفكت تتعزز في الأنظمة العربية، وأن التجزئة ما انفكت تتكرس، وأن النزعات الطائفية تضع نفسها في مواجهة القومية العربية والانتماء العربي، وفي موقع التناقض معها، كما هو شأن الانعزالية في لبنان مثلاً، لذا نجد أن الجامعة العربية لا بد من أن تستمر كهدف قومي عام.

إن الجامعة العربية، إذا كانت لا تمثل طموحات الثوريين العرب الداعين إلى بناء مجتمع عربي اشتراكي موحد من المحيط إلى الخليج، فإنها مع ذلك تقف

في صف القومية العربية والانتماء العربي في مواجهة جميع أعداء هذا الانتماء. إنها تمثل هذه الهوية العربية التي يتمسك بها جميع القوميين العرب، من أقلهم التزاماً إلى أعلاهم مرتبة في الكفاح من أجل أهداف الأمة العربية.

إن الجامعة العربية، على رغم كل ما يمكن أن يوجه إليها من اتهام، تظل هدفاً تعمل على إسقاطه جميع القوى الرافضة للقومية العربية، المعادية لها، العاملة ضد أهداف الجماهير العربية في الاستقلال والوحدة العربية.



لقد ثبت من خلال هذا الفصل أن الدول الاستعمارية هي التي خلقت الكيانات السياسية الجديدة في المشرق العربي، وحاربت أي تقارب عربي، والوحدة، بشكل خاص، فكراً وتنظيماً بشتى الصيغ والأساليب. ولم تكن تصريحات المسؤولين في الدول الكبرى حول تأييد العرب في تحقيق واستكمال استقلالهم ووحدتهم إلا بسبب ظروف الحرب، ولم تختلف ألمانيا وإيطاليا في موقفهما من الاستقلال والوحدة العربية عن مواقف بريطانيا وفرنسا، إذ لم تكونا معنيتين بالأماني القومية العربية إلا بمقدار ما يساعدهما ذلك في مجهوداتهما الحربية. فمواقف هذه الدول جميعاً من الاستقلال والوحدة العربية تؤكد حقيقة أساسية، هي: أن الوحدة العربية مشروع سياسي واقتصادي وثقافي خطير، ليس من مصلحة أية دولة كبرى المساعدة في تحقيقه، لأن تحقيقه يعني قيام دولة عربية كبرى، وهو ما يتناقض ومصالح الدول الكبرى في المنطقة.

حقيقة أخرى: إن جميع المشاريع التي طرحت لم تكن في حقيقتها مشاريع وحدوية، إنما هي محاولات عائلية لا تهدف إلى استقلال الأقطار العربية، أو تعزيز استقلالها، وإنما تدعيم تلك الكيانات، وبالتالي تعزيز التجزئة، حتى أن جامعة الدول العربية لم تكن مشروعاً وحدوياً أو بديلاً للوحدة، لكنها بالمقابل لم تكن ضد أي مشروع وحدوي يطرح مستقبلاً.

الحقيقة الأخيرة: هي أن الوحدة العربية لا يمكن أن تتحقق إلا بإرادة العرب وعزمهم وتصميمهم، لأنها تعنيهم وحدهم أولاً وأخيراً، فهي سبيلهم إلى الأمن والاستقرار والتقدم والازدهار، وحالة التجزئة لن تفضي إلا إلى المزيد من الضعف والاضطراب والتخلف والعيش على هامش التاريخ.

خاتمة

دخل الفكر العربي وحركته القومية في الفترة ما بعد الحرب العالمية الأولى وبداية العشرينيات مرحلة جديدة من الناحية الفكرية والسياسية والاجتماعية، فقد انتهت الحرب بخيبة أمل كبيرة عند القوميين العرب، فلم تتحقق الأماني القومية التي طالبوا بها في أعقاب المؤتمر العربي عام ١٩١٣ وخلال الثورة العربية عام ١٩١٦، وقُسِّمَ الوطن العربي إلى دويلات محتلة بين فرنسا وبريطانيا، فقد أصبح شكل الشام على النحو الآتي:

سوريا ولبنان تحت الاحتلال الفرنسي، شرق الأردن وفلسطين تحت الاحتلال البريطاني، كما ظهر آنذاك كيان لبنان بصورته الحالية، وأنشئت في سوريا أربع دويلات، وظهر كيان شرق الأردن الذي قسم إلى ثلاث دويلات. أما العراق فقد احتلته بريطانيا.

وانتهت أو تشرذمت كل المنظمات والأحزاب، التي نشأت خلال السنوات ١٩٠٨ ـ ١٩١٤، ولم يخرج عن ذلك، حتى الحزبان البارزان «العهد» و«العربية الفتاة».

حتى الثورات التي شهدها الوطن العربي. بعد الحرب، مثل الثورة المصرية (١٩١٩)، والثورة العراقية (١٩٢٠) والثورة السورية (١٩٢٥) والثورة المراكشية، على رغم حدتها، لم تكن تتسم بالتنسيق بعضها مع البعض الآخر، وكانت لمطالب إقليمية محددة.

كما أن الجهود السياسية التي بذلها بعض زعماء العرب لإعادة الثقة واستمرار تيار الحركة العربية، اتسمت بالعمل القطري، وانكفأت إلى مشاكل الأقطار الداخلية، ومثلت تراجعاً عن زخم الحركة العربية واتجاهها الوحدوي الذي برز قبل الثورة العربية. فلقد اجتمع بعض رجال الحركة العربية في النادي العربي بدمشق في ٦ و٧ آذار/مارس ١٩٢٠، واتخذوا مجموعة قرارات، منها: استقلال سوريا الطبيعية استقلالاً تاماً، وأن تكون الحكومة المنبثقة فيها مدنية

نيابية لامركزية تضمن حقوق الأقليات، وأن تراعي أماني اللبنانيين الوطنية في إدارة شؤون لبنان، ثم المطالبة باستقلال العراق، على أن يكون بين القطرين الشقيقين (سوريا والعراق) اتحاد سياسي واقتصادي، لتصبح هذه القرارات أهداف وغايات عدد غير قليل من الأحزاب في ما بعد، كما تصبح مشاريع تطرح بين آونة وأخرى وبأشكال مختلفة.

هكذا كانت قرارات المؤتمر وما تبعه من تفكير وشعارات ودعوات، كلها تعبر عن روح التراجع العربي، وخاصة التراجع عن قيام دولة عربية متحررة تشمل المشرق العربي كله كحد أدنى. ومع بداية الثلاثينيات عادت الطروحات من جديد بطابعها القومي، وتعززت في الأربعينيات بفعل عدد من التحولات الاجتماعية والظروف السياسية لكل قطر.

كما توافقت بدايات الثلاثينيات، أيضاً، مع إعادة القوة للعلاقة بين مصر والعرب، حيث أخذ تيار العروبة يزداد فيها، لكن ذلك لا يمنع من التأكيد أن الساحة الإيديولوجية في مصر لم تشهد خلال فترة ما بين الحربين العالميتين، على كثرة ما فيها من المشتغلين بالحقل الفكري، (منظراً) أو مفكراً قومياً واحداً، في مقابل ولادة العشرات من هؤلاء في المجال «الإقليمي» و«الإسلامي» و«الماركسي». كما خلت هذه الساحة من وجود حزب قومي عربي ينهض، بأية صيغة كانت، بأعباء النضال العربي في هذا القطر.

كما بدأت القضية الفلسطينية تجمع العرب، مرة أخرى، وسعت الأقطار العربية إلى الحصول على قدر نسبي من الاستقلال السياسي.

في ظل هذا المناخ استعادت الحركة القومية والفكر القومي نشاطهما وحيويتهما، فظهرت مؤتمرات وتنظيمات غير رسمية كثيرة وتعددت المنتديات والجمعيات الأدبية والسياسية ذات الأهداف أو المضمون القومي العربي.

وعلى رغم الجهود التي بذلت، ظلت الحركة على المستوى السياسي محدودة الهدف، وانتهى معظمها قبل أن تبدأ، كما كانت فردية وقطرية، إما بسبب ظروف الاحتلال الصعبة والمريرة وتعزيز التجزئة، وإما لعجز القيادات البرجوازية وشبه الإقطاعية عن الصمود أمام التحديات التي واجهت الحركة، وإما لأن هذه القيادات ظلت على رغم انهيارها سياسياً أمام الاحتلال، مسيطرة عملياً من الناحية الاجتماعية حتى أوائل الخمسينيات في معظم أقطار الوطن العربي.

ونظراً لحرص السياسات الاستعمارية على إبقاء الوطن العربي متخلفاً اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً، فقد أدى ذلك إلى تحالف البرجوازية والإقطاع مع

الحكومات العربية التي كانت معظم قياداتها إما متحالفة أو خائفة إزاء الاستعمار وعوامل التجزئة، مما أدى إلى تعميق المنطق القطري. وفي ظل ظروف الإحباط والاحتلال والتجزئة، تلك، برز رد المفكرين القوميين العرب مشدداً على الدعوة للوحدة العربية واجتهدوا في توضيح أسس القومية والوحدة، فانكفأوا إلى بيان أسسها الايديولوجية واجتهدوا في توضيح المسيرة العربية والتاريخ العربي المشرق، لكن كتاباتهم لم تخلُ من روح الرومانسية والعاطفة القومية والدينية. وهذا انسحب على الاتجاه الوحدوي، فعلى الرغم من إقرار كل المفكرين بأن الأمة العربية تقتضي التعبير السياسي الأمثل عنها في الدولة الواحدة، لم يستطيعوا تقديم شكل تلك الوحدة بشكل واضح ومحدد. كما لم يجيبوا عن السؤال الآتي: من هي القوى التي تحقق الوحدة؟، فاقترح دروزة أن يكون هناك زعيم سياسي عربي يقود حركة الوحدة العربية تؤازره القوة العسكرية من ناحية والقوة السياسية من ناحية أخرى. وهو ما يتفق إلى حد ما مع أفكار سامي شوكة وزكي الأرسوزي في دور الزعيم لإقامة الوحدة، في حين يركز الحصري على التعليم كأداة لتحقيق الوحدة، ولا يحبذ أن تخضع تجربة الوحدة لقيادة زعيم فرد، ويرى أن الجماهير مؤهلة لأن تلعب دور القيادة بشكل أفضل، لكن كيف تلعب هذا الدور؟ لم يجب الحصري عن هذا السؤال. بينما نجد قسطنطين زريق وإدمون رباط يؤكدان على علمانية دولة الوحدة والنظام البرلماني فيها، والتأكيد على اقتباس المؤسسات الغربية، ولم يخرج المفكرون القوميون الآخرون عن هذه التوجهات. بالمقابل كان على المفكرين القوميين العرب مواجهة الاتجاه الرافض للوحدة، الذي ضم تيارات وقوى متعددة: تياراً قطرياً، وتياراً سياسياً دينياً، ثم تياراً أممياً، وبعض هذه التيارات مدعومة بشكل أو بآخر بقوى خارجية، مما أعطاها قوة لا يستهان بها، إضافة إلى الواقع العربي الذي اتسم بالتخلف والتجزئة والسيطرة الاستعمارية التي تعمل كلها على تقوية هذه التيارات.

لذلك تنوعت اهتمامات الفكر القومي العربي واتسعت مجالاته، في فترة الثلاثينيات، بالمقارنة مع ما كان عليه في فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى. من زاوية أخرى فإنه على الرغم من ظروف الإحباط التي منيت بها الآمال العربية في نهاية الحرب الأولى، فإن الفكر العربي وحركته بدأت تقوى، بل وتستثمر ظروف الحرب العالمية الثانية لتسجل لها أول مواجهة عسكرية في القطر العراقي عام ١٩٤١ مع بريطانيا، ولتبدأ مرحلة جديدة في حياة الأمة العربية وحركتها القومية.

وجاءت فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية ليتطور الفكر القومي العربي

الوحدوي وليربط بشكل جدلي بين النضال القومي والصراع الطبقي، وليعطي الجماهير دورها في بناء الوحدة العربية ذات المضمون الاستقلالي الاجتماعي الجماهيري. وإزاء المد الجماهيري والفكر القومي العربي بدأت تطرح المشاريع الوحدوية الرسمية، وكان على بريطانيا أن تمتص التيار القومي العربي لتعزيز سيطرتها على الوطن العربي، وهي تخرج من الحرب العالمية الثانية. وهكذا استطاعت الأقطار العربية إقامة مؤسسة إقليمية دولية عربية، هي جامعة الدول العربية، التي لم تكن بأي حال من الأحوال بديلاً من الوحدة، ولم تكن من جانب آخر ضد الوحدة.

إن الفكر القومي العربي الوحدوي واجه انتكاسة خطيرة هي نكبة فلسطين عام ١٩٤٨، لتبدأ مرحلة جديدة من الثورات والانقلابات والانتفاضات في الوطن العربي. فكانت انتفاضة كانون الثاني/يناير عام ١٩٤٨ في العراق، والانقلابات العسكرية المتعاقبة في سوريا (١٩٤٩ ـ ١٩٥١)، ثم قامت الثورة المصرية في تموز/يوليو ١٩٥٢، التي شكلت مرحلة جدية في المواجهة مع الاستعمار والصهيونية.

مع ذلك فواقع التجزئة أصعب تحدٍّ واجهه الفكر القومي العربي، ذلك أن هذا الواقع الذي فرض على الوطن العربي أريد منه أن يكون بديلاً من الوضع الوحدوي، وتكمن قوة هذا البديل في أنه قائم ويزداد قوة ورسوخاً مع الزمن، فنشأت أحزاب قطرية وإقليمية، عنصرية وطائفية وانعزالية، وحتى أحزاب أممية تدافع عن هذا الواقع، وتبتدع المبررات لوجوده واستمراره. وكل هذه الأحزاب لم تول اهتماماً بالوحدة وحركتها القومية وفكرها، بل ان بعضها وقف ضد الوحدة، كما تطورت الدولة القطرية من البساطة إلى وضع أكثر تعقيداً، وهكذا خلقت التجزئة فكراً خاصاً بها، ومؤسسات تحولت إلى دول، تطورت وتعقدت بتحقيقها الإنجازات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وهي في تطور مستمر وتعزيز لكيانها.

ولم يستطع الفكر القومي تحقيق أهدافه، خاصة الوحدوية، لذا فهو مطالب بأن يقدم الحلول العلمية والفكرية والعملية لمواجهة تحدي التجزئة كواقع وفكر، ذلك الواقع والفكر الذي هو في حقيقته والتحليل الأخير له لم يستطع أن يحقق للعرب أبسط حقوقهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وفشل في مواجهة الاستعمار والخطر الصهيوني، وفي حماية الأمن العربي. وبسبب هذا الواقع أصبح العرب أضعف مما كانوا، ولم يستطيعوا حتى مواجهة أبسط الخلافات التي تنشأ بينهم.

المـراجـــع

١ ـ العربيـة

كتب

ابراهيم، محسن. **لماذا. . منظمة الاشتراكيين اللبنانيين، حركة القوميين العرب من الفاشية إلى الناصرية**. بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٠.

ابن عبد الوهاب، محمد. **في عقائد الإسلام**. بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٨١.

أبو المجد، أحمد كمال. **حوار لا مواجهة: دراسات حول الإسلام والعصر**. الكويت: مجلة العربي، ١٩٨٥. (كتاب العربي؛ ٧)

الأثري، محمد بهجت. **أعلام العراق**. القاهرة: المطبعة السلفية، ١٨٩٧.

أحمد، ابراهيم. **تاريخ العراق المعاصر**. الموصل: مطبعة التعليم العالي، ١٩٨٩.

أحمد، كمال مظهر. **أضواء على قضايا دولية في الشرق الأوسط**. بغداد: وزارة الثقافة والفنون، ١٩٧٨. (سلسلة دراسات؛ ١٦٠)

الأردن. **الكتاب الأردني الأبيض: الوثائق القومية في الوحدة السورية**. عمان: المطبعة الوطنية، ١٩٤٧.

أرسلان، شكيب. **السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة**. دمشق: مطبعة ابن زيدون؛ القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٣٧.

الأرسوزي، زكي. **المؤلفات الكاملة**. دمشق: مطابع الإدارة السياسية للجيش والقوات المسلحة، ١٩٧٢ ـ ١٩٧٤. ٤ مج.

الأرمنازي، نجيب. **سوريا من الاحتلال حتى الجلاء**. القاهرة: جامعة الدول

العربية، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٥٤.

اسحق، أديب. **الكتابات السياسية والاجتماعية**. جمع وتقديم ناجي علوش. بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٨.

الأعظمي، أحمد عزت. **القضية العربية: أسبابها، مقدماتها، تطورها ونتائجها**. بغداد: مطبعة الشعب، ١٩٣١ ـ ١٩٣٤. ٦ ج.

الأفغاني، جمال الدين. **الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني، مع دراسة عن الأفغاني الحقيقة الكلية**. تحقيق ودراسة محمد عمارة. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٩. ٢ ج.

ـــــ ومحمد عبده (جامعان). **العروة الوثقى لا انفصام لها**. ط ٣. بيروت: ١٩٣٣.

أمين، أحمد. **محمد عبده**. القاهرة: مؤسسة الخانجي، ١٩٦٠.

أمين، عثمان. **رائد الفكر المصري الإمام محمد عبده**. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٥.

أنطون، فرح. **ابن رشد وفلسفته**. الإسكندرية: الجامعة، ١٩٠٣.

أنطونيوس، جورج. **يقظة العرب: تاريخ حركة العرب القومية**. ترجمة ناصر الدين الأسد وإحسان عباس؛ تقديم نبيه أمين فارس. ط ٢. بيروت: دار العلم للملايين؛ نيويورك: مؤسسة فرانكلين، ١٩٦٦.

أنيس، محمد ومحمد رجب حراز. **ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وأصولها التاريخية**. القاهرة: ١٩٦٥.

ـــــ. **الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر**. القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٦٧.

الأورفه لي، جلال. **الدبلوماسية العراقية والاتحاد العربي**. بغداد: المكتبة العصرية، ١٩٤٤.

أوين، روجر [وآخرون]. **الحياة الفكرية في المشرق العربي، ١٨٩٠ ـ ١٩٣٩**. إعداد مروان بحيري؛ ترجمة عطا عبد الوهاب. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٣.

ايرلاند، فليب ويلارد. **العراق: دراسة في تطوره السياسي**. ترجمة جعفر

خياط. بيروت: ١٩٤٩.

البازركان، علي. **الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية**. ط ٢. بغداد: ١٩٩١.

بدوي، محمد طه ومحمد طلعت الغنيمي. **دراسات سياسية وقومية**. الإسكندرية: [د. ن.، ١٩٦٣].

البراك، فاضل. **دور الجيش العراقي في حكومة الدفاع الوطني والحرب مع بريطانيا سنة ١٩٤١: دراسة تحليلية ونقدية ومقارنة للخلفيات الاجتماعية للقيادات السياسية والعسكرية**. ط ٢. بيروت: ١٩٨٧.

برو، توفيق علي. **العرب والترك في العهد الدستوري العثماني، ١٩٠٨ ـ ١٩١٤**. القاهرة: جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٦٠.

ـــــ. **القومية العربية في القرن التاسع عشر**. دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٦٥. (كتب قومية؛ ٤)

البزاز، عبد الرحمن. **من وحي العروبة**. ط ٢. القاهرة: دار القلم، ١٩٦٣.

البستاني، بطرس. **أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث**. [بيروت]: دار مارون عبود، [د. ت.].

البشري، طارق. **الحركة السياسية في مصر، ١٩٤٥ ـ ١٩٥٢**. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢.

البصير، محمد مهدي. **تاريخ القضية العراقية**. بغداد: مطبعة الفلاح، ١٩٢٣. ٢ ج.

بطي، رفائيل. **الموسوعة الصحفية العراقية**. بغداد: ١٩٧٦.

بكداش، خالد. **طريق الاستقلال والديمقراطية والوحدة**. بيروت: ١٩٣٩.

البنا، حسن. **الإخوان المسلمون تحت راية القرآن**. بيروت: [د. ت.].

ـــــ. **مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا**. الإسكندرية: دار الدعوة، ١٩٩٠.

بيومي، زكريا سليمان. **الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية في الحياة السياسية المصرية، ١٩٢٨ ـ ١٩٤٨**. القاهرة: ١٩٧٩.

تقي الدين، سعيد. **تبلغوا وبلغوا**. بيروت: دار الجيل الجديد، [١٩٥٥].

توما، اميل. **تاريخ مسيرة الشعوب العربية الحديث**. بيروت: دار الفارابي؛ دار الأدب والثقافة، ١٩٧٩.

الجادرجي، كامل. **تكتل بغداد ـ عمان: أسبابه، نتائجه، أخطاره**. بغداد: مطبعة الأهالي، ١٩٤٧.

ـــــــ. **مذكرات كامل الجادرجي وتاريخ الحزب الوطني الديمقراطي**. بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٠.

الجامعة الأميركية في بيروت، هيئة الدراسات العربية. **الفكر العربي في مائة سنة**. بيروت: الجامعة، ١٩٦٧.

جامعة الدول العربية. **مجموعة المعاهدات والاتفاقيات المعقودة في نطاق جامعة الدول العربية ومع بعض الهيئات الدولية**. القاهرة: مطابع دار النشر للجامعات المصرية، ١٩٦٦.

ـــــــ، الأمانة العامة، إدارة فلسطين. **قرارات مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة الخاصة بقضية فلسطين**. القاهرة: الإدارة، ١٩٦٥.

ـــــــ. **الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين: المجموعة الأولى، ١٩١٥ ـ ١٩٤٦**. القاهرة: الإدارة، ١٩٥٧.

الجبوري، ابراهيم. **سنوات من تاريخ العراق: النشاط السياسي المشترك لحزبي الاستقلال والوطني الديمقراطي في العراق، ١٩٥٢ ـ ١٩٥٩**. بغداد: [د. ت.].

الجبوري، عبد الجبار حسن. **الأحزاب والجمعيات السياسية في القطر العراقي، ١٩٠٨ ـ ١٩٥٨**. بغداد: دار الحرية، ١٩٧٧.

الجسر، باسم. **ميثاق ١٩٤٣، لماذا كان وهل سقط؟**. بيروت: دار النهار، ١٩٧٨.

جنبلاط، كمال. **في مجرى السياسة اللبنانية: أوضاع وتخطيط**. بيروت: دار الطليعة، ١٩٥٨.

الجندي، سامي. **البعث**. بيروت: دار النهار، ١٩٦٩.

الجواهري، عماد أحمد. **نادي المثنى وواجهات التجمع القومي في العراق،**

١٩٣٤ ـ ١٩٤٢م. بغداد: مطبعة دار الجاهز، ١٩٨٤.

حجازي، أحمد عبد المعطي. **رؤية حضارية طبقية لعروبة مصر: دراسة ووثائق**. بيروت: دار الآداب، ١٩٧٩.

ـــــ. **عروبة مصر**. بيروت: دار الآداب، ١٩٧٩.

الحديثي، نزار عبد اللطيف. **الأمة العربية والتحدي**. بغداد: المكتبة الوطنية، ١٩٨٥.

ـــــ. **مجموعة محاضرات في التاريخ**. [بغداد]: جامعة بغداد، ١٩٧٧.

حزب البعث العربي الاشتراكي. **بعض المنطلقات النظرية التي أقرها المؤتمر القومي السادس في تشرين الأول ١٩٦٣**. بغداد: دار الحرية، ١٩٧٢.

ـــــ. **نضال البعث**. بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٣ ـ ١٩٧٤. ١١ ج.

الحزب الشيوعي العراقي. **وثائق الحزب الشيوعي العراقي: الأعمال الكاملة للرفيق فهد**. بغداد: مطبعة الشعب، ١٩٧٢. (منشورات طريق الشعب)

الحسني، عبد الرزاق. **تاريخ الأحزاب السياسية العراقية: دراسة تاريخية متواضعة عن الأحزاب السياسية التي تكونت في العراق بين ١٩١٨ ـ ١٩٥٨**. بيروت: مركز الأبجدية، ١٩٨٠.

ـــــ. **تاريخ الوزارات العراقية**. ط ٧. بغداد: المكتبة الوطنية، ١٩٨٨.

ـــــ. **العراق في دوري الاحتلال والانتداب**. صيدا: مطبعة العرفان، ١٩٣٥. ٢ ج.

حسين، أحمد. **الأرض الطيبة: رسالة في الوطنية**. القاهرة: المطبعة العالمية، ١٩٥١.

حسين، فاضل. **تاريخ الحزب الوطني الديمقراطي، ١٩٤٦ ـ ١٩٥٨**. بغداد: مطبعة الشعب، ١٩٦٣.

حسين، محمد محمد. **الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر**. القاهرة: ١٩٦٩.

الحسيني، اسحق موسى. **الإخوان المسلمون: كبرى الحركات الإسلامية الحديثة**. بيروت: دار بيروت، ١٩٥٢.

الحصري، ساطع. **آراء وأحاديث في العلم والأخلاق والثقافة**. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٥١.

ــــــ. **آراء وأحاديث في القومية العربية**. القاهرة: مطبعة الاعتماد، ١٩٥١.

ــــــ. **آراء وأحاديث في الوطنية والقومية**. القاهرة: مطبعة الرسالة، ١٩٤٤.

ــــــ. **العروبة بين دعاتها ومعارضيها**. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٥٢.

ــــــ. **ما هي القومية؟ أبحاث ودراسات على ضوء الأحداث والنظريات**. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٥٩.

ــــــ. **محاضرات في نشوء الفكرة القومية**. القاهرة: مطبعة الرسالة، ١٩٥١.

ــــــ. **يوم ميسلون: صفحة من تاريخ العرب الحديث**. بيروت: [دار الاتحاد]، ١٩٥٦.

حضارة العراق. تأليف نخبة من الباحثين العراقيين. بغداد: دار الحرية، ١٩٨٥. ١٣ ج.

الحكيم، حسن. **الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية في العهدين العربي الفيصلي والانتداب الفرنسي، ١٩١٥ ـ ١٩٤٦**. بيروت: دار صادر، ١٩٧٤.

الحكيم، سامي. **ميثاق الجامعة والوحدة العربية**. القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٦٦.

الحكيم، عدنان ورمضان لاوند. **القومية العربية.. وأحداث لبنان**. بيروت: [د. ت.].

حمادي، سعدون. **الجامعة العربية وإمكانات العمل العربي المشترك**. بغداد: ١٩٧٧.

حمزة، فؤاد. **قلب جزيرة العرب**. ط ٢. الرياض: مكتبة النصر الحديثة، ١٩٦٨.

حميدي، جعفر عباس. **التطورات السياسية في العراق، ١٩٤١ ـ ١٩٥٣**. النجف: ١٩٧٦.

حنا، عبد الله. **الاتجاهات الفكرية في سورية ولبنان، ١٩٢٠ ـ ١٩٤٥**. دمشق: دار التقدم العربي، ١٩٧٣.

الحوت، بيان نويهض. **القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين، ١٩١٧ ـ ١٩٤٨**. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨١. (الدراسات؛ ٥٧)

حوراني، ألبرت. **الفكر العربي في عصر النهضة، ١٧٩٨ ـ ١٩٣٩**. ترجمة كريم عزقول. ط ٣. بيروت: دار النهار، ١٩٧٧.

حيدر، مهدي أسد. **التحالف البريطاني الصهيوني في فلسطين: بحث في التطورات السياسية، ١٩١٨ ـ ١٩٣٦**. [بغداد؟]: شركة آسيا، ١٩٨٤.

الخازن، سمعان. **يوسف بك كرم في المنفى: صفحة رائعة من تاريخ لبنان المجيد في القرن التاسع عشر**. طرابلس: مطبعة الإنشاء، ١٩٥٠. (في سبيل تاريخ لبنان)

الخالدي، عنبرة سلام. **جولة في الذكريات بين لبنان وفلسطين**. بيروت: دار النهار، ١٩٧٨.

خدوري، مجيد. **الاتجاهات السياسية في العالم العربي: دور الأفكار والمثل العليا في السياسة**. بيروت: الدار المتحدة، ١٩٧٢.

خدوري، مجيد. **العراق الجمهوري**. بيروت: الدار المتحدة، ١٩٧٤.

خلاف، عبد المنعم. **مع القومية العربية في ربع قرن**. القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٥٨.

خلف الله، محمد أحمد. **فلسطين والانتداب البريطاني، ١٩٢٢ ـ ١٩٣٩**. بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، ١٩٧٤. (سلسلة كتب فلسطينية؛ ٥٣)

الخوري، بشارة خليل. **حقائق لبنانية، من ١٠ آب سنة ١٨٩٠ إلى ١٨ أيلول ١٩٥٢**. بيروت: منشورات أوراق لبنانية، [١٩٦١]. ٣ ج.

خوري، يوسف (معد). **المشاريع الوحدوية العربية، ١٩١٣ ـ ١٩٨٧: دراسة توثيقية**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٨.

خولة، محمد بشير. **محمد عبده المصلح الديني في القرن التاسع عشر**. بيروت: [د. ن.]، ١٩٥١.

داغر، أسعد. **ثورة العرب: مقدماتها، أسبابها، نتائجها**. القاهرة: ١٩٥٦.

ـــــــ. **مذكراتي على هامش القضية العربية**. القاهرة: دار القاهرة، ١٩٥٩.

الدجاني، أحمد صدقي. **الحركة السنوسية: نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر**. بيروت: دار لبنان، ١٩٧٦.

دروزة، الحكم. **الشيوعية المحلية ومعركة العرب القومية**. بيروت: دار الفجر الجديد، ١٩٦١.

دروزة، محمد عزة. **حول الحركة العربية الحديثة: تاريخ ومذكرات وتعليقات**. صيدا: المطبعة العصرية، ١٩٥٠ ـ ١٩٥١. ٦ ج.

ــــــ. **الوحدة العربية: مباحث في معالم الوطن العربي الكبير ومقومات وحدته والعقبات التي تقف في طريقها ومعالجاتها والمراحل التي يجب أن يسار فيها إلى تحقيقها**. القاهرة: [د. ت.].

الدسوقي، عاصم أحمد. **مصر في الحرب العالمية الثانية، ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥**. القاهرة: ١٩٨١.

الدوري، عبد العزيز. **التكوين التاريخي للأمة العربية: دراسة في الهوية والوعي**. القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٨٥.

ذبيان، سامي. **الحركة الوطنية اللبنانية: الماضي والحاضر والمستقبل من منظور استراتيجي**. بيروت: دار المسيرة، ١٩٧٧.

رافق، عبد الكريم. **العرب والعثمانيون، ١٥١٦ ـ ١٩١٦**. دمشق: مكتبة أطلس، ١٩٧٤.

الراوي، ابراهيم حمدي. **من الثورة العربية الكبرى إلى العراق الحديث، ذكريات**. بيروت: مطبعة دار الكتب، ١٩٦٩.

رضا، محمد رشيد. **تاريخ محمد عبده.. وخلاصة سيرة.. جمال الدين الأفغاني**. بيروت: ١٩٤٩.

رضوان، أروى طاهر. **اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية ودورها في العمل السياسي المشترك**. بيروت: دار النهار، ١٩٧٣.

رمضان، عبد العظيم. **تطور الحركة الوطنية في مصر من سنة ١٩٣٧ ـ ١٩٤٨**. بيروت: الوطن العربي، ١٩٧٣.

الروسان، ممدوح. **العراق وقضايا الشرق العربي القومية، ١٩٤١ ـ ١٩٥٨**. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٩.

رؤوف، عماد عبد السلام. **التاريخ والمؤرخون العراقيون في العصر العثماني**. بغداد: دار واسط، ١٩٨٣.

الريس، محمد ضياء الدين. **تطور المجتمع العربي في العصر الحديث**. القاهرة: مكتبة الشباب، ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠.

الريس، منير. **الكتاب الذهبي للثورات الوطنية في المشرق العربي**. بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٩ ـ ١٩٧٧. ٣ ج.

الريماوي، عبد الله محمد. **الإقليمية الجديدة**. بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٠.

زريق، قسطنطين. **الأعمال الفكرية العامة للدكتور قسطنطين زريق**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٤. ٤ مج.

ـــــ. **الوعي القومي: نظرات في الحياة القومية المتفتحة في الشرق العربي**. بيروت: دار المكشوف، ١٩٤٠.

زعيتر، أكرم. **يوميات أكرم زعيتر: الحركة الوطنية الفلسطينية، ١٩٣٥ ـ ١٩٣٩**. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٠. (الدراسات؛ ٥٥)

زويا، لبيب. **الحزب القومي الاجتماعي: تحليل وتقييم**. ترجمة ومناقشة ونقد جوزيف شويري. بيروت: دار ابن خلدون، ١٩٧٣.

زين، زين نور الدين. **نشوء القومية العربية، مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية**. بيروت: دار النهار، ١٩٦٨.

سابا، عيسى ميخائيل. **الشيخ ابراهيم اليازجي**. بيروت: دار المعارف، ١٩٥٥. (سلسلة نوابغ الفكر العربي؛ ١٤)

السامر، فيصل. «تطور الحياة الحزبية في الوطن العربي وأثر الحرب العالمية الثانية.» بغداد: [د. ت.]. (مطبوع على الآلة الكاتبة).

السامرائي، شفيق عبد الرزاق. **حزب البعث العربي الاشتراكي ودوره في السياسة العربية منذ نشأته حتى الانفصال**. بغداد: ١٩٨٠.

ستالين، جوزيف. **الماركسية وقضايا علم اللغة**. دمشق: ١٩٥٠.

سعادة، أنطون. **أعداء العرب! أعداء لبنان**. بيروت: الحزب السوري القومي الاجتماعي، ١٩٤٩.

ـــــ. **في أول آذار ١٩٣٨**. بيروت: [د. ت.].

ـــــ. **مبادئ الحزب السوري القومي الاجتماعي وغايته**. بيروت: [الحزب]، ١٩٤٩.

ـــــــ. **نشوء الأمم**. بيروت: مطبعة الاتحاد، ١٩٣٨.

سعيد، أمين. **أسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين**. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٦٥.

ـــــــ. **الثورة العربية الكبرى**. القاهرة: مطبعة البابي الحلبي، ١٩٣٤. ٣ ج.

ج ١: **تاريخ مفصل جامع للقضية العربية في ربع قرن**.

السعيد، رفعت. **اليسار المصري، ١٩٢٥ ـ ١٩٤٠**. بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٢.

السعيد، نوري. **استقلال العرب ووحدتهم: مذكرة في القضية العربية مع إشارة خاصة إلى فلسطين ومقترحات رامية إلى حل نهائي مربوط بها نصوص جميع الوثائق المتعلقة بالقضية**. بغداد: [د. ن.]، ١٩٤٧.

ـــــــ. **محاضرات عن الحركات العسكرية للجيش العربي في الحجاز وسورية، ١٩١٦ ـ ١٩١٨**. بغداد: مطبعة الجيش، ١٩٤٧.

سلامة، ابراهيم. «الأحزاب السياسية في لبنان.» بيروت: ١٩٦٧. (مطبوع على الآلة الكاتبة).

سليمة، عايدة. **مصر والقضية الفلسطينية**. القاهرة؛ باريس: ١٩٨٦.

سيتون وليمز، م. ف. **بريطانيا والدول العربية: عرض للعلاقات الإنجليزية العربية، ١٩٢٠ ـ ١٩٤٨**. ترجمة وتعليق أحمد عبد الرحيم مصطفى؛ مراجعة أحمد عزت عبد الكريم. القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، [١٩٥٢].

السيد، جلال. **حزب البعث العربي**. بيروت: دار النهار، ١٩٧٣.

سيل، باتريك. **الصراع على سورية: دراسة للسياسة العربية بعد الحرب، ١٩٤٥ ـ ١٩٥٨**. ترجمة سمير عبده ومحمود فلاحة. بيروت: دار الكلمة، ١٩٨٠.

شرابي، هشام. **البنية البطركية: بحث في المجتمع العربي المعاصر**. بيروت: دار الطليعة، ١٩٨٧. (سلسلة السياسة والمجتمع)

الشقيري، أحمد. **الجامعة العربية كيف تكون جامعة وكيف تصبح عربية**. تونس: دار بوسلامة، ١٩٧٩.

شكري، محمد عزيز. **جامعة الدول العربية ووكالاتها المتخصصة بين النظرية والواقع**. الكويت: دار السلاسل، ١٩٧٥.

شكري، غالي. **النهضة والسقوط في الفكر المصري الحديث**. ط ٢. بيروت: دار الطليعة، ١٩٨٢.

شلبي، علي. **مصر الفتاة ودورها في السياسة المصرية**. القاهرة: [د. ن.]، ١٩٨٢ ـ .

الشناوي، عبد العزيز محمد. **الدولة العثمانية، دولة إسلامية مفترى عليها**. القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٨٣.

الشهابي، مصطفى. **القومية العربية: تاريخها، قوامها ومراميها**. محاضرات ألقاها على طلبة المعهد، ١٩٥٨. ط ٢. القاهرة: جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٦١.

شوكة، سامي. **هذه أهدافنا**. مجموعة محاضرات ومقالات وأحاديث قومية. بغداد: مجلة العالم الجديد، ١٩٣٩.

شوكت، ناجي. **سيرة وذكريات ثمانين عاماً، ١٨٩٤ ـ ١٩٧٤**. ط ٢. بيروت: دار الكتب، ١٩٧٥.

صالح، زكي. **موجز تاريخ العراق: منشأ النفوذ البريطاني في بلاد ما بين النهرين**. بغداد: مطبعة الرابطة، ١٩٤٩.

صايغ، أنيس. **الفكرة العربية في مصر**. بيروت: هيكل الغريب، ١٩٥٩.

ـــــ. **في مفهوم الزعامة السياسية: من فيصل الأول إلى جمال عبد الناصر**. بيروت: جريدة المحرر؛ المكتبة العصرية، ١٩٦٥.

ـــــ. **الهاشميون والثورة العربية الكبرى**. بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٦.

ـــــ. **الهاشميون وقضية فلسطين**. صيدا: جريدة المحرر؛ المكتبة العصرية، ١٩٦٦.

الصلح، رغيد. **لبنان على طريق المستقبل**. بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٣. (المفكر العربي)

الصلح، عادل. **سطور من الرسالة: تاريخ حركة استقلالية قامت في المشرق العربي سنة ١٨٧٧**. بيروت: [د. ن.]، ١٩٦٦.

الصليبي، كمال سليمان. **تاريخ لبنان الحديث**. بيروت: دار النهار، ١٩٦٧.

الصوفي، أحمد علي. **المماليك في العراق: صحائف خطيرة من تاريخ العراق القريب، ١٧٤٩ ـ ١٨٣١م**. الموصل: [د. ن.]، ١٩٥٢.

الطاهري، حمدي. **سياسة الحكم في لبنان**. القاهرة: ١٩٧٤.

طربين، أحمد. **لبنان منذ عهد المتصرفية إلى بداية الإنتداب، ١٨٦١ ـ ١٩٢٠**. محاضرات ألقاها على طلبة قسم الدراسات التاريخية. القاهرة: جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٨.

ـــــــ. **الوحدة العربية بين ١٩١٦ ـ ١٩٤٥: بحث في تاريخ العرب الحديث منذ قيام الثورة العربية حتى نشوء جامعة الدول العربية**. تونس: معهد الدراسات العربية، ١٩٥٩.

عازوري، نجيب. **يقظة الأمة العربية**. تعريب وتقديم أحمد بوملحم: بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٨.

عبد الله بن الحسين (ملك الأردن). **مذكرات الملك عبد الله**. ط ٢. عمان: المطبعة الهاشمية، ١٩٤٧.

عبد الله، نبيه بيومي. **تطور فكرة القومية العربية في مصر**. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥.

عبد الرحمن، عواطف. **الصحافة الصهيونية في مصر، ١٨٩٧ ـ ١٩٥٤: دراسة تحليلية**. القاهرة: دار الثقافة الجديدة، [١٩٧٧؟].

ـــــــ. **مصر وفلسطين**. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٠. (سلسلة عالم المعرفة؛ ٢٦)

عبد الكريم، سمير. **أضواء على الحركة الشيوعية في العراق، ١٩٣٤ ـ ١٩٥٨**. قدم له صلاح محمد. بيروت: دار المرصاد، [د. ت.]. ٥ ج.

عبده، محمد. **الإسلام دين العلم والمدنية**. عرض وتحقيق طاهر الطناحي. القاهرة: دار الهلال، [د. ت.].

العدوي، ابراهيم أحمد. **رشيد رضا: الإمام المجاهد**. القاهرة: المؤسسة المصرية العامة، [د. ت.].

عرابي، أحمد. **كشف الستار عن سر الأسرار في النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية، سنة ١٢٩٨هـ وسنة ١٨٨١م و١٨٨٢م**. [القاهرة؟]: مطبعة

مصر، ١٩٥٤. ٢ ج.

العزاوي، عباس. **تاريخ العراق بين احتلالين**. بغداد: مطبعة بغداد الحديثة، ١٩٣٥ ـ ١٩٥٦. ٨ ج.

العسكري، تحسين. **مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى والثورة العراقية**. بغداد: مطبعة العهد، ١٩٣٦ ـ ١٩٣٨. ٢ ج.

العطار، حسن. **الوطن العربي: دراسة مركزة لتطوراته السياسية الحديثة**. بغداد: مطبعة أسعد، ١٩٦٦.

عطية، ادوارد. **العرب**. ترجمة محمد قنديل البقلي؛ مراجعة محمد مأمون نجا. القاهرة: الشركة العربية، ١٩٦١.

العظم، رفيق. **الجامعة الإسلامية وأوروبا**. القاهرة: دار الثقافة العربية، ١٩٦٣.

ـــــ. **مجموعة آثار رفيق بك العظم**. عني بجمعها عثمان العظم. مصر: مطبعة المنار، ١٩٢٥.

عفلق، ميشيل. **البعث والوحدة**. ط ٢. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٢.

ـــــ. **في سبيل البعث**. ط ٢٠. بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٨.

ـــــ. **الكتابات السياسية الكاملة**. بغداد: ١٩٨٦.

العقاد، صلاح. **العرب والحرب العالمية الثانية**. القاهرة: جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٦.

ـــــ. **المغرب العربي: الجزائر، تونس، المغرب الأقصى**. ط ٢. القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٦٥.

العكام، عبد الأمير هادي. **تاريخ حزب الاستقلال العراقي، ١٩٤٦ ـ ١٩٥٨**. ط ٢. بغداد: دار الرشيد، ١٩٨٦. (سلسلة دراسات؛ ٢١٦)

العلايلي، عبد الله. **دستور العرب القومي**. بيروت: مكتبة العرفان، ١٩٤١.

علوش، ناجي. **الحركة القومية العربية: نشوؤها، تطورها، اتجاهاتها**. بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٥.

عليوي، هادي حسن. **دور حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق في**

الحركة الوطنية منذ تأسيسه حتى ١٤ تموز ١٩٥٨. بغداد: مكتبة الشرق الجديد، ١٩٧٩.

عمارة، محمد. **الصحوة الإسلامية والتحدي الحضاري**. القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٨٥.

ـــــ. **العروبة في العصر الحديث: دراسات في القومية والأمة**. القاهرة: دار الكاتب العربي، ١٩٦٧.

عمر، عمر عبد العزيز. **دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر**. بيروت: ١٩٩٠.

العمري، محمد طاهر. **تاريخ مقدرات العراق السياسية**. بغداد: المكتبة العصرية، ١٩٢٤ ـ ١٩٢٥. ٣ ج.

عياد، رناد الخطيب. **التيارات السياسية في الأردن ونص الميثاق الوطني الأردني**. عمان: المؤلفة، ١٩٩١.

العيسمي، شبلي. **حزب البعث العربي الاشتراكي: مرحلة الأربعينات التأسيسية، ١٩٤٠ ـ ١٩٤٩**. ط ٦. بغداد: ١٩٨٦.

ـــــ. **الوحدة العربية من خلال التجربة**. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات، ١٩٧١.

غالي، بطرس بطرس. **جامعة الدول العربية وتسوية المنازعات المحلية**. القاهرة: جامعة الدول العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٧.

غانم، محمد محافظ. **محاضرات عن جامعة الدول العربية**. القاهرة: جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٦٠.

غرايبة، عبد الكريم. **سورية في القرن التاسع عشر، ١٨٤٠ ـ ١٨٧٦**. القاهرة: جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٦١ ـ ١٩٦٢.

غلمن، ولدمار. **عراق نوري السعيد: انطباعاتي عن نوري السعيد بين سنة ١٩٥٤ ـ ١٩٥٨**. ترجمة خيري حماد. بيروت: مؤسسة الإنتاج الطباعي، ١٩٦٥.

فارس، نبيه أمين. **دراسات عربية**. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٥٧.

ـــــــ. **العرب الأحياء**. بيروت: دار العلم للملايين، [١٩٤٧].

ـــــــ ومحمد توفيق حسين. **هذا العالم العربي: دراسة في القومية العربية وفي عوامل التقدم والتأخر والوحدة والتفريق في العالم العربي**. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٥٣.

فرج، لطفي جعفر. **عبد المحسن السعدون ودوره في تاريخ العراق السياسي المعاصر**. بغداد: [د. ن.]، ١٩٧٨. (سلسلة الأعلام المشهورين؛ ٥)

فرج، محمد. **الأمة العربية على الطريق إلى وحدة الهدف: تاريخ الأمة العربية منذ الاحتلال العثماني إلى مؤتمر القمة العربية، ١٥١٤ ـ ١٩٦٤**. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٦٥.

فرح، الياس. **تطور الايديولوجية العربية الثورية**. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧١. ٢ ج.

ج ١: **الفكر القومي**.

ـــــــ. ـــــــ. ط ٧. بغداد: مطبعة جامعة بغداد، ١٩٧٩. ٢ ج.

ج ١: **الفكر القومي**.

ـــــــ. **تطور الفكر الماركسي: عرض ونقض**. ط ٢. بيروت: دار الطليعة، ١٩٧١. (سلسلة السياسة والمجتمع)

فرزات، محمد حرب. **الحياة الحزبية في سوريا: دراسة تاريخية لنشوء الأحزاب السياسية وتطورها بين ١٩٠٨ ـ ١٩٥٥**. دمشق: دار الرواد، ١٩٥٥.

الفكيكي، أديب توفيق. **تاريخ أعلام الطب العراقي الحديث**. [بغداد]: أ. ت. الفكيكي، ١٩٨٩ ـ .

فيصل بن الحسين في خطبه وأقواله. بغداد: مديرية الدعاية العامة، ١٩٤٥.

فيضي، سليمان. **في غمرة النضال: مذكرات**. بغداد: عبد الحميد سليمان فيضي، ١٩٥٢.

قاسمية، خيرية. **الحكومة العربية في دمشق بين ١٩١٨ ـ ١٩٢٠**. القاهرة: دار المعارف، ١٩٧١. (مكتبة الدراسات التاريخية)

ـــــــ (معد). **عوني عبد الهادي: أوراق خاصة**. بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، ١٩٧٤. (كتب فلسطينية؛ ٥٤)

قدري، أحمد. **مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى**. دمشق: مطابع ابن زيدون، ١٩٥٦.

قرقوط، ذوقان. **تطور الحركة الوطنية في سورية، ١٩٢٠ ـ ١٩٣٩**. بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٥.

القومية والقومية العربية. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٩. (سلسلة الثقافة الثورية؛ ٨)

كامل، محمود. **الدولة العربية الكبرى**. ط ٢. القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٦.

كبة، محمد مهدي. **حديث الجمعة**. بغداد: دار دجلة، ١٩٤٧.

ـــــ. **مذكراتي في صميم الأحداث، ١٩١٨ ـ ١٩٥٨**. بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٥.

الكبيسي، باسل. **حركة القوميين العرب**. بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٨.

كتاب لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب. تحقيق أحمد مصطفى أبو حاكمة. بيروت: دار الثقافة، [١٩٦٧].

كرد علي، محمد. **المذكرات**. دمشق: مطبعة الترقي، ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩. ٣ ج.

الكواكبي، عبد الرحمن. **الأعمال الكاملة لعبد الرحمن الكواكبي**. تحقيق ودراسة محمد عمارة. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٥.

كوتلوف، ل. ن. **ثورة العشرين الوطنية التحررية في العراق**. تعريب عبد الواحد كرم؛ مراجعة عبد الرزاق الحسني. بيروت؛ بغداد: دار الفارابي، ١٩٧١.

كورييل، هنري. **أوراق هنري كورييل والحركة الشيوعية المصرية**. دراسة رؤوف عباس؛ ترجمة عزة رياض. القاهرة: ١٩٨٨.

الكيالي، عبد الرحمن. **المراحل في الانتداب الفرنسي وفي نضالنا الوطني من عام ١٩٢٦ ـ حتى نهاية عام ١٩٣٩**. حلب: مطبعة الضاد، ١٩٥٨ ـ ١٩٦٠. ٤ ج.

الكيالي، عبد الوهاب. **تاريخ فلسطين الحديث**. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٠.

ـــــ [وآخرون]. **الموسوعة السياسية**. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات

والنشر، ١٩٨١ ـ ١٩٩٤. ٧ ج.

ماركس، كارل وفريدريك انجلز. **مختارات**. موسكو: دار التقدم، ١٩٦٨ ـ ١٩٧٠. ٣ ج.

الماضي، منيب وسليمان موسى. **تاريخ الأردن في القرن العشرين**. عمان: [د. ن.]، ١٩٥٩.

مجموعة خطب الأمين العام، ١٩٨٢. تونس: ١٩٨٥.

مجموعة عبد الغفار الأخرس في شعر عبد الغني الجميل وما قاله الأخرس فيه. تحقيق عباس العزاوي. بغداد: شركة الطباعة والتجارة، ١٩٤٩.

محافظة، علي. **الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، ١٧٩٨ ـ ١٩١٤: الاتجاهات الدينية والسياسية والاجتماعية والعلمية**. بيروت: الدار الأهلية، ١٩٨٣.

ــــــ. **تاريخ الأردن المعاصر: عهد الإمارة، ١٩٢١ ـ ١٩٤٦**. ط ٢. عمان: مركز الكتب الأردني، ١٩٨٩.

ــــــ. **موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية، ١٩١٩ ـ ١٩٤٥**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٥. (مواقف الدول الكبرى من الوحدة العربية؛ ١)

محمد، سعاد رؤوف شير. **نوري السعيد ودوره في السياسة العراقية، ١٩٣٢ ـ ١٩٤٥**. مراجعة كمال مزهر أحمد. بغداد: مكتبة اليقظة العربية، ١٩٨٨.

محمد، علاء جاسم. **الملك فيصل الأول: حياته ودوره السياسي في الثورة العربية وسورية والعراق، ١٨٨٣ ـ ١٩٣٣**. بغداد: ١٩٩٠.

محيي الدين، جهاد مجيد. **العراق والسياسة العربية، ١٩٤١ ـ ١٩٥٨**. بغداد: ١٩٨٠.

المخزومي، محمد. **خاطرات جمال الدين الأفغاني الحسيني**. بيروت: المطبعة العلمية، ١٩٣١.

مرقص، الياس. **تاريخ الأحزاب الشيوعية في الوطن العربي**. بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٤.

ــــــ. **الماركسية في عصرنا**. بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٥. (سلسلة السياسة والمجتمع)

مصطفى، أحمد عبد الرحيم. **تاريخ مصر السياسي من الاحتلال إلى المعاهدة.** الإسكندرية: دار المعارف، ١٩٦٧. (المكتبة التاريخية)

مصطفى، شاكر. **العرب والإسلام وفلسطين عبر التاريخ، القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني.** الموصل: ١٩٨٣.

مطر، فؤاد. **حكيم الثورة: قصة حياة الدكتور جورج حبش.** بيروت: [د. ن.]، ١٩٨١.

المفتي، حازم. **العراق بين عهدين: ياسين الهاشمي وبكر صدقي.** قدم له عماد عبد السلام رؤوف. بغداد: ١٩٥٩.

مكتب التوثيق والتأليف في دار العمل. **تاريخ حزب الكتائب اللبنانية.** بيروت: دار العمل، ١٩٧٩. ٢ ج.

منسي، محمود صالح. **حركة اليقظة العربية في الشرق الآسيوي.** القاهرة: دار الفكر العربي، [١٩٧٢].

منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث. **وثائق الحركة الوطنية.** بيروت: [د. ت.]. (وثائق محفوظة)

المهدي، الصادق. **يسألونك عن المهدية.** بيروت: دار القضايا، ١٩٧٥.

موسى، سليمان. **الحركة العربية: سيرة المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة.** بيروت: دار النهار، ١٩٧٠.

ــــــ. **الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى.** عمان: دار النشر والتوزيع، ١٩٥٧.

موسى، منير مشابك. **الفكر العربي في العصر الحديث: سوريا من القرن الثامن عشر حتى العام ١٩١٨.** بيروت: دار الحقيقة، ١٩٧٣.

موقفنا تجاه النازية. تأليف نخبة من الشباب التقدمي. بغداد: مطبعة المعارف، ١٩٣٩.

الميثاق القومي العربي. بغداد: [نادي البعث العربي]، ١٩٥١. (منشورات نادي البعث العربي؛ ١)

النادي الثقافي العربي. **القوى السياسية في لبنان.** بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٠.

نجم، محمد يوسف. **العوامل الفعالة في تكوين الفكر العربي الحديث.** بيروت: ١٩٦٦.

نصر، مارلين. **التصور القومي العربي في فكر جمال عبد الناصر، ١٩٥٢ - ١٩٧٠: دراسة في علم المفردات والدلالة**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨١.

نظمي، وميض جمال عمر، غانم محمد صالح وشفيق عبد الرزاق. **التطور السياسي المعاصر في العراق**. [بغداد]: جامعة بغداد، كلية القانون والسياسة، قسم السياسة، [١٩٨؟].

نعمة، كاظم هاشم. **الملك فيصل الأول والإنكليز والاستقلال**. بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٩٨٨.

نقرش، عبد الله. **التجربة الحزبية في الأردن**. عمان: ١٩٩١.

نوار، عبد العزيز ورأفت غنمي الشيخ. **تاريخ العرب الحديث والمعاصر**. [القاهرة]: جامعة عين شمس، كلية التربية، ١٩٨٤.

نيبور، كارستن. **رحلة نيبور إلى العراق في القرن الثامن عشر**. ترجمة محمود الأمين؛ مراجعة وتعليق وفهرسة سالم الآلوسي. بغداد: [د. ن.]، ١٩٦٥.

الهاشمي، طه. **مذكرات طه الهاشمي، ١٩١٩ - ١٩٤٣**. مع تحقيق ومقدمة في تاريخ العراق الحديث بقلم خلدون ساطع الحصري. بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٧.

هلال، علي الدين. **السياسة والحكم في مصر: العهد البرلماني، ١٩٢٣ - ١٩٥٢**. القاهرة: مكتبة نهضة الشرق، ١٩٧٧.

وادي، خيرية عبد الصاحب. **الفكر القومي العربي في المغرب العربي**. بغداد: [د. ن.]، ١٩٨٢.

وزارة الدفاع (العراق). **محكمة الشعب: المحاضر الرسمية لجلسات المحكمة العسكرية العليا الخاصة**. بغداد: ١٩٥٩.

وهيم، طالب محمد. **مملكة الحجاز، ١٩١٦ - ١٩٢٥**. بغداد: [د. ن.]، ١٩٨٢.

ويلسون، آرنولد تالبوت. **بلاد ما بين النهرين بين ولاءين: خواطر شخصية وتاريخية**. ترجمة فؤاد جميل؛ تقديم ومراجعة علاء نورس. ط ٢. بغداد: [د. ن.]، ١٩٩١.

ياسين، صبحي محمد. **الثورة العربية الكبرى في فلسطين، ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩.** القاهرة: [د. ن.]، ١٩٦٧.

ياسين، عبد القادر. **القضية الفلسطينية في فكر اليسار المصري.** بيروت: دار ابن خلدون، ١٩٨١.

يحيى، جلال وخالد نعيم. **الوفد المصري، ١٩١٩ ـ ١٩٥٢.** الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، ١٩٨٤.

دوريات

ابراهيم، محسن. «في الديمقراطية والثورة والتنظيم الشعبي.» **الحرية** (بيروت): العدد ١، كانون الثاني/يناير ١٩٦٢.

الاتحاد الدستوري: ٢٥/٣/١٩٥١؛ ٢١/٥/١٩٥٢، و٢٣/١١/١٩٥٢.

«الاتحاد العربي: أغراضه ونظامه.» **الرابطة العربية:** ١٧ نيسان/ابريل ١٩٤٣.

الأحرار: ٢٩/١١/١٩٤٦؛ ١٨/٣/١٩٤٧؛ ١٩/٣/١٩٤٧، و١١/٤/١٩٤٧.

الإخاء الوطني: ٦/١/١٩٣٤، و٩/٩/١٩٣٤.

الأخبار: ٢٣/٧/١٩٤٣، و١٨/٢/١٩٤٧.

الإخوان المسلمون: ذو القعدة ١٣٦٢هـ.

الاستقلال: ٧/٤/١٩٣١.

البزاز، عبد الرحمن. «الاتحاد العربي بين مناصريه ومعارضيه.» **البعث العربي:** العدد ١، ١٥ كانون الأول/ديسمبر ١٩٥١.

البستاني، مهدي جواد حبيب. «الوعي القومي العربي في العراق خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر.» **مجلة كلية الفقه** (الجامعة المستنصرية، النجف): العدد ٢، ١٩٨٣.

البشري، طارق. «العروبة والإسلام.» **المستقبل العربي:** السنة ١٢، العدد ١٣٠، كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٩.

ـــــــ. «مصر في إطار الحركة العربية.» **المستقبل العربي:** السنة ١، العدد ٢، تموز/يوليو ١٩٧٨.

البعث العربي: العدد ١، ١٥ كانون الأول/ديسمبر ١٩٥١، والعدد ٣، ٥ كانون الثاني/يناير ١٩٥٢.

البلاغ: ١٩٣٣/٨/٢٣.

بني حسن، أمين عواد مهنا. «تقييم الأحزاب والتنظيمات السياسية في الأردن.» **مجلة مؤتة**: العدد ٤، ١٩٩٢.

بوعوني، الأزهر. «نظام القرارات في جامعة الدول العربية.» **شؤون عربية** (تونس): العدد ٢٧، أيار/مايو ١٩٨٣.

التقدم: ١٩٢٧/١/٧؛ ١٩٢٨/١٠/٤، و١٩٢٩/٤/٥.

الجابري، محمد عابد. «حول الحوار القومي ـ الديني.» **المستقبل العربي**: السنة ١٢، العدد ١٣٠، كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٩.

الجامعة العربية (القدس): ١٩٣١/٩/٢.

الجبهة الشعبية: ١٩٥١/٧/٢٩.

الجبوري، جميل. «نشأة فكرة جامعة الدول العربية.» **شؤون عربية**: العدد ٢٥، آذار/مارس ١٩٨٣.

جلول، فيصل. «حركة القوميين العرب: قراءة جديدة لتجربة في ذمة التاريخ.» **الفكر العربي** (بيروت): السنة ٤، العدد ٢٨، تموز/يوليو ـ أيلول/سبتمبر ١٩٨٢.

جمعة، أحمد محمود. «الدبلوماسية البريطانية وقيام جامعة الدول العربية.» **المستقبل العربي**: السنة ١، العدد ٥، كانون الثاني/يناير ١٩٧٩.

حسين، فاضل. «جمعية الجوال: فصل من تاريخ الحركة القومية العربية في العراق المعاصر.» **مجلة كلية الآداب** (جامعة بغداد): السنة ٣٣، العدد ٢، كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٢.

الحصري، ساطع. «حول الوحدة العربية، إلى الدكتور طه حسين.» **الرسالة**: السنة ٧، مج ٢، العدد ٣١٥، ١٩٣٩.

ـــــــ. «دور مصر في النهضة القومية.» **البلاد** (بغداد): ١٩٣٦/٤/١٩.

ـــــــ. «لم تكن التجزئة طبيعية.» **الحياة** (بيروت): ١٩٥١/٨/١٩.

حميد، راشد. «الكتائب اللبنانية: تاريخها، عقيدتها، تنظيمها.» **شؤون فلسطينية** (بيروت): العدد ٤٦، حزيران/يونيو ١٩٧٥.

حميدي، جعفر عباس. «التيار القومي في العراق، ١٩٢١ ـ ١٩٥٨.» **آفاق عربية**: السنة ٩، العدد ١٠، حزيران/يونيو ١٩٨٤.

ـــــ. «نادي البعث العربي، ١٩٥٠ ـ ١٩٥٦.» **آفاق عربية**: السنة ١٤، العدد ١، كانون الثاني/يناير ١٩٨٩.

الرابطة الشرقية: السنة ١، العدد ٥١، نيسان/ابريل ١٩٢٩، والعدد ٨، تموز/يوليو ١٩٢٩.

الرابطة العربية: ٣ حزيران/يونيو ١٩٥٠.

الرأي العام: ١٧/٤/١٩٤٦؛ ١٨/٤/١٩٤٦، و١٥/٥/١٩٤٧.

رباط، ادمون. «مهمة النخبة في خلق المواطن الصالح.» **الأبحاث**: السنة ١٠، العدد ١٠، حزيران/يونيو ١٩٥٧.

رؤوف، عماد عبد السلام. «الجمعيات العربية وفكرها القومي: ملامح الوعي القومي عند العرب منذ مطلع القرن التاسع عشر حتى قيام الحرب العالمية الأولى.» **المستقبل العربي**: السنة ٨، العدد ٨١، تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٥.

زريق، قسطنطين. «المسيحيون العرب والمستقبل.» **المستقبل العربي**: السنة ٤، العدد ٢٧، أيار/مايو ١٩٨١.

السياسة: ٢٦/٥/١٩٤٧، و٢٧/٥/١٩٤٧.

الشاعر، جمال. «سياسي يتذكر.» الحلقة الثانية. **القبس** (الكويت): ١١/٨/١٩٨٧.

الشرارة: ١٩٤٠.

الشرق (بغداد): ١/٩/١٩٢٠.

شفيق، أحمد. «جمعية الرابطة الشرقية: ماضيها وحاضرها ومستقبلها.» **الرابطة الشرقية**: السنة ١، العدد ١، آب/أغسطس ١٩٢٨.

صاغية، حازم. «حزب الكتائب اللبناني.» **السفير**: ٢٧/٤/١٩٧٥.

صدى الأهالي: ١٣/ ٢/ ١٩٤٨، و١٣/ ٥/ ١٩٥٢.

صدى الأيام: ٢٤/ ٤/ ١٩٤٩.

صدى العهد: ١٤/ ١٠/ ١٩٣٠؛ ٢/ ١١/ ١٩٣٠، والعددان ٦٤ و٦٥، ١٩٣٤.

صوت الأحرار: ٨/ ٥/ ١٩٤٦؛ ٢٣/ ٦/ ١٩٤٦؛ ٢٩/ ١١/ ١٩٤٦؛ ١١/ ٤/ ١٩٤٧، و٤/ ٥/ ١٩٤٧.

صوت الأهالي: ١/ ٩/ ١٩٤٣؛ ٢/ ٢/ ١٩٤٧؛ ٢/ ٤/ ١٩٤٧؛ ٧/ ٥/ ١٩٤٧؛ ٢٦/ ٧/ ١٩٤٨، و٣٠/ ٧/ ١٩٤٨.

صوت السياسة: ٢٩/ ٣/ ١٩٤٧؛ ٣١/ ٣/ ١٩٤٧، و٢٨/ ٥/ ١٩٤٧.

الطريق: ١٧/ ٤/ ١٩٣٣؛ ٧/ ٥/ ١٩٣٣؛ ٢٥/ ٧/ ١٩٣٤؛ ٢٠/ ٨/ ١٩٣٤، و٢٦/ ١١/ ١٩٣٤.

طيبي، بسام. «القضية القومية في الفكر الماركسي من ماركس حتى الأممية الثانية.» **دراسات عربية** (بيروت): السنة ٥، العدد ١، تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٦٨.

عبيد، مكرم. «المصريون عرب.» **الهلال** (القاهرة): نيسان/ ابريل ١٩٣٩.

العراق: ١٠/ ١٠/ ١٩٣١؛ ١٢/ ١٠/ ١٩٣١؛ ١٥/ ١٠/ ١٩٣١؛ ١٣/ ٥/ ١٩٣٣، و١٤/ ٦/ ١٩٣٣.

العروة (بيروت): السنة ١٨، العدد ٢، كانون الأول/ ديسمبر ١٩٥٢.

العروة الوثقى: حزيران/ يونيو ١٩٤٧.

عزام، عبد الرحمن. «العرب أمة المستقبل.» **العرب** (القدس): ٧ آب/ أغسطس ١٩٣٢.

ـــــــ. «لا حياة لمصر وشقيقاتها العربية إلا بالاتحاد.» **المصور**: ١٢ كانون الثاني/ يناير ١٩٤٢.

علوش، ناجي. «الحركة الشيوعية في الوطن العربي.» **دراسات عربية**: السنة ٢، العدد ٣، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٥.

علوبة، محمد علي. «الوحدة العربية وكيف تكون.» **المصور**: ١٨ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٤١.

عليوي، هادي حسن. «جوانب خفية في مصرع نوري السعيد.» **آفاق عربية:** العدد ٢، شباط/فبراير ١٩٨٩.

العهد: ١٨/١/١٩٤٩.

الفتوة: ٢٤ حزيران/يونيو ١٩٣٥.

فرح، الياس. «الوحدة والعمل المستقبلي.» **آفاق عربية:** السنة ١٣، العدد ٢، شباط/فبراير ١٩٨٨.

فلسطين: ٢٨/٦/١٩٣٥.

القبلة: ١٥/٨/١٩١٦.

قدورة، زاهية. «نجيب عازوري من خلال زمانه ومكانه.» الحلقة الأولى. **تاريخ العرب والعالم** (بيروت): السنة ٣، العدد ٢٦، كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٠.

كبة، محمد مهدي. «حركتنا بين الحركات.» **المثنى:** العددان ٢ و٣، ٣ و١٠ أيلول/سبتمبر ١٩٣٦.

لواء الاستقلال: ١٥/٦/١٩٤٦؛ ١٦/٦/١٩٤٦؛ ٢٨/٦/١٩٤٦؛ ٦/٨/١٩٤٦؛ ٣/٩/١٩٤٦؛ ١١/١٠/١٩٤٦؛ ٧/١١/١٩٤٦؛ ٢٩/١١/١٩٤٦؛ ١/١٢/١٩٤٦؛ ١٢/١٢/١٩٤٦؛ ١٩/١٢/١٩٤٦؛ ٢٦/١/١٩٤٧؛ ١٩/٢/١٩٤٧؛ ١٠/٣/١٩٤٧؛ ٣/٥/١٩٤٧؛ ٢٥/١٠/١٩٤٧؛ ٦/١٢/١٩٤٨؛ ٢٨/٦/١٩٤٩؛ ١٨/١٠/١٩٤٩؛ ٤/١/١٩٥٠؛ ٦/١/١٩٥٠؛ ١٥/٦/١٩٥٠؛ ٥/١١/١٩٥٠، و٥/١٠/١٩٥١.

المثنى: ١٢ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٣٦، و١٢ كانون الأول/ديسمبر ١٩٣٦.

محافظة، علي. «النشأة التاريخية للجامعة العربية.» **المستقبل العربي:** السنة ٥، العدد ٤١، تموز/يوليو ١٩٨٢.

مصر الفتاة (القاهرة): العدد ١٧، آذار/مارس ١٩٤٠، و٣ نيسان/ابريل ١٩٤١.

المصور: ٦ حزيران/يونيو ١٩٤١.

المنار (القاهرة): السنة ٣، ١٩٠٠؛ السنة ٧، ١٩٠٤؛ السنة ١٢، ١٩٠٨؛

السنة ١٦، ١٩١٣؛ السنة ١٦، العدد ٣، آذار/مارس ١٩١٣، و١٩٣٠ - ١٩٣٨.

الموافي، عبد الحميد. «عملية صنع القرار في جامعة الدول العربية.» **شؤون عربية**: العدد ١٨، آب/أغسطس ١٩٨٢.

نداء الشعب: ٦/٣/١٩٢٦؛ ٧/٣/١٩٢٦؛ ٦/١/١٩٢٧؛ ٣/٧/١٩٢٧؛ ٦/٧/١٩٢٧، و٢٦/٤/١٩٢٨.

نظمي، وميض جمال. «في تطور الفكرة القومية العربية.» **مجلة العلوم القانونية والسياسية** (القاهرة): السنة ٣، العددان ١ - ٢، كانون الثاني/يناير - شباط/فبراير ١٩٨٤.

ـــــــ. «ملامح من الفكر العربي في عصر اليقظة وعلاقته بفكرة القومية العربية.» **المستقبل العربي**: السنة ٦، العدد ٥٢، حزيران/يونيو ١٩٨٣.

نعمان، عصام. «الجامعة والوحدة: من دور الشاهد إلى دور الرائد.» **شؤون عربية**: العدد ١٣، آذار/مارس ١٩٨٢.

نورس، علاء موسى كاظم. «السياسة البريطانية في العراق: مشروعات التقسيم.» **آفاق عربية**: السنة ١٨، العدد ٧، تموز/يوليو ١٩٩٣.

نويهض، وليد. «انطون سعادة وتطور الفكر القومي الاجتماعي.» **دراسات عربية**: السنة ٩، العدد ٥، آذار/مارس ١٩٧٣.

الهلال (القاهرة): السنة ٥١، العدد ١٤، تشرين الأول/اكتوبر ١٩٤٣.

الهلالي، عبد الحميد. «دور الأحزاب السرية في الثورة الثانية ضد الانكليز.» **العراق**: ٤/٥/١٩٩٤.

الوحدة: ٢٧/٨/١٩٥١.

الوطن: ٦/٢/١٩٤٧؛ ٢١/٣/١٩٤٧؛ ٢٧/٣/١٩٤٧؛ ٢٣/٤/١٩٤٧؛ ٢٥/٤/١٩٤٧، و٢٨/٤/١٩٤٧.

اليقظة: ١٠/٦/١٩٥١.

ندوات، مؤتمرات

تطور الفكر القومي العربي: بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز

دراسات الوحدة العربية، بالاشتراك مع المجمع العلمي العراقي، اتحاد المؤرخين العرب، معهد البحوث والدراسات العربية. بيروت: المركز، ١٩٨٦.

القومية العربية في الفكر والممارسة: بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت: المركز، ١٩٨٠.

المؤتمر العربي الأول. القاهرة: مطبعة البوسفور، ١٩١٣.

رسائل، أطروحات

الجابري، محمد هليل. «الحركة القومية العربية في العراق بين ١٩٠٨ ـ ١٩١٤.» (أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٨٠).

جمعة، خالد حسن. «الوحدة العربية في مناهج ومواقف الأحزاب العراقية، ١٩٢١ ـ ١٩٥٨.» (أطروحة دكتوراه، الجامعة المستنصرية، معهد الدراسات القومية والاشتراكية، ١٩٩١).

الجنابي، يونس عباس حسين. «ملامح الوعي القومي في الشعر العراقي في القرن التاسع عشر.» (رسالة ماجستير، بغداد، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٨٦).

الجوراني، عبد الزهرة مكطوف. «الفكر السياسي في المشرق العربي أواخر القرن التاسع عشر حتى عام ١٩١٤.» (أطروحة دكتوراه، الجامعة المستنصرية، معهد الدراسات القومية والاشتراكية، ١٩٩٠).

الحمداني، خليل حنش سوادي. «الأحزاب السياسية في الأردن: دراسة تاريخية للفترة ١٩٢٨ ـ ١٩٥٧.» (رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية التربية ـ ابن رشد، ١٩٩٤).

حميدي، علي نشمي. «ساطع الحصري ودوره القومي في العراق.» (رسالة ماجستير، بغداد، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٩٠).

الخطاب، سليم عبد الرزاق. «القومية العربية فكراً وممارسة في تجربة ٢٣ تموز/ يوليو، مصر ١٩٥٢ ـ ١٩٧٠.» (رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية القانون والسياسة، ١٩٨٥).

الراوي، غازي فيصل غدير. «حزب البعث العربي الاشتراكي في القطر

اللبناني: النشأة والتطور.» (أطروحة دكتوراه، الجامعة المستنصرية، معهد الدراسات القومية والاشتراكية، ١٩٩١).

ــــــ. «موقف الأحزاب اللبنانية من الوحدة العربية من ١٩٤٦ ـ ١٩٥٨.» (رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية، المعهد العالي للدراسات القومية والاشتراكية، ١٩٨١).

زويد، عبد الرحيم ذنون. «العراق في الحرب العالمية الثانية، ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥.» (رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية الآداب، ١٩٧٨).

الزيدي، عباس ياسر. «تاريخ الصحافة العراقية منذ نشأتها حتى سنة ١٩٣٦.» (أطروحة دكتوراه، جامعة عين شمس، كلية الآداب، ١٩٧٥).

الزيدي، مفيد كاصد. «سياسة بريطانيا تجاه آل سعود، ١٩١٥ ـ ١٩٢٧.» (رسالة ماجستير، جامعة الموصل، كلية الآداب، ١٩٩٢).

سليمان، قحطان أحمد. «الوحدة العربية: دراسة سياسية تحليلية لتجاربها وواقعها ومستقبلها.» (أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، ١٩٨٩).

الطائي، عطية دخيل عباس. «العراق ومشاريع الوحدة العربية بين ١٩٣٢ ـ ١٩٥٤.» (رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية، المعهد العالي للدراسات القومية والاشتراكية، ١٩٨٣).

العاني، خالد حسن جمعة. «الوحدة العربية في مناهج ومواقف الأحزاب العراقية، ١٩٢١ ـ ١٩٥٨.» (أطروحة دكتوراه، الجامعة المستنصرية، معهد الدراسات القومية والاشتراكية، ١٩٩١).

عبد الله، غانم محمد صالح. «النظام السياسي في العراق، ١٩٤٨ ـ ١٩٥٨.» (رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ١٩٧٠).

قاسم، قاسم جميل. «الحزب الوطني الديمقراطي في العراق: دراسة سياسية اقتصادية اجتماعية.» (رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ١٩٧٣).

نغيمش، رحيم عويد. «التنظيم الإداري لجامعة الدول العربية.» (رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ١٩٨٠).

ياسين، نمير طه. «بدايات التحديث في العراق، ١٨٦٩ ـ ١٩١٤.» (رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية، المعهد العالي للدراسات القومية والاشتراكية، ١٩٨٤).

وثائق

الجبهة الشعبية. «ميثاق الجبهة الشعبية ونظامها الداخلي.» بغداد: ١٩٥١.

حزب الاتحاد الدستوري. «المنهج الأساسي والنظام الداخلي.» بغداد: ١٩٤٩.

حزب الاتحاد الوطني. «منهج حزب الاتحاد الوطني.» بغداد: ١٩٤٦.

حزب الأحرار. «منهج حزب الأحرار.» بغداد: ١٩٤٧.

حزب الاستقلال. «المهرجان السنوي الثاني العام.» بغداد: ١٩٤٧.

ــــــ. «النظامان الأساسي والداخلي.» بغداد: ١٩٤٦.

حزب الإصلاح. «منهج ونظام حزب الإصلاح.» بغداد: ١٩٤٩.

حزب الأمة الاشتراكي. «منهج حزب الأمة الاشتراكي ونظامه الداخلي.» بغداد: ١٩٥١.

حزب البعث العربي الاشتراكي. «الأحزاب السياسية في الوطن العربي.» بغداد: [د. ت.]. (مطبوع على الآلة الكاتبة).

ــــــ. «دستور حزب البعث العربي الاشتراكي، الصادر في ٧ نيسان ١٩٤٧.» بغداد: المكتب الثقافي، [د. ت.].

ــــــ، لجنة تاريخ الحزب. «أضواء على نضال حزب البعث العربي الاشتراكي.» بغداد: [د. ت.]. (مطبوع على الآلة الكاتبة).

حزب البعث العربي الاشتراكي، مكتب الثقافة والإعلام. «الأحزاب في سوريا.» [د. م.: د. ت.]. (مطبوع على الآلة الكاتبة).

«الحزب الحر الفلسطيني: دستوره ونظامه الداخلي.» ١٩٢٧.

حزب الشعب. «المنهج والنظام الداخلي لحزب الشعب.» بغداد: ١٩٤٦.

الحزب الشيوعي العراقي. «المنهج الداخلي للحزب الشيوعي العراقي.» بغداد: ١٩٤٦.

ـــــــ. «الميثاق الوطني والنظام الداخلي للحزب الشيوعي العراقي.» بغداد: ١٩٤٥.

الحزب الوطني الديمقراطي. «منهج الحزب الوطني الديمقراطي ونظامه الداخلي.» بغداد: ١٩٥١.

حزب الوطنيين الأحرار. «النظام الأساسي لحزب الوطنيين الأحرار.» بيروت: ١٩٥٨.

نادي المثنى بن حارثة الشيباني. «نادي المثنى بن حارثة الشيباني، النظام الداخلي.» بغداد: ١٩٣٥.

٢ ـ الأجنبية

Books

Anderson, Matthew Smith. *The Eastern Question, 1774-1923: A Study in International Relations*. London: Macmillan, 1972.

Batatu, Hanna. *The Old Social Classes and the Revolutionary Movements of Iraq: A Study of Iraq's Old Landed and Commercial Classes and of Its Communists, Ba'thists, and Free Officers*. Princeton, NJ: Princeton University Press, 1978. (Princeton Studies on the Near East)

Earle, Edward Mead. *Turkey, the Great Powers, and the Baghdad Railway: A Study in Imperialism*. New York: Russel and Russel, 1966.

Eden, Anthony. *Freedom and Order: Selected Speeches, 1939-1946*. London: Faber and Faber, [1947].

Fisher, Sydney Nettleton. *The Middle East: A History*. London: Routledge; New York: Knopf, 1959.

Frye, Richard N. *The Near East and the Great Powers*. With an introduction by Ralph Bunche. Cambridge, MA: Harvard University Press, 1951.

Gomaa, Ahmed M. *The Foundation of the League of Arab States: Wartime Diplomacy and Inter-Arab Politics, 1941 to 1945*. London; New York: Longman, 1977.

Hammond, Paul Y. and Sidney S. Alexander (eds.). *Political Dynamics in the Middle East*. New York: American Elsevier Pub. Co., [1972]. (The Middle East: Economic and Political Problems and Prospects)

Al-Husri, Khaldun Sati. *King Faysal and Arab Unity, 1930-1933*. London: 1945.

Khadduri, Majid. *Independent Iraq, 1932-1958; a Study in Iraqi Politics.* 2nd ed. London; New York: Oxford University Press, 1960.

Kirk, George Eden. *The Middle East in the War.* With an introduction by Arnold Toynbee. London; New York: Oxford University Press, 1953. (Survey of International Affairs)

Klieman, Aaron S. *Foundations of British Policy in the Arab World: The Cairo Conference of 1921.* Baltimore, MD: Johns Hopkins Press, 1970.

Lawrence, T. E. *The Seven Pillars of Wisdom: A Triumph.* London: Cape, 1973.

Rabbath, Edmond. *Unité syrienne et devenir arabe.* Paris: Rivière, 1937.

Toynbee, Arnold Joseph. *Survey of International Affairs for the Year 1922.* London: Oxford University Press, 1953.

Ziadeh, Nicola A. *Sanusiyya: A Study of a Revivalist Movement in Islam.* Leiden: E. J. Brill, 1958.

———. *Syria and Lebanon.* Beirut: Librairie du Liban, [1968].

Periodicals

Raleigh, J. S. «Ten Years of the Arab League.» *Middle Eastern Affairs:* vol. 6, no. 3, March 1955.

فهـــرس

ـ خ ـ

ـ د ـ

ـ ر ـ

ـ ز ـ

ـ س ـ

ـ ش ـ

ـ ض ـ

ـ ص ـ

ـ ط ـ

ـ ع ـ

ـ غ ـ

ـ ف ـ

ـ ق ـ

- ن -

- هـ -

- و -

- ي -

هذا الكتاب

يهدف هذا الكتاب إلى دراسة الاتجاهات الوحدوية وتطور مفهوم الوحدة في الفكر القومي العربي في المشرق العربي خلال حقبة اتسمت بالهيمنة الاستعمارية الأوروبية وبانتهاج الغرب سياسة معادية لأماني العرب في الوحدة والحرية. ويتناول الفكر القومي في مصر كونها أثرت في الفكر القومي العربي وتأثرت به وشكلت جزءاً منه، إضافة إلى أنها كانت حلقة وصل وتأثير في المغرب العربي.

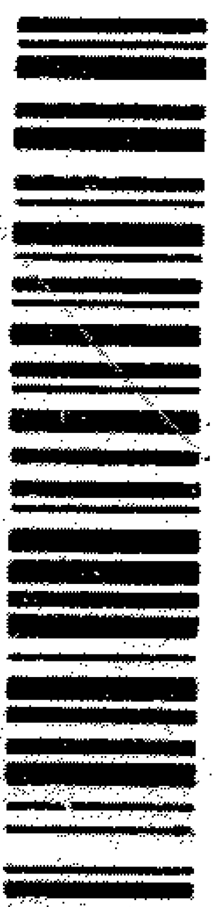
ومن خلال اعتماده على الوثائق الأصلية الخاصة بالمشاريع الوحدوية المطروحة والأعمال التي تناولت دراسة الفكر القومي، وكذلك الأدبيات والنشريات والصحف التابعة للأحزاب والتنظيمات، يسلّط المؤلف الضوء على بدايات الوعي القومي العربي الحديث، ويعالج دعوات الإصلاح الاجتماعي والسياسي، وتبلور الوعي القومي العربي في جمعيات قومية عربية وحركات استقلالية قطرية، ومن ثمّ تصاعد النضال القومي العربي بعد الحرب العالمية الثانية وتشكل الأحزاب والتنظيمات.

ويفرد هذا الكتاب أيضاً مساحة لتحليل نهج الأحزاب الإقليمية، والتي طرحت مشروعات تتعارض والنظرة الوحدوية الشاملة، كما يتناول المشاريع الوحدوية التي طرحت بفعل إعلان بريطانيا تعاطفها المزعوم مع سعي العرب لتحقيق أمانيهم في الاتحاد أو الوحدة.. تلك المشاريع التي لم ترَ النور، ولم يقيّض لها النجاح ما عدا مشروع جامعة الدول العربية، فيدرس الإطار الفكري لنشأته، وموقف الأحزاب والتنظيمات السياسية العربية منه.

مركز دراسات الوحدة العربية

بناية «سادات تاور» شارع ليون ص.ب: ٦٠٠١ ـ ١١٣
الحمراء ـ بيروت ٢٠٩٠ ١١٠٣ ـ لبنان
تلفون: ٨٦٩١٦٤ ـ ٨٠١٥٨٢ ـ ٨٠١٥٨٧
برقياً: «مرعربي» ـ بيروت
فاكس: ٨٦٥٥٤٨ (٩٦١١)

e-mail: info@caus.org.lb
Web Site: http://www.caus.org.lb



الثمن: ٨ ...
أو م...